

العدد  
(٢١٢)  
ابريل  
٢٠٠٣

مجلة  
الثقافة  
الوطنية  
الديمقراطية

# أدب ونقد



## البرابرية

- نساء يركضن مع الذئاب
- محمد عفيفي.. سخرية التحرر
- فتحى كمالبك
- العرب: عالمية الثقافة
- الأغبياء وسيدهم
- حلم بفلسطين





أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)



# أدب ونقد

رئيس مجلس الادارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مجلس التحرير : ابراهيم أصلان  
د. صلاح السروي / طلعت الشايب  
د. على مبروك / غادة نبيل  
كمال رمزي / ماجد يوسف  
حلمى سالم / مصطفى عبادة  
على عوض الله كرار

الراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهلى  
القاهرة / هاتف ٢٩٦٦٢٧٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد  
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراطلون  
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر  
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصف والتوضيب  
نسرين سعيد إبراهيم

الخلاف  
**أحمد السجيني**

تصحيح: أبو السعود على سعد  
لوحة الغلاف للفنانة :  
زينب السجيني  
الرسوم الداخلية للفنان :  
أحمد مرسي  
فوتوغرافي الغلاف : خالد سلامة  
الاشتراكات لمدة عام  
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥ جنيها  
البلاد العربية ٥ دولارات / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

#### الطباعة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر  
يمكن إرسال الأعمال على الطowan البريدي أو البريد الإلكتروني:

[adabwanaqd@yahoo.com](mailto:adabwanaqd@yahoo.com)  
[adabwanaqd.4t.com](http://adabwanaqd.4t.com) موقع [أدب ونقد] على الانترنت:

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر  
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

## المحتويات

### \* أول الكتابة / المحررة / ٥

- بانتظار البراءة / شعر : كفافى ترجمة : سعدى يوسف / ٩
- الأغنية وسيدهم / شعر : آلن جنسبرج / ترجمة : أحمد عمر شاهين / ١١
- العرب وعالمية الثقافة / مقال / د. محمد زكى العشماوى / ١٣
- هيجل والمطلق الفلسفى / دراسة / د. ربيع الدبس / ١٧
- حالم بفلسطين / نقد / ٢٤

### - إبرة مكسورة / قصة / صفاء النجار / ٢٧

- في ثبوءات الطوفان .. الوعى بالزمن / نقد : عذاب الركابى / ٢٩
- محاورات أمشير / شعر : عبد الرحيم يوسف / ٣٤
- بانت وفاء / شعر : صلاح اللقانى / ٣٦
- فصل النجيب / شعر : محمد القىسى / ٣٩
- المطفأة / قصة : محمد حسن إبراهيم / ٤١
- نساء يركضن مع الذئاب / متابعة : نجوى على / ٤٧
- كتب / متابعات : التحرير / ٥٢

### \* محمد عفيفى .. سخرية التحرر : ضحك كالبكا / ملف العدد إعداد وتقديم : أحمد الشريف .

وكتب فيه :

- نجيب محفوظ / ٦١ - رجاء النقاش / ٦٣ - د. على الراعى / ٦٩ - د. نعمات
- أحمد فؤاد / ٧٣ - محمود السعدنى / ٧٥ - يوسف معاطى / ٧٨ - ياسر
- محمد إبراهيم / ٨٠ - حلmi التونى / ٨٣
- أنوار محمد عفيفى وضحكاته / الديوان الصغير / ٨٥
- بيلوجرافيا محمد عفيفى / ١٤١
- عبقرية العوام - على عوض الله كرار / ١٤٤



## أول الكتابة

### فريدة النقاش

ما أشبه الليلة بالبارحة .. البارحة هي حرب الخليج الثانية حين قام النظام العراقي بغزو الكويت وإهدر سيادته في أغسطس ١٩٩٠ وعجز النظام الإقليمي عن التوصل إلى حل عربي جماعي لخروج الجيش العراقي من الكويت سنة ١٩٩١ وحينذاك نشأ تحالف دولي واسع شارك فيه كل من مصر والسعودية وسوريا لمحاربة العراق وإخراجه من الكويت . وكان التبرير جاوز أمام الحكومات العربية وهو قرارات مجلس الأمن التي تأسست على الباب السادس من ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز لها استخدام القوة.. وقد كان .وجرى تحرير الكويت بعد مجزرة كبرى ضد العراق ، وتواصل منذ ذلك الحين فرض العقوبات الدولية وسندان نظام إستبدادي قمعي لم يعرف ذلك الشعب المذنب الواقع بين مطرقة العقوبات الدولية وسندان نظام إستبدادي قمعي لم يعرف له تاريخ البشرية مثيلا لا فحسب في وحشيته ضد شعبه وجيرانه وإنما أيضا من رعونته السياسية وعجزه عن إجراء قراءة صحيحة للواقع العالمي الجديد والعلاقات الدولية بعد انهيار العسكرية الاشتراكى وانفراد أمريكا بالهيمنة على العالم وسعارها من أجل الهيمنة على منابع الطاقة والتحكم في اقتصاديات منافسيها الكبار الاتحاد الأوروبي والصين.

والآن ، وبعد عذاب طويل راح ضحيته ملايين العراقيين فقتل منهم من قتل ومازالت من مات بسبب نقص الأدوية أو قمع النظام وهاجر من هاجر إلى بلاد الله الواسعة .. وأصبح هذا البلد الكبير الذى لعب على امتداد تاريخ الثقافة العربية الإسلامية دوراً مركزاً فى إبداعها وتطورها عرضة للافقار والإذلال ، وأصبحت ثروته النفطية الهائلة نعمة عليه لانعنة بعد أن استباحها نظامه للقيام بمخامراته العسكرية الطائشة مرة ضد إيران التى كان قد صالحها فى زمن الشاه ونظامه الاستبدادى الذى كان ركنا ثابتا من أركان السياسة الأمريكية - الإسرائيليـة فى المنطقة . ومرة أخرى ضد الأكراد العراقيين الذين يطالبون فقط بالاعتراف بهويتهم الثقافية وب伊拉克 فى ديمقراطى يعيشون فى إطاره بسلامة.

و ضد الشيعة الذين ربما يشكلون أكثر من نصف سكان العراق فضلاً عن إنهم شأنهم شأن العراقيين السنة هم جزء من النسيج الوطني لبلد كبير وغنى بتنوعه ومتانة ثقافته وثرواته ولكن النظام يمارس ضدهم تمييزاً طائفياً صريحاً.

ومرة ثالثة كانت قاصمة ضد الكويت التي اجتاحتها موجهاً ضربة كبيرة للقومية العربية ولحل الوحدة التي تطلعت لها الشعوب كخراج من سطوة الهيمنة الاستعمارية ، تلك الوحدة التي بات مستحيلاً في العصر الجديد أن يتم عن طريق الضم والالحاق وال الحرب مثلاً كان الحال مع الوحدة الالمانية والوحدة الإيطالية في القرن التاسع عشر ، لقد اختلف الزمان وتغيرت موازين القوة ونجحت أوروبا عبر نصف قرن وبعد حروب طويلة ومريرة فيما بين بلدانها في بناء الاتحاد الأوروبي عن طريق الاقتصاد قبل السياسة وبين الحاق أو ضم ، وهو ما كان يوسع العراق أن يقوم به لو أن نظامه امتلك رؤية صائبة وقدرة على التعايش مع جيرانه وإدارة علاقاته مع شعبيه.

لم يكن النظام العراقي الاستبدادي الفردي القمعي قادرًا على قراءة كل هذه الحقائق البسيطة الساطعة كشمس النهار بل إنه انقاد لغرور القوة وروح العظمة الفارغة التي تميز الملغاة عبر العصور ، ونسى في غمرة الحالة الطاوسية التي تلبسته أن الإمبريالية الأمريكية التي استخدمته لإضعاف الثورة الإيرانية الوليدة حين أطاحت بالنظام الذي شكل سندًا للسياسات الأمريكية الإسرائيلي في المنطقة -نسى أن هذه الإمبريالية يمكن أن تنقلب عليه بنفس القوة التي ساندته بها خاصة وأنها كانت قد سلحته وأمدته بالเทคโนโลยيا الجديدة لتطوير نظامه العسكري القمعي الوحشي ، وتصور بسبب الغرور والمفرطسة أنها يمكن أن تتسامح مع احتلاله للكويت البلد المستقل ذي السيادة وقد تراهى لخياله المريض أنه سيكون «سمارك» القرب الذي يوحدهم بالقوة كما صور له الأمر بعض الكتاب المنافقين والمرتزقة ..

وكانت الكارثة الكبرى التي استترفت جرماً لا يستهان به من طاقة العرب وثرواتهم فضلاً عن الشرح العميق في النظام الإقليمي ومخاوف الخليجيين من القوة العسكرية لجار عربي هو العراق ثم استدعاؤهم للقوات الأمريكية لترابط على أراضيهم بشكل سافر لأن النظام الإقليمي العربي لم يثبت أنه جدير بهذا الدور أو حتى قادر عليه ..

والآن وقد تغيرت الظروف والملابسات الواقع وتعذب الشعب العراقي عذاباً عظيماً ، وقبل

نظامه بكل مقررات مجلس الأمن ويعود المفتشين الذين شهدوا لصالحه رغم كل الملاحظات ، وبدلا من أن يستجتمع العرب قوتهم وينشئوا تحالفات دولية قادرة على اسقاط العقوبات عن العراق خاصة بعد م坦ة الموقف الأوروبي الذي جعل أمريكا وبريطانيا خارجتين على الشرعية الدولية في حربهما ضد العراق اكتفى العرب بالفرجة ، ولم يبادروا بإدانة المعتدي الذي إدانته العالم كله ، وانكشفت حالة العجز الفاضح التي أطلقت غضب الشعوب من عقاله ، وبيات واضحاً أنتا نشهد ولادة عصر جديد ، عصر سوف يعود فيه الاستعمار العسكري التقليدي لاحتلال أراضي الغير بالقوة كما فعلت أمريكا في أفغانستان وتُقْعِلُ الأن في العراق ، عصر يغير فيه الاستعماريون بقوة الجيوش نظم الحكم التي لا يرضون عنها ويفرضون نظماً عملية لهم يأمرون فقط بطبع ويشاورون فتركع ، عصر عنوانه عسکرة العولمة الرأسمالية التي تفتح الأبواب الموصدة بالجيوش لاب الاتفاقيات غير المكافحة والشروط المجنحة فقط كما هو الحال مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وإنقافية التجارة العالمية وهي المؤسسات التي أغرت البلدان الفقيرة في الديون ودمّرت اقتصادياتها واقتصرتها لست مهزوماً ما دمت تقاوم .

هكذا علمنا المفكر الشهيد «مهدى عامل» حين كتب عن الثقافة والمقاومة .. والمقاومة شانتها شأن الثقافة هي عملية إبداع متواصلة ومتجدد آبداً للحياة ذاتها ، هي روح النقد والوعي العلمي النزيه المتقد ، هي سعينا المشترك لتغيير واقعنا البائس لتكون الحياة جديرة بالعيش ويكون الشعب قادرًا على السيطرة على مصيره ومواجهة البرابرة الغزارة من الخارج والمستبددين الفاسدين من الداخل .

وسوف يفاجئنا الشعب العراقي تماماً كما حدث مع الشعوب التي حشدت طاقاتها لمواجهة الاستعمار من الصين لكونها ومن فيتنام للفلسطين ومن السود الأمريكيين لجنوب أفريقيا ، ومن الجزائر لنيكاراجوا سوف يفاجئنا بإبتداع أشكال جديدة للمقاومة وإنتاج قيم مواكبة لها مستهمة الثقافة الوطنية ذات الأفق الإنساني وهي تنسج ببطء وصبر تلك الوسائل المتينة مع الكفاح المشترك للشعوب بوجهه الوطني والاجتماعي .

وإنه لشرف عظيم للشعبين الفلسطيني والعراقي أنهما معاً أخْنَاءً مجدداً شعلة التضامن العالمي ، وتنسج رقعة هذا التضامن يوماً بعد يوم ضد العولمة الرأسمالية متطلعةً لتجديد

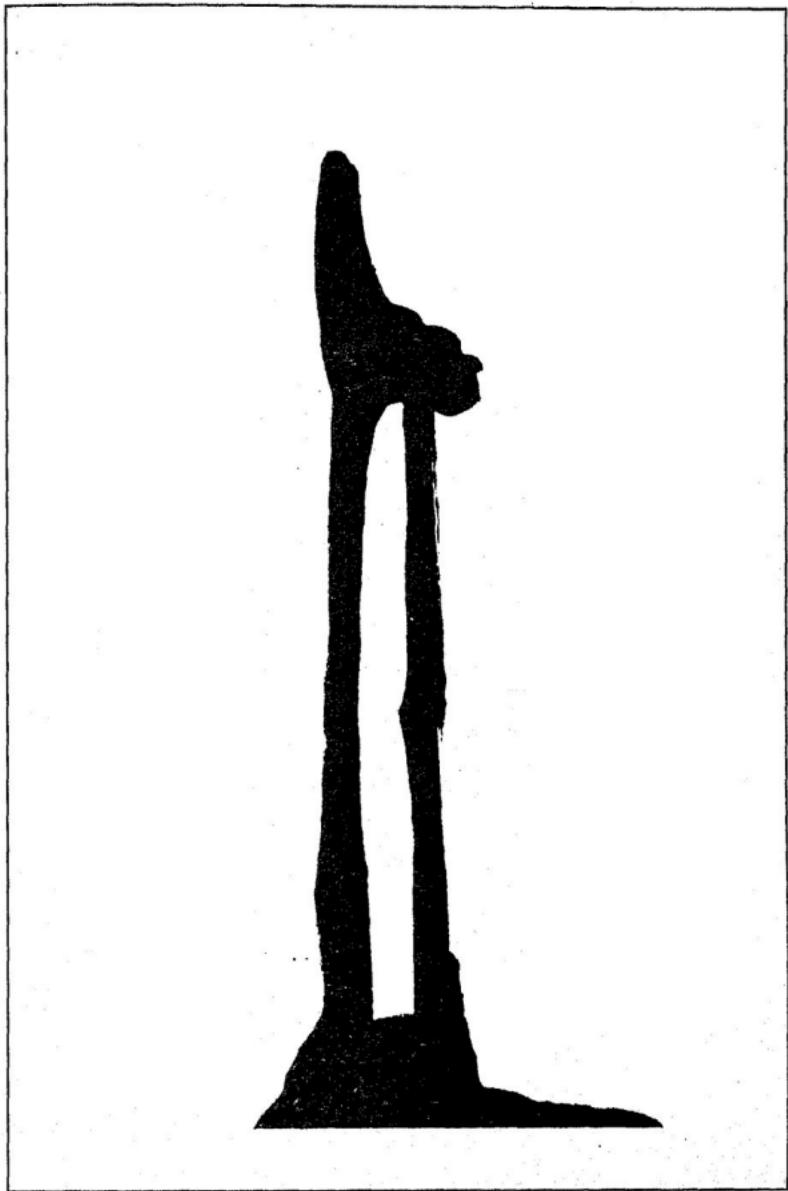
الاشتراكية ، مستفيدة من الخبرات المترامية البشرية من النجاحات الكبرى ومن الاخفاقات من ثورة أكتوبر إلى ثورة الصين إلى تراث حركة التحرر الوطني التي هزت الاستعمار القديم ، وحققت الاستقلال ، وأطلقت الأحلام وأنجبت ثقافة غنية في مفرداتها الأدبية والسينمائية والمسرحية وفي قيمها ومثلها العليا وأشكال تحالفاتها السياسية وأنماط حياتها جعلت بعض كبار المبدعين الأوروبيين والأمريكيين الذين بحثوا عن إلهام جديد بعد أن بدا لهم أن الحداثة استنفذت نفسها يذهبون إلى إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأسيا مواطن التحرر الوطني والإبداع الثقافي المطازج والاحلام الجديدة والمثل العليا الإنسانية واهوت التحرير والرواية السحرية وانتفاضات الشعوب وروح المقاومة والفاء والتضامن الإنساني والرحمة وهي جميعاً قيم كانت الرأسمالية الوحشية قد داستها بالأقدام مطلقة روحًا عدمية كلية مخيفة تتغلب على الحدود القصوى للمنفعة واللذة العاربة.. سوف يتالم الشعوبان العراقي والفلسطيني وسوف يطول زمن التحرر الوطني الجديد في مواجهة الاحتلال كما تالم الشعوب العربية كافة تحت وطأة الاستغلال والاستبداد لكن أركان الاستغلال والاستبداد سوف تتقوص حتى وإن طال الزمن تحت ضربات الغضب الشعبي والحركة الجماهيرية التي ستخرج أن أجلاً أو عاجلاً من قبضة الوعي الزائف وقيود الجلادين وسوف تعيّن هذه الحركة المثقفين على إستعادة عافيتهم ويوصلهم والخروج من المتأهنة والانحراف في الكفاح من أجل إصلاح جذري شامل هو الخطوة الأولى لمساندة العراق وفلسطين ولستنا مهزومين ما دمنا نقاوم .. وسوف نقاوم.

## بانتظار البرابرة كافكى

**ترجمة: سعدان يوسف**

كل الخواتم ذات الزمرد المتألق،  
لم يحملون اليوم صوالياتهم الشفينة؟  
ذات المقابض الفضة والنهايات الذهب؟  
لأن البرابرية سيمصلون اليوم  
وأشياه كهذه تدهش البرابرية.  
لهم يأت الخطباء ، المفوهون بهذا كالعادة  
ملقين خطبهم ، قاتلين مما يتبعى أن يقولوا «  
لأن البرابرية سيمكونون اليوم هنا  
وهم يسامون البلاغة والفصاحة.  
لهم هذا الضيق المفاجيء والاضطراب .»  
لهم عدت عايسة وجوه القوم؟.  
لهم تخلو الشوارع والساحات ، سريعاً.  
والكل يعود إلى داره ، غارقاً في الفكر؟  
لأن الليل قد هبط ، ولم يأت البرابرية  
ولأن أنساساً قدموا من الحسود  
وقالوا أن ليس ثمة برابرية.  
والآن.. ماذا نفعل بدون برابرية؟.  
لقد كان هؤلاء نوعاً من حل.

ماذا ننتظر في الساحة ، مزدحمين؟  
البرابرية سيمصلون اليوم  
ولم مجلس الشيوخ معطل؟  
السوق لا يشرعون القوانين  
فلبس هد جالسون هناك إذن؟  
لأن البرابرية يوصلون اليوم  
إلى قوانين سيسنرها الشيوخ الآن؟  
عندما يأتى البرابرية ، سيسنرون لهم القوانين  
لم يسيطرخ أمراً ضورنا ، مبكراً هكذا؟  
ولم يجلس لأن معملاً عرشه معتمراً تاجه  
عد المواجهة الكبرى للمدنية؟  
لأن البرابرية يوصلون اليوم  
والاعمار خور ينتظر استقبال قائدتهم  
والحو انه تهياً لوجه إليه خطبة  
حلي عليه فيها كل الأسماء والألقاب  
لم خرج منضلاناً معاً والقضاء  
بأغفهم الحمر ، وأقباهم المزرفة  
لم هذه الأسوار وكل هذا الحجر الكريم.



# الاغبياء وسيدةهم

شعر: ألن جنسبروج

ترجمة: أحمد عمرو شاهين

أوراقه	الغبي يدير العالم
يقول أنا غبي	الغبي هو النتاج الأخير للرأسمالية
وأحكم الولايات المتحدة وروسيا	الغبي يدير المباحث الفيدرالية
وإنجلترا ويوغوسلافيا وبولندا والأرجنتين	منذ عينه روزفلت
والسلفادور وأنصاع في الصين.	ولم يطارد -قط- المجرمين الحقيقيين
الغبي يملئ أوامره للزراعة الكيماوية	الغبي يفرض النقود لشرمطة الدول النامية
في مناطق إفريقيا الصحراوية	من خلال بنك الاعتماد الدولي
ويأمر بتخفيض مستوى المياه في كاليفورنيا	الغبي يقرر حرق القمح
لصالح البنوك المالكة لمزارع البرتقال	لتظل الأسعار مرتفعة في الأسواق
الغبي يدير وزارة الدفاع	الغبي يزرع الأعضاء البشرية
وأخوه يدير وكالة المخابرات المركزية	في سويسرا
الغبي يحرر ويكتب التايمز والنيوزويك	الغبي يستيقظ في منتصف الليل ليترتب

<p>الغبي بني المركز العالمي للتجارة على شاطئ نيويورك دون اعتبار لمكان تصريف النفايات الغبي بدأ يقطع أشجار نهر الأمازون لبني مصنوع أخشاب على شاطئه ومن إنسانيته فقد بني غرفة قوس قزح على قمة مركز «رووكفلر» حتى يمكن أن ترقص على أنقاضها .</p> <p>* أن جنسبرج أحد أشهر الشعراء الأمريكيين في العصر الحديث ، أسس ما يسمى بـ «شعرية البيت» عبر دواوينه «قاديش» «عوا» و«أمريكا» .</p> <p>ومن الغريب أن جنسبرج لم يحصل على جائزة «بوليتزر» وهي أشهر الجوائز الأدبية في الولايات المتحدة ، نظراً ل موقفه المعادي للإمبريالية الأمريكية .</p> <p>وقد توفي «جنسبرج» في عام ۱۹۹۷ .</p>	<p>والوول ستريت والبراندو الأزفستا الغبي هو الرئيس ورئيس الوزراء والمستشار والسناتور .</p> <p>الغبي ينتخب رئيس الولايات المتحدة **</p> <p>الغبي يصنع الأسلحة في الأرض المقدسة ويبيعها للعنصررين البيض في جنوب إفريقيا</p> <p>الغبي يزور جزر الالات أمريكا الجنوبية بطائرات الهليوكتر وتقتل الهندو الحمر</p> <p>الغبي يرسل طائرات الصهاينة لضرب مخيمات اللاجئين خارج بيروت</p> <p>**</p> <p>الغبي أصبح شاعراً كبيراً وجال في العالم متغرياً بأمجاد الغبي وأعلن انتصاره في مسابقة الشعر</p>
---	---



العرب وعالمية الثقافة

د. محمد زكي العشماوى

صدره ، وفتح كل الأبواب للحوار مع الأديان الأخرى بكل الوسائل الحضارية من مناقشة وتحكيم العقل ، والطرق العلمية في تفسير المواقف وطرحها بالمنطق والإقناع حتى يلشنق هذا الحوار جانباً كبيراً من كلمات الله في البحي المنزل . قد يصل إلى ثلث الآيات الكريمة أو أكثر . بل إن القرآن الكريم ليؤكد أن إيمان الإنسان المسلم لا يمكن أن يتم على وجهه الصحيح إلا إذا آمن بكل من سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والرسل .

هذا فضلاً مما قدمه الخلفاء المسلمين حين تزايدت مستويات الدولة واتسعت رقعتها فاقتبسوا أفضل النظم لإدارة الدولة وتطورت أساليبها على نحو ما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تطوير دواوين البريد والخراج ونظام التقيش على الولاية ومحاسبتهم :

وعلى نحو ما فعل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزير حين أبدى اهتماماً كبيراً بالعلوم وعلى الأخص ما يقى في الإسكندرية وانتفاكه من علوم اليونان وما كان عندهم بلفتهم من علوم ألم أخرى . وفيما يتصل بالاهتمام بالعلوم وتطورها فقد بذل العرب في ذلك جهوداً كبيرة خلاقة وفاعلة أثرت المعارف وطورت العلوم، ونهضت بالآلة نهضة ثقافية عالية، ولم يدخل العرب جهداً في هذا المجال الذي يمثل التواصل الحقيقي بين الثقافات والتزود بالمعارف واتجاهاتها المختلفة حيثما وجدت منذ القرن الأول للهجرة ،منذ ترجمة الأمير الموسى خالد بن يزيد أول كتاب من علوم الأول إلى اللغة العربية وفطن إلى أهمية علم الكيمياء في تطوير علم الصيدلة .

منذ ذلك التاريخ بدأت الجهود توافر لترجمة كتب العلوم من اللغة السريانية حيث كان أوائل المתרגمين من السوريان كما أوجدو نظاماً تعليمياً يكلل نشر تعلم لغات الأمم السالفة المتقدمة في العلم لنقل ما لديها من معرفة وعلم وذكر عن لغاتها الأصلية من يونانية وقبطية وسسنكتيرية وهندية وفارسية وصينية فكانت ثورة علمية حقيقة للتزود بشمار الفكر الإنساني ومحاولة تيسيرها وتقريبها والعمل على استيعاب العقل العربي لها حتى يمكن توظيف هذه العلوم، واستثمارها في إطار واقعها الثقافي والاجتماعي .

وكان من نتيجة هذه الجهود المتصلة للترجمة أن نشأت كنائس من المתרגمين من أشهرهم ماسرجوه (أوماسرجيس) ، وأبي يحيى البطريق وآل حنين، وابن لوقا ، ومحمد بن إبراهيم الغزاوي الذين ترجموا في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء والصيدلة والطب والجغرافيا والهندسة والموسيقى .

وقد استطاعت حركة الترجمة هذه منذ القرن الأول الهجري وما يليه أن يعقبها تحول كبير في الثقافة العربية وأبرز مظاهر هذا التحول كان في الإبداع والتجديد والابتكار وظهور علماء تركوا آثاراً باقية حتى الآن في مختلف نواحي المعرفة والإبداع علماء وفلاسفة أفادوا من أمثال الفارابي و ابن سينا و ابن رشد وبهر الخيام والبيرونى والطوسى نصيراً الدين ثم فخر الدين وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم والرازى والخوارزمى والتونسى والساساعى، ومنهم اليهود من أمثال أبو العشار وموسى بن العازار ومنهم ثابت بن قرة الصائفى والمسعودى ، والإدريسى ، وغيرهم كثير منهم العربى والبربرى والهندى والفارسى .

أو التركي أو الروسي أو القبطي المصري أو السوري أو الحبشي الأصل وكان بينهم مسيحيون ويهود ومجوس كلهم خدموا العلم والفكر والثقافة. هؤلاء هم الذين أقاموا الحضارة الإسلامية وجعلوها منها ثقافة مستنيرة ذات حضارة عظيمة تستطيع أن تدخل في حوار حضاري مع العالم عطاءً وأخذًا. كل هذه نتاج محاولة جادة ومتعددة للتواصل بين الثقافات والتحاور بين المضمارات من خلال جانب واحد هو الترجمة التي هي الباب الشرعي لهذا الحوار وهذا التواصل بواسطته هذا الباب أن يكون قادرًا على تحقيق التفاعل البناء بين حضارات وثقافات الشرق والغرب.

ولقد سادت حركة الترجمة عند العرب على مرحلتين: الأولى كان يعمل فيها العلماء فرادى كل بحسب مزاجه وبنون أن يكون للدولة شأن بهم ، والثانية كان للدولة فيها شأن عظيم إذ أنشأ المamon ما يسمى ببيت الحكم حيث يجتمع القائمون على الترجمة تحت رعاية الخليفة ، وكان نتيجة ذلك أن أصبح بين يدي الدارسين ترجمات لمعظم أعمال أرسطو ، وما كتبه الشارحون للفلسفية المحدثة وبعض محاورات أفلاطون ، ومعلمزم مؤلفات جالينوس ، وأجزاء مما كتبه غير جالينوس في الطب.

كل هذا قد تحول عند العرب في القرن الرابع الهجري إلى ألوان جديدة وبمتكرة كانت شرة لما تعلمه العرب واستساغوه من ثقافات ثم طبعوه بطبعهم .. انظر مثلاً إلى أبي حيان التوحيدي تجد نفسك أمام فكر جديد لا عهد للعرب به من قبل فلا هو يشبه ما سبق من ثراث عربى ولا هو يعتبر نقلًا كاملاً لما ورد من فكر أجنبى وأى ، وإنما هو مزاج جديد فريد - ولم يكن أبو حيان وحده بل كان لكثير غيره أثر واضح بعد ذلك في عصر النهضة في أوروبا حينما تحول هذا الفكر إلى الغرب عن طريق الترجمة فاتى شارعه عند المفكرين من علماء الغرب وأدبائه من هذه الأسماء الامعة فلاسفة كالفارابى وأ ابن سينا وأ ابن رشد ، وشعراء كبار كالمنتنى وأبى العلاء ونقاد شهورين تركوا بصماتهم على مسار التاريخ مثل عبد القاهر الجرجانى ، وعلماء في الرياضيات والفقه والكميات والطب وغير ذلك من شتى مجالات العلم والأداب.

وإذا نظرت في «ألف ليلة وليلة» وجدتها حكايات معظها ينتمي بجوها إلى القاهرة في العصر الفاطمي ، أو إلى بغداد في أواخر العصر العباسي . وهي جزء من ثراث الأمة العربية ، وعندما تتمعن أكثر فأكثر تجد أنها جزء من ثراث الإنسانية ، ولذلك عندما ترجمها الكاتب الفرنسي «كالاند» ونشرها لأول مرة سنة ١٧٠٤ م ومن الفرنسيّة ترجمت إلى الإنجليزية في الحال ظهرت الترجمتان معاً في باريس ولinden شعر الناس في كل مكان أنها جزء من ثراثهم وهو لا يدركون به ، فاقبلوا عليها بلهفة عجيبة ، بحيث طبعت مرات عديدة ضمن مدى زمني قصير وما زالت تتواتي طبعاتها.

وكان آخر «ألف ليلة وليلة» في الرواية الانجليزية والفرنسية كبيراً جداً بوجه خاص في القرن الثامن عشر وهو لا يزال كبيراً حتى اليوم كان أثراً قد لا يفوقه أو يساويه إلا آخر التوراة والأساطير والملحم في نوع التركيب ، وفي نوع العواطف والأحلام والنزاعات التي تسير الأحداث وتحكم بحياة الأشخاص بل إن هناك روايات عديدة كتبت بالضبط على الطريقة القريبة القليلة من ألف ليلة وليلة يومئذ ذكر منها روایتی فولتير «كانتير» و«صادق».

فالليلة والليلة عن طريق القصص وعن طريق الحلم بشخصياتها وأحداثها ورموزها غدت منذ ذلك

اليوم جزءاً من ثقافة كل إنسان في العالم منذ طفولته لأنها تؤدي هذا التوقيع إلى عالم أ美的 وأعجب عن طريق أناس من كل دنون فيهم الأخيار والأشرار.

وإذا انتقلنا إلى نجد الترجمة في التأثير والتأثير وعالية الأدب في عصرنا الحديث فسنجد أن قضية الإيمصال أو الترجمة قائمة بكل خطورتها عبر الأجيال منذ رفاعة رافع الطهطاوى إلى يومنا هذا .. فبالنسبة إلى أدبائنا المعاصررين فقد نقلت بعض كتابات طه حسين إلى الإنجليزية والفرنسية هناك مثلاً أكثر من ترجمة إنجليزية واحدة لكتاب «ال أيام » وكذلك نقل مسرح الحكيم وبعض أعمال نجيب محفوظ وغير هؤلاء وجدير بالذكر هنا مجموعة الشخصيات العربية المعاصرة التي اختارها وترجمها نديس جونسون ليقيس ونشرتها مطبعة أكسفورد في السبعينيات من القرن الماضي . وكان رد الفعل متقدراً لدى الطلاب الأمريكيان والإنجليز رغم على قدر عالٍ من النجاح والذكاء .

وهنالك العديد من الروائيين والشعراء المغاربيين والجزائريين استطاعوا أن يقتحموا السوق الأوروبية برواياتهم وقصائدهم المكتوبة بالفرنسية مع أن مواضعها كلها كانت عربية محضًا. وإنه ليصعب حصر أسماء الذين نشروا وما زالوا ينشرون في لغات الغرب رواية وشاعراً ونقداً أدبياً ومن هؤلاء انوار سعدي، أمريكا ومصطفى بليو في إنجلترا.

وفي هذا دليل على أن الطاقة العربية على إثارة الانتباه إلى عطائنا قائمة بذاتها. ومن العرب كتاب كثيرون كتبوا وكتبون أسباب أو لأخر باللغات الأجنبية وبخاصة بالإنجليزية والفرنسية ويجدون لهم مكانة ربما كانت في الصدارة . فجبران خليل جبران على سبيل المثال تقرأ أعمال كتبها بالإنجليزية على نطاق واسع لا يتحقق إلا لكتابات نقد قليل من أكبر الكتاب المعاصرين وقد جاءت فترة كان ي寫 فيها من كتابه «النبي» لجبران حوالي مائة ألف نسخة سنوياً . كما أن جورج شجادة كتب شعره ومسرحياته بالفرنسية وخطه مشهورة بين الكتاب الفرنسيين الأعلم.

ونجد في النهاية أن نخلص مما قلناه أنتا إلى بعض الحقائق فما من شك في أن لغة ابتدعت «ألف ليلة وليلة» ستبتعد مالا يحدد للإنسانية من الانتباه إليه ولكن لابد من التاكيد أيضاً أن العالمية ليست صفة لأدب أمم ما دون الأمم الأخرى ، أو لغة ما دون اللغات الأخرى فالنبلة الحضارية لأمة تطبع نورها . وهذا لا يرب فيه وإنما المسألة في صلبيها إنما هي رهن بظهور أفراد أقدادهم من خلق مجتمعهم وتراثهم وهم في الوقت ذاته من خلق عبقرياتهم الخاصة . من سنباد ألف ليلة وليلة إلى هاملت شكسبير ، ومن بوشيفوسكي إلى صوفوكليس فتنجو رموزنا تتعامل مع البشرية في محاولة لفهموضع البشرى ، وهي محاولة لا تنتهي إلا بانتهاء الإنسان موضوع هذه العالمية العزيزة المطلوبة ، وما أعمال هؤلاء الأفذاذ على تباين لغاتها إلا جزءاً من حضارة واحدة وما هي إلا أوجه متعددة لهم إنساني واحد أو هموم إنسانية واحدة .



## هيجل والمطلق الفلسفى

د. ربيع الدبس

. وواقع الأمر أن ماركس حاول أن يدمّر للهيجلي بوصلتها حين نفى تماهي الفكر والواقع وحاول في أبحاثه التاريخية والاقتصادية إثبات مادية التاريخ والفكر . ولم يحتفظ ماركس من هيجل في فلسفته باكثير من المنهج الجدل والترمذة الديناميكية الصادرة عنه ، التي تنتقل بموجبها المجتمعات من الشاعبية إلى الشبوبية ، مروراً بالعبدية فالاقطاع فالرأسمالية ثم الاشتراكية (٢).

والمطلق الهيجلي ذاته يقول بوحدة محتوى الدين والفلسفة بالرغم من اختلاف ظهور «الفكرة اللاذئانية» بصور وأمثال في الدين وتجليها بمقاهيم العقل في الفلسفة وهي عند هيجل «فلسفة الحق» . مما هو عقلاني هو واقعى وما هو واقعى هو عقلانى ، ويضيف هيجل أن الدولة توجد

بقي القرن التاسع عشر يتفاعل مع الفكر الهيجلي ، كائنه لم يعرف العيش فى أوروبا إلا مع هيجل أو ضدّه ، ولعل أولى محاولات الاعتقاد منظومة الفكر الهيجلي جاءت مع الفيلسوف الدانماركي كيركيرجارد ، وهو الأب الحقيقي للوجودية فقد رأى مصاحب المؤلفات المشبعة بالفردية والمؤسسة عليها أن فلسفة هيجل تجرد الإنسان ومن وجوده الحقيقى ، وتجعل منه هيكلًا عقليًا بفعل الفكر التجريدي الذى أبعد الإنسان عن واقعه الحقيقى حينما ألغى اعتبار ماديته وتاريخيته وصيرونته (١) . أما اليسار الذى كان يطالب بتغيير الواقع تغييراً جذرياً خصوصاً فى أواسط القرن التاسع عشر ، فقد عبر كارل ماركس عن رأيه (أى اليسار) فى المنهج الهيجلي بقوله: «وجدت هيجل واقفاً على رأسه فأرتفعت على قدميه»

يفتقر تعريبه إلى الدقة) إن فكرة العقل تحتل في فلسفة هيجل مكانة مركبة حتى أن فلسفته لا تدرس موضوعا واحدا في مجالات مختلفة: العقل الخالص في المنطق والعقل في حالة اغتراب عن نفسه في الطبيعة والعقل حين يعود إلى نفسه في فلسفة الروح<sup>(٦)</sup>.

ولابد من التمييز بين مراحل ثلاثة على الأقل في حياة هيجل ، مرحلة هيجل الشاب النازع إلى اللاهوت ، ومرحلة هيجل الفيلسوف المشرب في البداية أفكار حركة التنوير (خصوصاً ليسينج وهردر) وأفكار كانت ، ومرحلة الفيلسوف الذي تتضخم مقولاته المطلقة فانداحت على مدى العالم . ففي أجواء المرحلتين الأولى والثانية أصبح هيجل في جامعة توبينغن الصديق الحميم لهولدرلن . وعلمناه أن هولدرلن مشغوف باليونان والفلكلور شبه الوحيدة التي كونها من اليونانيين القدماء انهم شعب بطولي وخالد الشباب ، وإنهم الشعب الوحيد الذي عرف كيف يتنى سائر ملائكة الخلقة والجسدية بطريقة منسجمة ، والشعب الوحيد الذي عرف كيف يخلق حياة جميلة حقا .. وترسم الإعجاب الذي كان هيجل يشعر به لاتجاه الإغريق ، بسبب احتكاكه بهولدرلن ، فكانت الحرية السياسية في المدن اليونانية تستوقفه يوما ، فيرى فيها مذمك الإنسانية السامية التي تناست في تلك المدن وبخضوع هيجل في جامعة توبينغن لتأثير حركة التنوير Enlightenment الذي لم يملا كلية الفلسفة وحسب بل كلية اللاهوت أيضا<sup>(٧)</sup> . ثم طور هيجل مفهوماته بل مشروعاته للحياة والحب والحرية فعارض حركة التنوير وكاتب وتجاوزهما وفي مجال حرية الفكر رأى هيجل أن الفكر يكن حراً عندما لا يكون مستبعداً لمحظى خارجي ، بل يتحرك بذاته وأوضاعه ، داخل ذاته ، تعيناته الخاصة.

لذاتها أو أن الدولة هي الحياة الأخلاقية . ويعتبر الدولة «الكلى الأخلاقي والحقيقة الواقعية للحرية»<sup>(٨)</sup> كما يرى هيجل أن العقل حاضر في الدولة إذ المواطن هو «ضمير الفردى الخاص المتعالى إلى كلية» والدولة هي إرادة الإنسان كما يريدها بعقل . يقول هيجل «الدولة هي الحقيقة الواقعية للفكرة الأخلاقية .. فالدولة بما هي حقيقة واقعية للإرادة الجوهرية ، حقيقة واقعية يملكتها الفرد في ضميره الفردى الخاص المتعالى إلى كلية» Universality . هذه الدولة هي العقلون بذاته ولذاته . وهذه الوحدة الجوهرية هي هدف بذاتها ، مطلق وثابت ، هدف تبلغ فيه الحرية حقها الأعلى ، بالإضافة إلى أن هذا الهدف النهائي يملك الحق الأعلى تجاه الأفراد الذين واجبهم الأول والأسمى أن يكونوا أعضاء في الدولة<sup>(٩)</sup> . وحدتها الدولة لها أهداف واهية وكلية في الوقت عيشه والأفضل القول انطلاقاً من ماهيتها أن لها أكثر من الأهداف ، لها هدف واحد ، هدف يمكن التفكير بهائي هدف غيره: العقل وتحقيق العقل ، أي الحرية ، فالدولة هي العقل المتحقق وبما أنها عقل متحقق فهى الحرية الإيجابية التي لا تطളوها أية حرية عينية<sup>(١٠)</sup> . وفي زعم هيجل أن الآثار وعوا الحرية على حقيقتها وميزوها عن الانسياق وراء النزوات . أما اليونان ففهموا الحرية لكنهم لم يعتبروها للجميع فاختنوا لهم عبيدا وأمام المشارقة في رأي هيجل التاريخي فلم يكونوا واعين حرية<sup>(١١)</sup> ، ولذلك لم يكونوا أحراراً .

ويستخلص هيجل من تاريخ العالم أن تطوره كان مساراً عقلياً وأن التاريخ يشكل المجرى العقلي الضروري لروح العالم» . وكذلك يقول إن الدراسات التاريخية لا تقدم سوى فكرة واحدة هي أن العقل يحكم التاريخ . ويرى إمام إمام (الذى

المحسوس **أما الهيجلية** ، بعكسه ، فيرأىRené Serreau في فلسفة المعايشة: فالطلق هو الذات الكلية التي تحتوى على كل شيء وليس الأشياء كلها سوى تساميها الديالكتيكي . فهذه الذات الكلية التي يسمى بها الفكرة الشاملة أو الأفهوم فالآفهوم هو المفهوم الكلى الذى يشتمل على تعيناته فى تمام دياركتيكي وبهذا المعنى أنه ما هو عيني على الإطلاق .. إن ما هو أول بالنسبة لهيجل هو الفكر . ولكن ليس الفكر ذاتي ، أى مجرد الظن ، بل الفكر الموضوعى الذى يتمااش مع الكلى . أما الكلى المعنوى الذى ينبع من العقل فهو الأفهوم ، أى الفكر الذى يتحدد ويتعين ويتخذ مضموناً.

إن المنظومة الهيجلية هي شرح موسع لـ الـ دـيـالـكـتـيـكـيـةـ وـاسـعـةـ:ـ الـ فـكـرـ،ـ الـ طـبـيـعـةـ،ـ وـالـ رـوـحـ .ـ وـيـتـبـعـيـ أـنـقـ،ـ إـنـهـ تـدـرـسـ الـ فـكـرـ الشـامـلـةـ،ـ أـىـ الـ طـلـقـ،ـ وـذـلـكـ فـيـ الـ لـحـظـاتـ الـ ثـلـاثـ لـلـمـنهـجـ الـ دـيـالـكـتـيـكـيـ :ـ الـ وـضـعـ (ـالـقـضـيـةـ)ـ وـالـنـفـيـ (ـالـنـفـيـةـ)ـ وـالـتـوـجـيدـ (ـالـتـالـيـفـ)ـ أـوـ الـجـمـيـعـ كـمـ يـسـمـيـهاـ عـبـدـ اللهـ العـلـاـلـيـ)ـ فـالـفـكـرـ الشـامـلـةـ،ـ أـىـ الـ طـلـقـ هـيـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ الـ فـكـرـ المـخـفـنـ ،ـ أـىـ اـسـاسـ كـلـ وجودـ طـبـيـعـيـ وـرـوـحـيـ وهـيـ بـذـلـكـ تـعـادـلـ مـاـ يـسـمـيـ فـيـ الـ فـلـسـفـةـ الـ روـحـانـيـةـ بالـفـكـرـ الإـلهـيـ قـبـلـ خـلـقـ الـعـالـمـ .ـ ثـمـ انـهـ بـعـدـ ذـلـكـ الـ فـكـرـ الـ مـتـخـارـجـ الـ تـخـرـجـ مـنـ ذاتـهاـ لـتـبـهـرـ فـيـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ عـلـىـ أـنـهـ الـ طـبـيـعـةـ .ـ وـأـخـيـراـ ،ـ إـنـهـ الـ فـكـرـ الـ عـائـثـةـ إـلـىـ ذاتـهاـ بـعـدـ هـذـاـ الـ اـغـتـارـ ،ـ فـتـصـبـحـ عـندـهـ رـوـحـاـ وـاقـعـيـاـ ،ـ أـىـ فـكـراـ وـاعـيـاـ لـذـاتـ(ـ٨ـ)ـ .ـ

وـإـذـاـ كـانـ هـيـجـلـ قدـ رـدـ كـلـ نـشـاطـ إـلـىـ الـعـقـلـ فـالـجـوـهـرـ فـيـ جـوـهـرـهـ رـوـحـ مـطـهـرـ منـ كـلـ وـاقـعـ مـباـشـرـ يـسـمـيـ دـائـماـ إـلـىـ تـصـورـاتـ مـنـ هـنـاـ تـقـدـمـ الـ فـكـرـ الـ تـجـمـعـ فـيـ ذاتـهاـ الـ فـكـرـ وـالـجـوـهـرـ ،ـ الذـاتـ وـالـمـوـضـوـعـ هـيـ الـوـاقـعـ الـوـحـيدـ .ـ وـتـنـطـلـقـ هـذـهـ

صـحـيـحـ أـنـ هـيـجـلـ وـصـفـ مـذـهـبـ الـمـاثـالـ صـحـيـحـ وـتحـتـ هـذـاـ الشـعـارـ يـصـنـفـ دـائـماـ مـؤـرـخـ الـفـلـسـفـةـ ،ـ لـكـنـ عـبـارـةـ الـمـاثـالـةـ فـضـفـاضـةـ لـذـلـكـ يـنـبـغـىـ أـنـ نـدـرـ بـأـىـ مـعـنـىـ اـتـخـذـهـ هـيـجـلـ .ـ يـنـبـغـىـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ أـنـ تـسـتـبـعـ الـمـعـنـىـ الشـانـعـ الـفـلـسـفـةـ وـمـفـاهـمـ أـنـ تـقـابـلـ بـاسـتـرـمـارـ الـمـاثـالـ بـالـوـاقـعـ ،ـ أـىـ مـاـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـ بـمـاـ هـوـ كـانـ .ـ وـلـعـلـ هـدـفـ الـفـلـسـفـةـ هـوـ أـنـ نـفـهـمـ الـوـاقـعـ وـأـنـ نـجـعـلـهـ مـعـقـلـاـ بـالـتـامـ .ـ يـجـبـ أـنـ نـسـلـمـ بـأـنـ كـلـ شـيـءـ هـوـ عـقـلـىـ (ـفـكـرـىـ)ـ ،ـ أـىـ أـنـهـ قـبـلـ للـتـعـلـقـ بـصـورـةـ مـطـابـقـةـ ،ـ وـأـنـهـ مـنـ طـبـيـعـةـ أـنـكـارـ الـعـقـلـ ذاتـهاـ .ـ أـمـاـ هـيـجـلـ فـلـيـسـ ثـمـ شـيـءـ فـيـ ذاتـ ،ـ وـلـيـسـ ثـمـ وـاقـعـ مـسـتـقـلـ عـنـ الـفـكـرـ .ـ غـيرـ أـنـ هـذـاـ لـاـ يـعـنـىـ أـنـ لـاـ يـوـجـدـ سـوـىـ كـائـنـاتـ مـفـكـرـةـ عـلـىـ شـاكـلـ مـاـ يـيـشـرـ بـهـ بـرـكـلـيـ الـذـيـ يـصـفـونـهـ غالـباـ بـالـمـاثـالـ إـنـ صـورـةـ الـمـاثـالـةـ هـذـهـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ أـنـ الـأـشـيـاءـ الـحـسـيـنـةـ لـيـسـ سـوـىـ عـالـمـ ذاتـ ،ـ أـىـ عـالـمـ الـوـجـدانـ ،ـ يـرـفـضـهـ هـيـجـلـ باـعـتـبارـهـ مـوـقـعاـ سـطـحـيـاـ .ـ وـلـكـيـ نـقـنـعـ بـذـلـكـ فـلـنـكـرـ بـهـذـاـ المـقـطـعـ مـنـ كـتـابـ (ـمـاحـاضـراتـ فـيـ الـاسـتـطـيقـاـ).ـ

إـنـ رـيـشـ الطـيـبـوـرـ المـتـعـدـ الـأـلـوـانـ يـلـمعـ ،ـ حـتـىـ لوـ لمـ يـرـهـ أـحـدـ ،ـ وـصـدـاحـهـ يـتـرـدـ حـتـىـ وـلـوـ يـسـمـعـ أـحـدـ ،ـ وـهـذـهـ الصـيـارـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـزـهـرـ إـلـيـلـةـ وـاحـدـةـ ،ـ وـتـكـلـ الـغـابـاتـ الـأـسـتوـانـيـةـ الـتـيـ تـشـتـبـكـ فـيـهاـ أـجـمـلـ الـبـيـانـاتـ وـأـخـصـبـهاـ وـتـقـوـحـ مـنـهـاـ أـعـذـبـ الـعـطـورـ بـكـلـ ذـلـكـ يـنـوـيـ وـيـسـقـطـ مـهـرـتـاـ بـوـنـ أـنـ يـسـتـعـتـبـ بـهـ أـحـدـ .ـ إـنـ الـمـعـنـىـ الـذـيـ يـعـطـيـهـ هـيـجـلـ لـكـلـمةـ (ـمـاثـالـةـ)ـ هـوـ الـذـيـ يـجـعـلـ الـفـكـرـ الشـامـلـةـ هـيـ الـمـطلقـ أـوـ الـمـبـداـ أـلـيـ .ـ فـهـاـذـاـ يـجـبـ أـنـ نـفـهـمـ مـنـ ذـلـكـ؟ـ نـحـنـ نـعـرـفـ أـنـ الـفـكـرـ-ـ الـمـثالـ بـالـنـسـبةـ لـأـفـلـاطـلـونـ هـيـ الـمـاهـيـةـ الـمـفـارـقـةـ لـلـمـحـسـوسـ ،ـ أـىـ النـسـوـذـعـ الـعـالـمـ الـذـيـ تـشـارـكـ فـيـهـ الـكـائـنـاتـ الـجـزـئـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـحـسـيـ

غـيرـ أـنـ مـثـالـ أـفـلـاطـلـونـ مـتـعـالـ ،ـ وـمـذـهـبـ ثـانـيـ لـأـنـ يـقـابـلـ بـصـورـةـ جـذـريـةـ بـيـنـ الـعـالـمـ الـمـعـقـولـ وـالـعـالـمـ

هذا التناقض بين الطرفين ينبع ثق طرف ثالث  
متمثل في شيء جديد يمكن هذا الشيء الجديد  
أشبه بالحظة متمنضخة من لحظتين متتصارعتين ،  
ولذلك سمعة أساسية لما تلاحظها في الواقع  
الإنساني من صيغة ، فالتناقض عند هيجل معين  
لا ينبع من إمكانات التطور وحافز التقدم .

واستبعاد التناقض ينم عن فهم سطحي للواقع . والتغلغل في صميم الواقع يكشف عن تلك الحركة الأساسية التي تبدي في الصراع بين المتناقضات وتتمثل في عملية التناقض وهي عملية كيانية في صميم الوجود الإنساني . هذا التناقض يفضي إلى تاليات مثمرة تؤدي بدورها ولا تنفك عن حد ، بل تنجم عنها حواجز جديدة للصراع وتبثث منها أفكار جديدة متناقضة ، وبذلك ترى الترات البشري رازحاً بتصورات تحمل في طياتها لحظات ثمينة في تطور الحياة الإنسانية<sup>(٩)</sup> .

وفي المعتقد اليبجي أن العقل الكانطي فارغ لأن ينتظر الإحساسات حتى يمتهن فالوعي الذي ثمرته التصور ليس موازيا بالضرورة للإيقين الحسي . وما يكاد الوعي يتقطّع ويرتّقى حتى يتبيّن أن موضوعا ما ليس هو الحقيقة فإذا قلنا: «الآن يحيط الليل جنابه» ربما أعقب ذلك مباشرة: «الآن لاح الفجر» ففي غمضة عين انتقلنا من موضوع محسوس إلى موضوع محسوس آخر . وإذا قلنا «هنا شجرة» ثم استدارنا فقلنا «هنا منزل» ، ففي المكان نفسه تغير الموضوع ومثل هذه التصورات: الليل ، الفجر ، الشجرة المنزل ، هي معانٌ أعمق من أن نحيط بها ونحن محسوسيون في نطاق الوعي الحسي ، ولا يمكن أن نصل إلى هذه المعانٍ إلا إذا تطور علينا وارتقي فالوعي الحسي على هذا ، قادر عن الإنطلاق نحو آفاق تفتها أمامه التصورات فإذا لابد لهذا الوعي من أن يتتطور حتى يمكنه أن يتغلّب إلى

الفكرة نحو الله وهو الروح الخالق للعالم . وكانت  
هيجل جعل المنطق لادوتا يبين فيه تطور الفكر  
حيث يغدو عقلاً كاملاً وفكرة مطلقة . وتكشف  
الفكرة المطلقة عن ذاتها في صور أولية في  
الطبيعة التي تندو تنتicipاً لها، ثم تكشف عن ذاتها  
في التاريخ ، الذي تتملّف فيه متقدمة من الواقع  
الموضوعي ، معتبرة هذا الواقع تعبيراً عن  
جوهرها وتصلّى الفكرة المطلقة إلى أسمى مقام لها  
في الفن والدين والفلسفة كأنما هيجل قد غلغل  
العالم كله بخلاف عقلٍ تتحقق فيه وحدة الفكر  
والوجود .

على أن تطور العالم لا يأتي عفواً، وإنما هو تغيير عن حركة عقلية، وتضم هذه الحركة في صميمها الفكر والوجود، فهى ذات موضوع فى آن واحد. ووظيفة العقل عند هيجل تختلف عن تلك عند كل من ديكارت وكانت، فالعقل عند ديكارت يجمع اليقينيات التي بلغت من الوضوح والتمييز حد أقصى، وعند كانت يشرع العقل للتجربة بمقولات أولية مطلقة ضرورية. وإذا كان كانت كما في ديكارت، ينفل التجربة، فإنه كان حريراً على أن يكون العقل الخاص هو المقتن لها. أما هيجل فيتضر إلى الطاقة البشرية وبوصفها طاقة تطورية مستعدة من المادة لكن العقل يبقى أسمى شئاناً من المادة.. وتاريخ البشرية هو تاريخ الفكر وبحركة التاريخ هي حركة الفكر، وعلى ذلك فتفسير الواقع لا يكون إلا بالفكر المبثوث فيه. من هنا أهمية التاريخ لدى هيجل ففي التاريخ يتم اتحاد الفكر بالواقع . وقد ببلو لأول وهلة أن التناقض يفضي إلى تدمير الواقع و يؤدي إلى بث الفوضى في نشاطه، لكن التناقض عند هيجل إيجابي بناء فهو شرط جوهري لتطوير الواقع . ويمكن أن يكون التناقض داماً لو أدى إلى أن يدمر الطرفان التقىحان أحدهما الآخر ، ولكن من

أعمق التصورات وهنا يحضرني نقد هيجل لزميله شيلينغ في النتائج التي توصل إليها فالطلق لدى الأخير يشبه ليلة جميع الأبقار فيها سوداً.

وعرسى هيجل من هذا يمكن توضيحه كما يلى فحيثما قلنا هنا شجرة «يمكنا أن نقول «هنا لا شجرة» (بيت أو حديقة) «نقولنا «هنا» ينطوي أيضاً على «الاهانة» وحين نقول «منزل» ينطوي علينا أيضاً على «اللامنزل» ففكرة السلب ماثلة دائماً في لحظة الإيجاب ولابد من مشول هذه الفكرة إذ بها وحدها يمكن أن يتسع مجال النظر عندنا، فلو انت وقفنا عند فكرة الإيجاب وحدها كان معنى هذا انت انتهينا في تجربتنا عند حد لا تنخلعه، لكن مشول فكرة السلب أي بروز التناقض هو الذي يمكننا من أن نخطو من دائرة الوعي إلى دائرة أوسع منها، فالتناقض والتناقض والتناقض وحده وحده يتيقظ الوعي ويرتقى واليدين الحسنى أن هو الا خامة تتشكل في ظواهر تزداد وضوها كلما تبدت المتاقضيات ويرزت المبابيات (١٠).

المنطق الذى استخدمه هيجل إذا هو المنطق الديالكتيكي القائم على التناقض والتقدير، وقد نظر هيجل إلى العلم والأدب والشعر والفن والفلسفة من هذه الزاوية الديالكتيكية ، فبحث في إشكاليها وتطورها معتبراً إياها وسائل من وعي المطلق ذاتات (١١).

ويرغم محاولة الفلسفه المثليين أن يخفقوا من حدة التناقض الهيجلي أو أن يفسروه تفسيراً جديداً بحيث يكون تفساداً أو توتسابياً أو مجرد تقابل بين فكرتين، فإن الباحث إمام إمام يرى في كتابه الثاني عن: تطور الجدل بعد هيجل، أن الماركسيين لم يحاولا قط تأويل التناقض الهيجلي بل على العكس أخذوه بحرفيته . يقول ماورتسي

تونغ على سبيل المثال: «تصوروا هل يمكن لأى شيء من الأشياء المتناقضة أو أى مفهوم من المفاهيم المتناقضة في الفكر البشري أن يبقى مستقلاً؟ كلا بالطبع إذ بدون حياة لا يوجد موت وبدون موت لا توجد حياة بدون أعلى لا يوجد أسفل وبدون أسفل لا يوجد أعلى وبدون شقاء لا توجد سعادة وبدون سعادة لا يوجد شقاء . بدون عسر لا يوجد سر وبدون سر لا يوجد عسر. وبدون ملاك للأرض لا يوجد مستأجرون وبدون مستأجرين لا يوجد ملاك للأرض، وبدون برجوازية لا توجد بروليتاريا وبدون بروليتاريا لا توجد برجوازية والأمر على هذا النحو في جميع الأضداد وفي ظروفها المحددة تعارض الأضداد بعضها بعضاً من ناحية ، وترتبط وتتدخل بعضها مع بعض من ناحية أخرى وتتبادل التأثير والاعتماد على بعضها من ناحية ثلاثة» (١٢). طبعاً هذا الطرح المادى يجد أصله فى الأفلاطونية لكنه مشحود إلى المنهج الهيجلي وإن كان الأخير أكثر عمقاً وعمقادة ، ذلك أن هذه الحركة التكاريرية إذا أمعنا النظر فيها تبيّن خدأً لنفسها . فهي تقيم فرقاً ما هو بفرق ، لا في نظرنا وحدنا ، بل هي ذاتها تقيمه بما هو كذلك.. فالامر لا يتعلق بالوحدة المادية التي تنتهي فيها جميع الفروق ، بل على الأصح بالحركة التي يظهر فيها يقيناً فرق ما ، لكنه إذا لم يكن في الحقيقة فرقاً ، لا يليث أن يبطل أيضاً من جديد.

أما في القلب الآخر وفي كتابه «فلسفة النفي» يقول غاستون باشلان: «يجب أن نضع في اعتبارنا ان التجربة الجديدة تقول: لا للتجربة القديمة وبدون ذلك فلن تكون هناك تجربة جديدة ولكن هذه اللاد لا تكون قاطعة أسم عقل يجدل Dialectise مبادئه» (١٤) وهذا يؤدي بنا إلى مقوله أهم عند بشلار وهى أن كل

عبر التاريخ بشكل صحيح (١٧).  
يعيناً أيضاً من هيجل اعتباره أن الفلسفة قوامها الأفكار ، لا ما هو موصوف عادة بمجرد «مفاهيم» واعتبر «أن علم الحقوق جزء من الفلسفة ولذا فعليها أن تطور الفكرة ، التي هي الشأن (Gegenstand) العقلي ضمن شئ ما» (Gegenstand) بمعزل عن المفهوم ». كما أن حقوق الوعي الذاتي تتضمن لا صناعة القوانين المعروفة لل العامة فحسب ، بل أيضاً إمكانية معرفة كيف يتحقق القانون في حالات خاصة، أي معرفة مسار الأحداث الخارجية والدعوى القضائية والنقاشات القانونية وما إلى ذلك (١٨).

خلاصة القول أن هيجل استيقظ بعضاً من الاتجاهات المهمة التي اقترن بفلسفه ما بعد الحادثة . فحتى هربرت ماركويز استند في كتابه إلى الجدل الهيجلي واعتبر ماركويز أن كتاب ( ظاهرات الروح ) هو المحاولة الأولى والأخيرة لتأسيس لا تاريخية المعرفة المطلقة . وإذا كان كتاباً (المنطق) و(موسوعة العلوم الفلسفية) يعتبران الكتابين الأرشد لفهم هيجل ، لا في مقوله المطلقة فحسب بل في مقوله الحرية نفسها . فالحرية في رأي هيجل لا تولد بغير القانون ، والقوانين التي لا تتغير هي قوانين سيدة . من هنا ، وقياساً على فكرته المركزية عن التغيير فاننا نعتقد أن هيجل هو فيلسوف التغيير بامتياز . لكن هذا التغيير يجري بشكل ديناميكي . والديناميكي لا يتوقف فما دام

ثمة شيء هناك تقيشه وهناك التركيب وهذه الثلاثة هي تعريفات للعقل ؛ وكل موجود هو تعبير عن العقل الديالكتيكي المطلق وكل تركيب - **Synthesis** - يعود فـ **thesis** يعود فـ **thesis** يعود فـ **thesis** يتصبّع **Synthesis** وكل **thesis** يتصبّع **Synthesis** لنقيض جديد وهكذا.

معرفة أيًا كان نوعها هي بالضرورة معرفة ضد معرفة أخرى ، وإن كل معرفة علمية وكل ثقافة علمية لأبد أن تبدأ أولاً بعملية تطهير عقلي ، ثم تبقى بعد ذلك المهمة الأكثر صعوبة وهي أن نجعل الثقافة العلمية في حركة مستمرة وأن نستبدل بالثقافة المغلقة الساكنة ثقافة مفتوحة متحركة وأن يجعل جميع التغيرات التجريبية جدية وأن نعطي أخيراً مبررات التطور والنمو .  
أما لينين فيبيدي إعجابه بالعقل الهيجلي الخلاق لأنّه يصل مفاهيم تبدو وكأنّها بحثة فيظهر أن فيها حركة.... المتأهّي » أنه يعني التحرك نحو نهاية . وبرأي هيجل هو بالضرورة محقّكياً من حيث مبaitته لكانط . فكر يتقدم من العين إلى المطلق ، شرط صحته ، لا يبتعد عن الحقيقة ، بل متقارب إليها (١٩) . إن أي طرح أو اقتراح عندما يزخر سزوغاً عن الآخر ، مثلاً ، هو باطل . ولكن إذا أخذ كل منها كمم للأخر فهو الصحيح أو الأخرى أحد وجهي الحقيقة . إن بطي الإقتراحين في رأي هيجل مما كفارسين في قصة تموروت حول مسألة ما إذا كانت الدرع من الذهب أو من الفضة . وفي الحقيقة كان أحد الجنين من الذهب والأخر من الفضة . لكن كلام الفارسین نظر إلى واحد فحسب . هذه هي الجدلية التي اعتبرها هيجل كما فعل أفالاطون من قبل ، الطريقة الأسلام للفلسفة ، لأن العالم يتشكل في الواقع من ستة تقسيم متصالحين في الوقت ذاته (٢٠) .

اللون والصوت والصريرية أفكار عند هيجل وكلّاته يقول إن كل ما في الكون هو تعبير أو تعريف أو مثل عن فكرة الفكرة . إن المطلق الأصلي الذي قدّمه هيجل هو المفهوم الأساس للفلسفة وكل فلسفة أصلية هي بالضرورة مثالية . فالمتأهّي (الحقيقة) يمكن وصفه بلحظة من الامتناع أو المطلق (العقل) عملاً أن هذه العلاقة لم تحسّم أبداً

المراجع

- Iosoplie du non, Essai D'une nouvel Esprit Scientifique, P. U. F,1949, P10.**

**15- See Reader in Marxist philosophy: From the Writings of Marx,15-engels and Lenin ed .H.Selsam & Martel ,NewYork Int'publishers,1973, p .331.**

**339**

**16- Webb, Clement C. J A history of philosophy,Williams & Norgate LTD, London, 1924 , P.221.**

**Haj-Ismail., Haydar : The Genuilne Infinite: The Fundamental Notion of philosophy :A Research published In "philia" magazine puplished at Arkin University, Ohio , 1997.**

**18-See Hegel , G.W.F, Elements of the philosophy of Right Cambridge texts In the History of political thought, Ed. Allen Wood, Tr.H. b. Nisbet, Cambridge University Press, 1991, PP25, 26, 254.**

**المراجع**

  - ١- هنا غانم . نيشنه بين حديث و معاصر تجاوز في مجله مجلة عالم الفكر، الكورت المدد ٤ المجلد ٢٠ .
  - ٢- أبيريل - سوتير ٢٠٠٢ ، من .
  - ٣- هيجل ج. ف : محاضرات في فلسفة التاريخ . الجزء الأول ، الفعل في التاريخ ترجمة إمام إمام، القاهرة . ١٩٨٦ . ص ٢٩ ، ١١١ ، ١١١ .
  - ٤- هيجل ، نسخة الحق، الفقرة ٢٥٨ .
  - ٥- أيل ، ايل ، هيجل والدولة ، ترجمة نخبة فرنفر دار النشر ، بيروت ١٩٨٦ . ص ٥٣ .
  - ٦- هيجل ، محاضرات في نسخة التاريخ-الجزء، الأول ، الفعل في التاريخ . ترجمة وتعليق إمام إمام، دار النشر ، بيروت ١٩٨٣ . من ص ٤٢ .
  - ٧- انظر مدخل المغرب جرجي يقترب إلى كتاب هيجل عنوان حما ، سرور ، دار النشر ، ١٩٨٤ . ص ١٦ ، ١٦ .
  - ٨- أثني سر ، رشيه ، هيجل الهنجالية ، ترجمة أوبرنيس العترة ، دار الطبعنة ، بيروت ١٩٩٣ . من ٢٥ ٢٦ .
  - ٩- عوضية ، كامل محمد ، هيجل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٣ . من ص ١٨-٢١ .
  - ١٠- نفسه ، من ٢٤ .
  - ١١- سبيشي ، حسين محمد ، التبارارات الكبرى للذكر الانساني ، دار الماوس ، بيروت ٢٠٠٢ . من ١٠-٨ .
  - ١٢- أنظر إمام إمام ، تطور المجلد بعد هيجل ، الكتاب الثاني: جدل الطبيعة ، دار النشر ، بيروت ١٩٨٤ . من ص ٥٣ .
  - ١٣- أنظر هيجل ، علم ظهور الفعل . ترجمة مصطفى حفوان ، دار الطبعنة ، بيروت ٢٠٠١ . من ١٢٢-١٢١ .
  - Bachelard G : la phl--١٤**

## حالم بفلسطين



أحقا الكتابة خطرة ومقلقة؟، إجابة السؤال عند، جاك دريدا، الذي قال، إنها خطرة ومقلقة، لأنها «بدنية» أو تدشينية، بالمعنى الأكثر فتوة.

الهذا يا ترى حدث الهجوم والاحتفاء معًا بهذا الكتاب «حالم بفلسطين» الذي كتب يعين شابة صغيرة؛ لكن وقبل الغوص في عالم الكتاب والاشتباك مع ما أثاره من قضايا، يجدونا ذكر بعض المعلومات والتي صارت بدهيات عن الكتاب ومؤلفته -

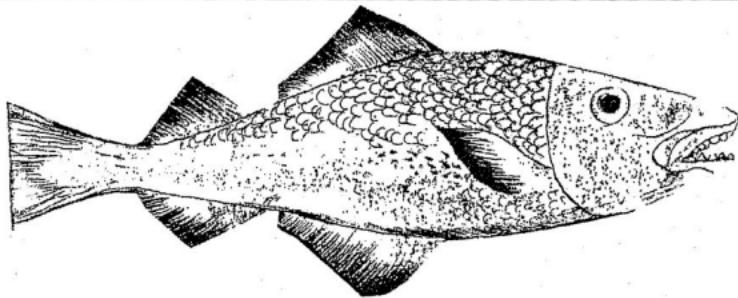
عندما شاهدت راندة الفتاة الإيطالية المصرية السمراء التي لم يكن عمرها قد تجاوز الخامسة عشرة ربيعاً - الطفل الفلسطيني محمد الدرة يقتل أمامها على شاشة التليفزيون برصاص جندي إسرائيلي، تأثرت بوحشية ما رأت وهي الفتاة الرقيقة ذات الحس الأنبوبي المرهف، لم تصدق عينيها، لم تكن تعرف عن القضية الفلسطينية إلا القليل مما ينقله الإعلام الغربي، لم تصدق أن مارأت يقع على مرأى وسمع العالم كل، حتى سمعت بأذنيها ذاك الجندي يقول متأخراً: قتلت الابن وتركت الأب حياً حتى يتعدب» ذهلت وقررت أن تبحث عن الحقيقة راحت تسأل والديها، وتقرأ في الكتب وتبصر عبر صفحات الإنترنت، اكتشفت وفهمت الكثير وكتبت قصة قصيرة فازت عنها بجائزة أدبية للأطفال في إيطاليا، حولتها بطلب من الناشر الإيطالي إلى رواية لاقت إقبالاً كبيراً، فطبععت ثلاث مرات، وكتب عنها أكثر من مائة عرض وتعليق ثم بدأت

ترجماتها تظهر، ويدأت معها الشهرة الدولية والماهجمات من اللوبي اليهودي الذي لا يريد أن يقرأ العالم أو يرى أو يسمع إلا وجهة نظره وحده.

هذه في عجلة وخطوط عريضة بعض ما أثير عن الكاتبة وملابسات تأليف الكتاب أو القصة حسب تعبير المؤلفة، وسوف نبدأ من هذه الكلمة «القصة» رغم سخونة الأحداث ومعرفتها بمكانها ومرارها وتطورها، إلا أن الكاتبة أطربت هذه الأحداث والواقع التاريخية بإطار فني، ولنقرأ ما جاء في كلمة الإهداء صفححة ٤٢٣٩، «أهدي هذه القصة، التي تعد كل شخصياتها وأحداثها باستثناء بعض الأحداث المنقولة عن وسائل الإعلام، من صنع خيالي بالكامل». إلى محمد الدرة جمال الدرة، الذي مات مثل أحمد، مثل وليد، بدون سبب، بشجاعته، أهديه هذه القصة وأدعوه لأجله أن يحظى أينما كان، أينما وجد، بشيء أفضل من الكراهيّة والموت في تلك الحرب»، «أحمد، وليد، نضال، جهاد، وأبراهيم، ريهام، رامي، هم أبطال هذه القصة الطويلة لكن هل هذه قصة حقيقة، أعني هل بها تفاصيل وفديات كتابة القصة؟ أم أن الفديات والأسلوب والبناء، بصفة عامة، عوامل تأتي في الدرجة الثانية أو الثالثة في هذا العمل، لا شك أن الملح السياسي لعب دوراً كبيراً في شهرة هذا الكتاب، ولا شك أيضاً أن الكاتبة، صغيرة السن، لعبت دوراً، كذلك مكان النشر واللغة المكتوب بها الكتاب - اللغة الإيطالية - سبب التالى في قلب المركبة الأوربية، حيث الميدان الجبار، إضافة إلى ما سبق ذكره، يمكن القول، أن البكارة في الكتاب وتقسيمه لعدة أقسام، صارت الآن، تحرك الضمير البشري هذا الغم الذي ومنذ فترة طويلة، دخل في ليل طويل، كما وصفه الكاتب العالمي جارثيا ماركين، في بيانه ضد شارون ومجازره في حق الشعب الفلسطيني تلك الأسئلة التي دشنها الكتاب، أنت من طريق الحوار أو الحوارات الكثيرة لذا، سأتوقف عند تلك الأسئلة التي دشنها الكتاب، أنت من طريق الحوار أو الحوارات الكثيرة لذا، سأتوقف عند (الحوار)، قلب الشرة في «Hallam بفلسطين».

الحوار يرتكز على سؤال، وجواب، والأسئلة يثيرهاأطفال وشباب صغار، يحملون بالعيش فيسلام، إجابات أسبلتهم، تأتي عن طريق المجازد التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي، فهو لاء الأطفال، رجال بالغون في مواجهة الحرب.. أطفال يلعبون أنوار الكبار، لأنهم مجبرون على اللعب. كبار يتمنون أن يصيروا صغاراً، أجساد و أفكار كبار، لكن مشاعر وضعف ومخاوف صغار من ١٩، هكذا يتتحول الأطفال إلى رجال مسؤولة منهم طفولتهم، ويتمني الرجال أن يصيروا أطفالاً.

الخصيصة الثانية في العمل، (المشهد / الحرب)، لقد أفلحت الكاتبة في أن تجعل الكتاب، مشاهد وحوارات داخل ساحة معركة، حرب شرس، لدرجة أن أحد الأطفال يخشى الذهاب إلى البشر ، كى يشرب، «وماذا إن قابلت جندياً؟ وماذا وإن أصابت رأسى رصاصة؟»، ص ١٢، حرب يحمل فيها الجيش الإسرائيلي الأسلحة الفتاكـة وفي المقابل الفلسطينيين يحملون الحصى والمحجارة. الخصيصة الثالثة، سرد الأحداث التاريخية في نسيج الكتاب - منبحة قانا واحتلال لبنان، إيلول الأسود، فوز حزب العمل في

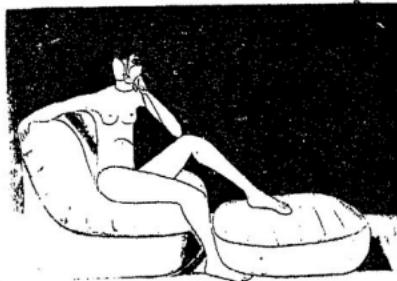


الانتخابات، اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الخصيمية الرابعة، نشر الآيات القرآنية وطقوس عادات المسلمين وأسماء الأماكن الإسلامية المقدسة، هذه الخصيمية على بساطتها مهمة جداً، لتأكيد الهوية العربية الإسلامية وحق الشعب الفلسطيني في أرضه، خامساً، رغم مشاهد العنف والقتل إلا أن هناك مشاهد الحب، ليس بين الفلسطينيين وحسب، بل بين رامي الفلسطينيين والفتاة الإسرائيلية «سارة»، ورغم فشل هذا الحب، وسط دوامة الأحداث الدامية وال الحرب والكراهية من الطرفين إلا أن معناه ومغزاه ولداته لا تخفي، فالتواصل والتغيير السلمي، أمل، لا يزال قائماً، ويمكن تحقيقه سادساً، مشاهد الحياة اليومية البسيطة وسط ساحة وأهواز الحرب، تقلاتها لنا الكاتبة بعين ذكية، توحى لنا بأن الحياة لا بد أن تستمر، وأن مقاومة الإنسان البسيط للظلم والقهر والموت، غالباً تكون بسطة منه، «وجد إبراهيم عملاً في جزارة واستعاد بشاشته، كان يخرج صباحاً ويعود مساءً، كانوا يأكلون معاً ثم يتباردون الشاي أثناء تبادل الحكايات حول ما فعلوه طوال اليوم» ص ١٤٣، هكذا و بكلمات قليلة وأفعال أقل بساطة نقلت لنا الرواية.

جمال العلاقات الحميمة وتوق الإنسان الفلسطيني، أن يعيش في سلام، رغم ما يمارس عليه، واسئل يظل مطروحاً، ألن يحل السلام رغم أن اتفاقيات السلام لم تعد سوى سراب ولا سيما وأنهم يمسكون بكل الكروت الرابحة، كما تقول الرواية؟ وهل سيأتي يوم سوف يتوقف فيه الإسرائيليون عن حرق وتمصير الأرضي وقتل الفلسطينيين؟ هذا اليوم سيأتي، لا محالة، كما يقول «إبراهيم»، لأنه وببساطة لن يبقى شيء للتدمير ولن يبقى إنسان للقتل.

ولكن ألا يوجد؟، وهل سنقف متفرجين ومعنا الشعب الفلسطيني؟، حزمة الأسئلة هذه، ترد عليها «زاندا غازى» عبر كلمات أبطالها: «تسائلني كيف يمكننا الانتصار، وأنا أجربك بالإيمان وعدم التخلّي أبداً عن الإيمان ولا لحظة واحدة.

حتى لو قهرتنا المعاناة وحتى لو بقيتنا وحدتنا في المحنـة. يجب ألا يكون لدينا هدف آخر سوى الدفاع عما نملك.. عن أرضنا».



## إبرة مكسورة

### صفاء النجار

وحدها تحمل خوفها في أحشائها ، يضطرب منها ويتمزق الستر الذي عاشت ترثى ثقوبه ، احساسها بالمسؤولية ، يدفع برأسها في بحر من الهم ، تتقاذفها الأمواج السوداء إلى جزر العزلة والأشباح.

وكامرأة خاطئة تجرب كل الوصفات تدق بطنها ، تقفز من فوق السرير مرات ، يعاندها ويزداد بها التصاقاً تتشبث بسحاولاتها ، لكنه يغلبها ، فتجلس على بلاط حجرتها الربط ويكم جلبابها تجفف عرقها ، ترکن ظهرها إلى التوابل وتند ساقيها على الكليم المضيفر بقصاصيcis الأقمشة .. قصاصيcis تعودت جمعها من تحت ماكينات الخياطة في المشفل المجاور ، تذهب أنها بالكيس المنتفخ وتعود به كليماً مستحيلًا ، أقمسته كأيامها مختلفة الألوان والخامات لكنها في مجلها باهتة.

تمر شتاءات عدة ومن برد إلى مطر تحصل على دبلوم التجارة المتوسطة ، ويصبح المشفل مصنعاً تجلس على واحدة من ماكيناته.

ومن بين من تقوم لها من العرسان ، تشير أنها ابن خالتك .. يسندك وتسندينه

تكتسى بالفرحـة جدران البيت الذى ولدت فيه ، يخرج سريرها القديم وتدخل حجرة نوم كاملة سرير دوبل وتسريحة ، دفع فيها عريسها خمسماية جنيه مقدم .  
وفي كل مسا ، يعود يمسح رأسه في صدرها ويضع في يدها يوميته القليلة ، فتضحك في وجهه



وتقول.

ـ ولا يهمك ومررتى راح فىـ.

ـ يزداد ضغطها على المotor ، وتطلع إلى المشرفة ، تتمى البالطو البيج الذى ترتديه وأوامرها.

ـ الهمة يابنات .. الطلبية لازم تتسلم النهاردة.

ـ الا اتوب تدخل وتخرج مفضلة بانحناء ظهور وتدقيق النظر ، فساتين تتبخر بها نساء ، فساتين ترنو إليها آخريات من خلف «الفتارين» . (سالت شيئاً أزهرياً وبلغت السؤال بواحدة صاحبى) ، وكان الرجل حاسماً وإن بد في عينيه خطيب إشراق بعد أن مزقت مجادلتها واندفاعة الجزء العلوى من جسدها غطاء واحدة صاحبى » وصرخ .. توتو الوجه ولعنة اليدين بماذا أقل؟.

ـ في المرة السابقة واصلت عملها وهى في التاسع ، يضغطها بطنهما ، وتضيق هى أكثر على الماكينة تتකسر إبرة بسرعة ، تستبدلها بأخرى ويستمر الموكك في الدوران تسألاها المشرفة وكأنها لا تعرف الحال.

ـ مش تستريحى بقى في البيت.

ـ حان موعد ولادتها وتأخر عنها الطلاق ، قلقها على مرتب الشهر كاملاً يبقى صغيرها في مكانه تتعاطف معها زميلاتها.

ـ هي أولى بكل يوم.

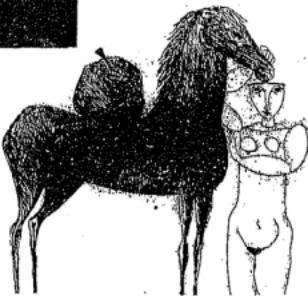
ـ وبمجرد أن تقل سلك « العمليه القيميرية » ترك لحمها في حجر أنها ، وتطل برأسها من باب المشغل لاشيء يتذكر فتاة أخرى تتثبت بماكينتها.

ـ ترجي المدير ، يوافق

ـ دى آخر مرة تترك فيها العمل ده مكن داير

ـ منحنية تجمع القصاقيس أو منتصبة تحمل أثواب القعاش كانت تتطلع إلى ماكينتها القديمة ، أحياناً تتسمسها وفي آخر النهار قد تمسحها بالقصاقيس حتى فاجأها سرها الجديد.

ـ تتقوّق على نفسها ، مخافة أن يشم أحد رائحته ، وكلما لاحت الماكينة ، أشاحت بوجهها إلى الجهة الأخرى ومن خلف زجاج النوافذ العالية ، تتفاعل كابيتها مع سحب الخريف المثلثة بدموع مؤجلة.



## فن «نبوات الطوفان .. والفالك المفقود»

### الوعن بالزمن

### عذاب الركابين

عبارة للشاعر والناقد «ماثيو أرنولد» تقول إن الشعر لا يعكس الحياة إنما هو يبدع الحياة، وظللت أسيير هذه الرؤية ، وتحضرني كلما قرأت قصيدة أو بيان شعر. وها هي تتجدد في ذاكرتي . وتقظنني مرة أخرى وأنا أجمع أجزاء جسدى . وشياطيني . وجندو أفكاري وأنا أقرأ «نبوات الطوفان .. والفالك المفقود» لصبيقى الشاعر د. وصفى صادق ، وأجد نفسي في حالة نشوة شعرية ، هييتها ، عن جدارة ، قصائد رغم قاتامتها ، وحزنها الشديد الذى يمكن تصنيفه من النوع الذى يوقظ ، ويغير ، ويحدد ، وي فعل ، ويدق ثاقوساً ، بل عدة ثواقيس للخطر.. وهو الحرص الشفاف والحميمى من خطر الإلقاء .. خطر الالتجاه .. خطر الموت البطئ واليومى للروح العربية.. خطر الصمت المبرمج أحياناً والذى يفعل فعله فى إخراج الإنسان العربى من التاريخ .. من الوجود .. ومن الحياة أيضاً .. هذا الصمت القاتل الذى وضع الشاعر وصفى صادق عليه أصابعه الرعنوية ، وتغلغل فى أسبابه وبسبباته ، أن نظر بدون ذكرة من أجل هذا يحزن الشاعر .. يصرخ .. يتمرد .. يعرى .. يفضح .. ويلقى بشتائمه الملائكة التى لا تعكس الحياة كما أشار أرنولد إنما تجدد وتبعد الحياة .. وتوجد لها أبجديه جديدة:

لماذا فى غمرة الطوفان  
كل منا .. يصنع فلكه الخاص؟.  
(من أدبم الجلد.. وحتى رياش الفراش)  
يخشى أن تمس شعرة واحدة من رأسه  
وتنهون تحت أقدامه .. رؤوس تداش

ويقایا من أنفاس ص٧

الشعر من أشرس أنواع المقاومة، والدفاع عن النفس والوجود . ولحظات الحب، والتعلق بالانتقام ، وإذا ما لجأ الشاعر إلى الصراخ بكل حبائل حنجرته لا يعني الخوف والخضوع والاستكانة ، إنما يريده أن ينفي عن نفسه تهمة اليأس ، والإحباط والسقوط في بئر الهزيمة ،  
هذا ما قرأتُه في كتاب الشاعر مصطفى صادق الدافني :

أحادي الماكن في قلب الحزين

غذت فی کفن، لکم..

غذیت . منتظر اُ قیامتکم غدا

لکھنؤ

فیکت اُزمانا و اُزمانا

على هذا الزمان

وَعَدْتُ بِاسْمِكُمْ أَهْلًا..

اسمہ الذل.. والهوان ..

انه حزن على حزن

وهو الوعي بالذنب، فـ

وهو الوعي بالزمن.. فالذين لا يملكون وعيًا بالزمانلا يضجرون ولا يحزنون حسب تعبير سيروان<sup>١</sup> .. وسوداوية قاتلة، **Melancholie**، وألم غير مسبوق بحرقة غير مشهودة ، فارسها قلب نحيل النبض مرتفع ، ريشان من قماش الفصول ، أصابع ترتعش كأغصان وجلة ، على ثمرة يانعة ، مهددة بالعواصف والأسقوط.. حنجرة ملائكة .. مشحونة بنغم ، الطبيعة والكون .. إيه حزين حتى البكاء .. فبكى حتى الاختناق .. خيانق حتى الموت .. هذه الشفافية transparency الجارحة لاتكون إلا للشاعر:

أنا المحارب القديم

حصہ رہنما محسین:

الخوف . والمبتدئين،

سيفي المعلق على الجدار

پیکی ہزیمتی۔ و خوفی المقيم

تسيل من جفون غمده الدموع

ترسم ظلا..

لجواد في الديجى يهيم..

شاعر يفجر من خلال لغة شعرية مكثفة ، هادئة موحية ، وجارحة ، هو لا يسعى لخداع القاريء ووضعه في حقل من الإلحاد كما يتبارد إلى الذهن في باديء الأمر ، إنما يستحدث كلمات وعبارات قابلة للتغيير مجرد اقتراب قلب نايس منها ، أو خفقة عين ، أو إرتعاشة إصبع .. هذه الكلمات «عيون يالاما» و«نجوم تائهة» و«نهر جائع» و«شجرة بلا ثمر ولا ظل» ، الهدف منها تغيير الواقع . وتغيير بالإضافة إلى تغيير اللغة . وتطييعها لهم شعرى جديد . ورؤيه جديدة :

وأشجرة التين ..  
مورقة خضراء  
لكن بلا ثمر .. بلا ظل..  
أزاما في كل حين  
تدعى الإثمار كذبا  
وتخدع الجائعين ..  
وتخدع الناظرين  
بتوراقها الخضراها  
كانبة هذه الأوراق  
كفن أخضر ..  
على رأس ميتة!!

«وصفى صادق» يعيد الدفء والحنان ، والشوق للكلمات . والقصائد التى تقوض مدنا ، وتقلب المالك وتشعل الحرائق . وكأنه به فى هذه النستولوجيا الجميلة يقول: إن القصائد التى لا توجع . ولا تقلق . ولا تزعج . ولا تغير . ولا تكون إنسانا . وأوطانا .. وسياقنا . وحقولا . ومواعيد عشق . علاقات صباحية . ليست قصائد .. هي أشبه بالهتاف البارد .. والإعلان المكرر والرحلة السياحية التى تتبع الضجر . والمآل ، لأجل كل هذا يقول:

فصريحة النبیع ..  
إن لم تقتل السکین : موت  
أرخص موت!  
وصريحة النبیع ..  
إن لم تجعل القبر ..  
بسراه بیوچ: موت ..  
أسعد موت!

الشعر أرض النبوءات . والشاعر نبى العصر المدجج بالاستئلة والصانع الأشهر للعديد من علامات الاستفهام .. إذا كان متورطا وغارقا فى واقع ميت . وورث . وبهادن . ومتخاذل ، ساكن( ) حتى الموت ، غابت فيه شمس الفروسية والحماسة .. ساد الدمع ، واتحرر الرغيف . واختفت الزغاريد . وتقادعت السيفون .. وصارت الشجاعة والفتورة فى الأوطان ذكرى .. وهاهي الأوطان التى تفتت بأشيائها القصائد .. (ند الفتران) والليل الطويل المظلم الحالك . والرياح قاسية .. صلفة .. وغريبة .. وجدة .. وهنا تتناسل الغربان .. ويستأسد الجراد فى انتظار (المهدى المنتظر) وإن يأتي هذا الفارس الكسيـر القلب ، ما دامت الأرض رهناً للجراد .. والغربان .. والفتران .. والفرح صار (أسود يتلالا).

من أين ..

فى قبوا دمى أتمدد فى الليل .. خرائب إنسان

بيكى فوق خراب أوطان  
من أين؟

نفسى بيد الفتن  
ذائق الميتين

نفسى تنزف أنفاس الموت الملعون  
اثنان أصحابها الطاعون

أنا والوطن المطعون..!

والشعر أقرب الفنون إلى الرسم

فالقصيدة تبني بالعديد من اللوحات التشكيلية (الرائعة واللوحة توحى بعدد لا يحصى من الكلمات .. والقصائد بهذه حقيقة أشار إليها أكثر من كاتب وفنان ..(الشعر رسم ناطق والرسم شعر صامت) قالها أحد الفلاسفة اليونانيين فصارت حاضرة عند الحديث عن علاقة الشعر بالرسم!

والصديق الشاعر «وصفي صادق» في ديوانه الأخير (نبوات الطوفان .. والفالك المفقود) يشكل ببراعة وحنكة وبخبرة «احتراق» ، يرسم بالكلمات عذابات نفسه القلقة الحائرة .. والتى هى عذابات جيله الذى عاش سويعات الوطن الجريح وهو يتحول إلى خراب **Ruin** وظلمة .. ودهاليز لا تنتهى .. والحياة العربية الخانقة المطرزة بالهزائم المتلاحقة -حسب تعبير جبرا إبراهيم جبرا كوارث ، وموت .. وخيانات .. وأوطان تباخ بالجان وخوف من الموت (بالسكتة العربية):

أبتي ..

أنا لا أخاف الموت

السكتة القلبية

فالموت حق .. ملكوت

لكنى لكم أخاف أن أموت

بالسكتة العربية

أو بشاعة الدخول فى الغياب الطويل .. والاستسلام للنوم الصناعى:

فلا أرى على المدى .. أحد

سوى وباء «اللأحد»

أصحاب أممٍ بأسراها إلى الأبد ..

إلى الأبد ..

يقولون : تحيى القصائد بالنبوءات

وأقول : يخلد الشاعر بخجرة الله .. وروح نبى مطارد!!

والصديق الشاعر «وصفي صادق» يراهن على نبوءة القصيدة .. وفعل الطوفان .. وببراعة يبدل حرنه القاتم بالأمل الضروري الذى يلد من رحم «الخراب الضروري» الذى نادى به ، ويباركه بصرخة موجعة الشاعر资料 法兰西斯·米歇尔·拉米波（Arto Rampon）ومن الطوفان حامل البشارة .. وآيات

الخلاص: جسدها الشاعر في قصيده: «دائرة النهر الفلسطيني». في الطفل الجديد الذي فطم في المهد على صوت الرصاص.. ولهيب الحجارة وصلف ورعونة ويشاعة المحتلين.. وإيقاع الشهادة اليومي.. الطفل الذي صار رجلاً في المهد.. برمز الوطن.. ويبشر بالوطن الجديد الذي لا تتحده الأسوار.. ولا يعرف الشرطة.. واللواحم الجانحة.. والمخربين.. وطن بحجم الطعنة.. وبسعة الامل والإبتسامة المفقودة.. مطرز بدعاء الأمهات.. وطن للعشاق والفقراء.. والمقاتلين.. تبرع فيه التسمى على غير عادتها.. يسقط المطر اللذوقي.. بتناسل السحب.. والعصافير.. والأشجار على رقصات المظللة.. الحرية.. هذا الطفل المبارك بـ«أديمة» وـ« تعاليم» «الحكيم سليمان».. هو الوطن الجديد.. الصباخي التندى.. الذي تصنعته القصائد.. ونبوات الطوفان.. يركض بقدمين لولويتين على مساحات كبيرة من الأوراق الخضراء.. وفي وعي وذاكرة الشاعر:

هذا الطفل الرأيض في حضنِي

هو اینه .. فلذة کندی

حلوة سحابة للأدب

سی ایڈیشنز

می بیت استیا جب

وغلی ارض حنفان

كان الوعد . و كان العود

حفلی عاد إلى اليوم

كما كان معى فى ا

أبانا القدير العلي

بيانا الذى فى دجى الوطن العر

لـ الحمد . والشـكر فـي كل آن

لک الالف امین

لـ الحمد . والشـكر فـي كل حـين

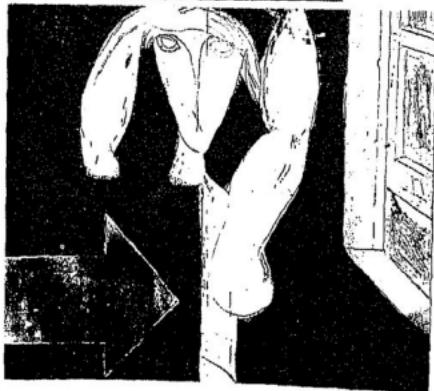
الـ أـلـيـدـ الـأـبـدـيـنـ

الـ ١١٨ الآباء

بيان المطبوعة

وين آهات الروح الجريحة والأمل المتباعد . وبينن هم الشعير وعسل الطوفان المزلزل بالتبوعة . وبين السجن الانفرادي المتدن في اللازمن ومساحة الحرية الضيقه . بين كل ذلك حالة عشق فريدة يعيشها الشاعر «وصفى صادق» بشجاعة وجرأة . لوطن ينفسمى . ليس كل الأوطان .. وطن حالم بمساحة القصيدة .. وقلب المرأة العاشقة .. والشجرة الحبلى بالثمار .. والعصافير الزرق .. وطن يحكمه الشعراء فيه الصباح منغم .. وكذلك الرغيف .. والأمل .. والعلاقات .. من أجله فقط يشرع نواذ القلب .. ويفتح ممرات الجسد .. ويرفع آيات الشرك والامتنان.

\* نبوءات الطوقان . والفالك المفقود - شعر وصفى صادق الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٢ القاهرة.



## محاورات أهشيو

### عبد الرحيم يوسف

المضاد

وح تعرفي تتتجاوزني النقطة دي  
بابتسامة تلقي بملك عجوز  
بس أنا مصمم المرة دي أكمل الحدوة  
بطريقتي  
وأعري كل الحاجات .. وأقول ...  
والله ما أنا عارف أقول إيه  
وأنا برفع كاسى باخر حبة بيرة  
مع أنتي مابحبش طعمها نهائى  
لكن يظهر أن الحياة والحلوة ضدين  
وأنا .. مضطر أعيش  
ذى المهرج ؟ لا ..  
ذى الممثل ؟ يمكن ..

بكل احترام

ح اقطعك من قلبي ..

ويحرض بالغ

ح الفك ف ورقة بيضا

وانترج عليك وانتي بتغوصي ببطة في بير

الذكرى

حله «بير الذكريات» دي

أكيد بتفكرك بكلام زى :-

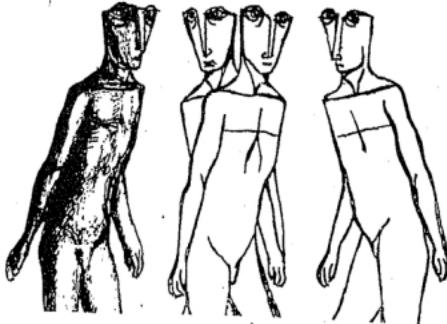
العمق، والعطش، والجفاف، والرحيل

لكن بالنسبة لي

ما بتقدرنيش غير بالهم

لإنتي عمرى ما شافت بير حقيقى

طبعاً أنتي شاطره حبتين فى الهجوم



عشان اعرف اركن..

لو تعرفي ق دايه صعب على المطلب ده..  
خصوصاً وأمشير بيمارس هوایته الأزلية  
ف تجميد أطرافي

لكن.. ما باليد حيلة  
ولازم الموضوع ياخذ شكل موضوعي .. بيره  
الشعور وال حاجات  
ويعدين أنا كان تعبت من ثنائية القرارات  
والترابع

وبدأت أحس بأهمية الأحادية، والحدية ،  
والتحديد  
حتى امبارح بالليل ، وانا داخل الblockنة  
بعد تلات أشهر غياب  
بصيت للسماء .. وعديت النجوم  
كانوا سبعة بالضبط - شايته فايدة  
التحديد؟

بيربشولي بحنيه مبالغ فيها  
لدرجة أنى صعبت على نفسى .. ودخلت ..  
وقلت الباب روايا .. بشوش  
معلهش .. معنكم متدين لو سمحتنى؟ ..

وإيه الفرق ؟ ما اعرفش!.

لكن الأكيد  
أنى ح أعرف أكون روّة حقيقة للموقف  
بعد خمس دقايق

وح اسمعك أحلى كلام  
بس أنتي صبرك على .. وما تستعجليش  
لأنى باتقى .. وبيسقط منى الكلام  
الكلام اللي بقى لي ٣٢٠ يوم بامالج  
مفرداته

واضبط زواياه  
عشان يطلع - ف التحليل الأخير -  
بشكل يليق بفليسوف متحنط  
دابر يتسعع ع القهاوى  
وبيادل أفكاره بـ: تمن ودان، وتلات سجائر  
، وكرياتية شاى  
، وأما يروح .. ما يلاقيهش

فيشك ق تلات حاجات: - خلل المنهج،  
أوجدو النظرية، أو وجود البيرا،  
معهlesh سرحت بيكي شويتين  
ويستحسن نرجع تانى موضوعنا  
بس يا ريت الأول تشيلى ايدك من قدامي



## بانت وفاء

صلاح اللقانس

السؤال الصعب،  
ما معنى وجودك؟  
لم تكن في عين عيني  
قدرة حتى أصيده غزالة  
الزمن المشاكس  
لم تكن أحشاء كوكبنا  
على كفى ... كى أتنصلت  
العزف الخفيف،  
وابصر الطير المراوغ،  
حينما انفصلت عظام  
الركبة الكونية  
انهارت خيام من تراب  
تحت أنفي،

حين التقينا ...  
كان وجهك خارجاً  
للتلو من حمامه  
الدموى  
باغتني شهاب أيقظ  
الاحياء والموتى بصدرى  
كنت مزدحماً تقفين  
على المدى نفسى  
وظل الروح مرتعش  
رأيت الله يخرجنى  
إلى صحراء عمرى  
أتقى نفسى بنفسى  
ليس ثمة حاجز غير

قطع الزجاج تسد أفواه الجراح وكيف ينموا القطر مخضرا على سطح اللغات وكيف يحمل وحده عصب شريذ وزن أهرام من الألام كيف تكون لبيتنا مع الأيام خاسرة، فتدرك فوق طاولة الزمان النرد والعلل القليل.. ونكتفى بالموت كانت شمس شارعنا تذوب كانها شمع على جلدى ، وكان الشوف يأتي فى قطار مسرع قيدس بين أصابعى .. وعلا جريحا ثم يترك رغوة الصابون بين رموش أحلامى. مجرت ملحوظى.. لاقيم فى ذنزانته .. المعنى .. رأيت الكوكب الأرضى تحت ملابسى رمانة ،	كل ماجمدت مقاصله تتعرض كل ما التامت عراه انحل صار المصخر زيدا سائلاء وانفكك الأيام ذروأ هائما فى مستطيل الضوء هل يكفى .. لكن يتوحد المضمون والشكل انفجار الروح؟ أو تفجير غيم القلب؟ هل يكفى .. انفصال يدى لتلمس راحة الله؟ الكلام سطا على جسمى ليثبت أحرقاً فى كل زاوية فلا يبقى .. سوى تمزيق هذا النص حتى تصعد الأرواح فوق سلام المعنى فتبصر .. كيف أجزاء الحديد تبيت فى بطن النسيج الرخو .. كيف الرمل أو
---	---



فأخذت أحصى : كم  
من الأشلاء تكفيه  
ليصنع من دمى  
جبانة ؟  
وأقمت وحدى ..  
كوكبى ، ومدينتى  
وسرير أفرادى ..  
رأيت هناك ميزاناً  
وقدراً ..  
قلت : لا يكفى لكى  
يختل نظم العقد أن  
تب القرود على  
مقاتيح البيان ،  
وليس يكفى أن يهز

الثور قرنيه لكي  
تطاير القارات فى  
صدر الجريدة  
بيد أن الدمع فى  
أيقونة العذراء سال  
وأشعل البرق الرakan  
وذكريات اللحم  
والنسخ الموزع فى  
لهاه النخل  
وانتشرت على الميدان  
رائحتى ..  
وغضى تحت جلد  
الثور ..  
بسنانى ..



## فصل النحيب

### محمد القيسي

ثلثى  
ليطول النحيب  
بين يوسف والمجدلة.

**اسير الكلام**  
يتيم الحرير أنا والمتميم ،  
ماطربرتني فتاة  
على كمها  
أو حظيتك بخيط ،  
على قبة الصدر ، أو  
نقطة في الحزام

ووجدت حياتي على رسليها  
ووجدت أليسا  
على طرف البحر ،

ثلثى  
قلت في اللاذقية

قبل ذلك في حمص قلت ،  
وهانحن في باب توما  
محاول فصلاً آخرًا  
من المسرحية

تحتسي قهوة مرة ،  
بالقليل من الكلمات ،

ونأسف بما اقترفنا من الوقت  
في حق هذه الفصحية

ثلثى لنحيب



يتيم الحرير أنا  
وأسيير الكلام.

تندب قرطاج،  
بعد حلول الظلام

### دون حريروها

أستدير عن البحر،  
دون حرير أليسا  
أميرة صور

أستدير وعشرون ضلعاً  
يئن على باب صدرى  
وثمة خصلة شعر،  
من الماء تلمع وهاجة  
من بعيد العصور.

أستدير عن اللاذقية ، أخت نشيدى  
تؤثر عزالتها  
بين سور وسور

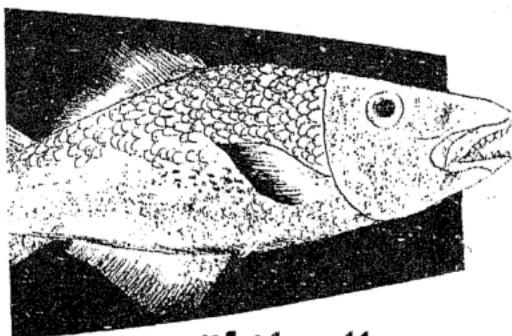
كيف لي أن أقول إذن  
عالجيني بعقرب وقتك،  
حتى أدور هنا  
والبلاد تدور !

فقلت لها :

طرزيني ضحى يا أليسا  
على جهة من مخدة رأسك،  
أحرس أحلام ليلك،  
حين تتأمين ولا  
أستطيع أنا أن أنام

وقلت لها : طرزيني على الشال ،  
أنهر عنك الرياح ،  
إذا غازلت حول عنقك ،  
ريش النعام

ولكن وجه أليسا اختفى فجأة  
واختفى البحر ،  
 بينما حياتي على رسليها  
لا يطيب جناح لها  
أو يطيب مقام



## المطافة

محمد حسن إبراهيم

انعكست أشعة الشمس على الأطقم والصناعات الكريستالية ، مصدرة تناجمات جذابة من ألوان قوس قزح من خلف زجاج وجهة المحل وقف الدكتور خالد يتأمل بشغف المعروضات التي رصت بثائقه ، ولم يلبث أن خطى داخله.

كان قد حضر إلى باريس للمشاركة في مؤتمر علمي لدول البحر الأبيض المتوسط ، في أول زيارة له لأوروبا بعد حصوله على درجة الدكتوراة في تخصصه العلمي.

اهتم أن يرى العالم الشقافية لاعماله النور ، فانتهز كل فرصة تتاح له للتجول وزيارة المتاحف الفنية وبخاصة اللوفر ، فهو بطبيعة يعيش الفن ويتنوّق الجمال بحماسة تقديرية رفيعة.

لم يكن في نيته الشراء عند دخوله المحل أحب أن يستزيد من الفرحة على التحف المعروضة في داخله ، فأخذ في تفحص كل قطعة متمهلاً ويده في جيب سرواله حتى لمج مطاولة سجانر أستوقفت نظره بفخامتها ونقوشها التي يتلألأ الضوء على حواهلها فتكاد تضيّق وهى تترهج بالألوان القرحية الرائعة.

قرر أن يشتريها ولم يعبأ بغلظتها ، وخرج يحملها في علبتها سعيداً بها وقد أعجبه أن يجدها ثقيلة بأكثر مما ظن ، دليلاً على مثانتها وقوتها تحملها.

على منضدة صغيرة قوائمها من الخشب المذهب وأعلاها قرص من الرخام الفاخر ، استقرت المطافة في ركن من الصالون وتعمد خالد أن تووضع بعيداً عن متناول الأيدي وكراسي الضيوف حتى لا يقترب منها أحدهم وهو كثيرون برماد سيجارة ، أو يتهور فيطفئ فيها العقب بعد تدخينها .

تسقط أضواء النجفة ، فتشع المطفأة الباريسية في ركبتها الأنثى والأحاديث تدور تصبيع الجو بعيق العلم وجديته عندما تنعقد جلسة الزملاء المنشغلين بأياديهن وكتبهن المتخصصة ، بينما يتسع الحوار عند حضور الأصدقاء إلى رحاب الفن والأدب ويتشعب إلى مختلف مجالات الثقافة، وتطل السياسة وأختلافاتها فتتال نصبيها من الحوار دون أن تذكر صفو النقاش بتغافلها تعصب . أو حدة تخرج عن اللياقة ، لحرص خالد البالغ في إنقاء أصدقائه منه المصغر حتى بالنسبة لزملائه لم يكن يسمع إلا بعضهم من يوليهم الثقة والاحترام بدخول شقته الأنثى المطلة على النيل.

بدورها تسقط الشمس في الصباح فتتلاقي المطفأة تعكس أشعتها الملونة بكلافة تخطف أبصار سيدقات شاهيناز زوجة خالد ، في جلستهن الصباحية، عندما تدعينهن لزيارتها ، ولا تتوغف ثرثرتهن التي تدور حول صيحات الأزياء ومشاكهن الصغيرة مع الأولاد والأزواج المشغولين دائماً بمعاملهم إعادة ما يبدأ اجتماعهن بالشاي الذي تعدد فتحية الشفالة ، ثم بفنانيل القهوة التي يصاحبها سيجارة تدخن برهافة لا تتال المطفأة ذرة من رمادها ، بينما تمتليء الأخرى وال موضوعة في المتصندف بالرماد والأعقاب . بقطعة قماش مبللة في يد فتحية المدرية تمسح قطع الكريستال المتذليلة من النجفة لتزيل عنها الغبار فيعود لها رونقها ، ثم تتناول المطفأة بعنابة لتدركها برفق من تحمل هم تلك اللحظات التي ترفعها فيها بعد أن يبلغ الدكتور في تحذيرها وهو يوصيها بالحرص على تلك التحفة ، إذا اقتربت منها عندما يحل الموعد الأسبوعي لنظافة المنزل .

في حركتها الطفولية اقتربت نهي ببراءة وهي تتعلم أولى خطوات المشي ، فتعلقت بحافة المخددة الصغيرة ولما لم تستطع الإمساك بالشئ الغريب الذي يلطم فوقيها ، أخذت تحاول وهي تتدفع الأرجل الخشبية بكل جسمها بوفى نفس اللحظة التي بدأت المخددة تستجيب فيها للتراجع التفت فتحية تبحث عن نهي لتجوسها من شقاوتها ، وفي لمح البصر أسرعت لتحق بها فترفعها بيد وثبت المطفأة بالآخرى قبل أن تهوى على الأرض وهي تحمد الله على سلام الاثنين معاً .

ارتفعت من مكانها وأفسح خالد لها موضعها على أحد أرصف مكتبة بحيث لا تطولها شقاوة نهي ، وتوارت عن الأنوار وحجب عنها الضوء في انزعالها فكفت عن إرسال بريقها إلا من جزء يسير يصله شعاع خافت ولا يكاد يلحظه أحد .

أخذت الخطوات المتعثرة تتنظم ويفوي وقعها ، ويأخذ الارراك حيزاً في عقل الطفولة المفتوح بالأسئلة الكثيرة التي لانتهتى ، وقيل أن يبدأ التمييز بقيمة الأشياء يحكم أفعال الطفلة كان أحواها عمرو قد وصل الدنيا وليدا .

لحة بارقة خاطفة تنتشل جزاً من شعاع تسلل من الشباك لحظة أن أمسك خالد بالمطفأة ليحملها إلى داخل الماوية التي تضم طقم الصيني ، وضعها في جانب بجوار رصبة الأطباق ، وأغلق الضلفتين ليعود مسراً إلى مكتبه ينظم ترتيب مجموعة الكتب الجديدة التي اقتناها ولم يجد لها موضعًا سوى ذلك الذي تشغله المطفأة .

من قلب الظلام ، انتشرت يد رقيقة المطفأة ، ثم تأملتها صاحبة اليد وهي ترفعها أمام الضوء الباهر الذي غمر المكان من النافذة ، بدت الغرفة مكتظة بالتحف الفرزفية وكان أكثرها لفتاً للنظر تلك الزهرة الضخمة التي احتلت مساحة كبيرة عند المدخل ، وتميزت الجدران بلوحاتها الثرية التي تتنعمى العديد من

## المدارس الفنية.

- التقت نهى لوادتها وقالت بلا مبالاة .
- لا يأس بها ، تنفع ، ممكן أن أضعها في صالون شققى .
- لابد أن تستأذن والدك أولاً فهى عزيزة عليه ، اشتراها في أولى سفرياته قبل أن تولد أنت .
- قالت نهى في مرح وهي تخضك من جدية والدتها .
- إنك لن يمانع ، ثم أنت لم يعد لها مكان في البيت الذي أصبح يشبه المتحف .
- ردت الأم بفداء صبر على سخرية ابنته .
- أنا لم أقل إيه يمانع ، فهو لا يدخل عليكم بشئ ، لكن من الواجب أن تستأذنني .
- لم تشنْ نهى أن تذكر صفو مرحها بحديتها المعتادة مع أمها ، وأرادت أن تخفي الأيام القليلة الباقيّة بسلام قبل أن تغادر إلى بيت زوجها ، فانصاعت بهدوء على غير عانتها .
- حاضر يا أمي ساقفل .
- مع حقيبة الملابس والأمتعة الكثيرة التي اختنّتها العروسه ، انتقلت المطافاة إلى مكانها الجديد لتوضع على منضدة في وسط الصالون وتصبح لأول مرة في متناول الأيدي .
- أشعل طارق سيجارة وجلس ينتظر عروسه حتى تنتهي من تغيير ملابسها بعد أن رفضت في حياء أن يبيّن في غرفة النوم ، وضع سيجارته على حافة المطافاة ليتمكن من خلع الجاكيت ، وعاد والقطّها بعد أن ألقاه فوق أحد المقاعد .
- في النادي التقى ، كان هو من شباب النادي المتميزين ، بطل جنو واسع النشاط والحيوية ، رغم افتقاره إلى الوسامه إلا أنه كان محط الأنظار بجسده الرياضي الشخصي وعلاقاته العديدة مع الشباب من الجنسين على حد سواء ، ثرا ، أبيه التاجر المعروف يزيد جاذبية في عين الفتيات . ولم يكن ينافقه في ذلك إلا عمرو خالد .
- منافسه الرئيسي اللدود يماثله في الطول لكنه أكثر رشاقة ، ويتميز عن بوسامته الملحوظة التي تجعله أشبه بنجموم السينما .
- لم تكن المشاھنات تتقطع بينهما وهما صغار ولكل منهما شلة وأصدقاء ، يتنافسون في الألعاب الرياضية بروح فيها الكثير من الشراسة ، ويتنافسون على الفتيات في حكايات وصراعات المراهقة التي لم تنتِ إلا على أعتاب الجامعة ، وبينما التقارب يأخذ طريقه شيئاً فشيئاً مع بدايات التنسج ، ولاسيما بعد أن حقق طارق عدة بطولات جعلته جديراً بالاحترام بين أقرانه .
- كما تدخل عامل لم يكن في الحسبان ، ليخفّ طارق من غلوائه ويستكين هائماً بعد أن ملكت نهى جواره بجمالها الأرستقراطي فأحبّها ، وزاده ترفعها الذي يصلّ لحد الغرور إصراراً على الوصول إليها فسعى إلى صداقّة شقيقها بقلب كسره العشق فلان ودق حتى يقترب متلمساً خطاه ، محاناًها البوح ييكون نفسه ، مظهراً أريحيّة لم تكن من طباعه ، وبينما من الود مالم هو نفسه يعتقد أنه يستطيعه .
- افتتح باب غرفة النوم ، فسحق سيجارته وقام متلهفاً .. تسبقه أشواقة .
- صباح اليوم التالي نشطت الحركة ، متفائلة بالسعادة ، تتوثّب بالحماس الذي يصاحب الاستعداد

للسفر ، أطفأ أكثر من سيجارة قبل أن يحمل الحقائب ، ويرحل العروسان لقضاء شهر العسل في جولة تبدأ على شواطئ جزر اليونان.

ثلاثة أعقاب ، وسجارة لم يدخن إلا أقل من نصفها ، ترقد في قاع المطفة وقد تناثر رمادها ، وأثار سحق أطراحتها المشتعلة تركت بقعاً سوداء ، دائنية تاكلت حواها ، يختلط سواد التبغ المحترق باصفرار نتف من بقاياها الجمرة المقيدة وتحيلها إلى دخان ورماد.

الحقائب الأنثية تعود ، ويدخلها ملابس فاخرة ، رابطات عنق من الحرير وقمصان ملوثة ، فساتين وسراويل ، شورتات بحر ، بلوزات ، حمد الله على السلامة ، يقولها الباب وهو يضعها الواحدة تلو الأخرى لصق حافة الباب . مهمة وهزة رأس قد تعنى ردا على تحيته ، الشابة الجميلة تحمل حقيقتها رغم تقلها وتسرع بها إلى الداخل ، يستحب الرجل فيفاير هابطا درجات السلم دون انتظار للبقشيش السخي الذي تعوده من الشباب وقد استقرب أن يجده واجماً كمن يرجع من سرادق عزاء ، كيف يحزن من انعم الله عليه بكل متع الحياة ؟ صمت متلطف بملبد بجو ثقيل تجمّع سحب قاتمة في سمائه ، التعب يبدو ظاهرا في كل ملمح على الوجهين ، والارهاق يقبض على الأفوار البعيدة في النفس ، تظل الحقائب مغلقة ، والملابس تخلي وتلقى بأعمال فوق المقادع والتلحفز يمكن تحت حجب الصمت ، العيون لا تلتلاق ، تتصنّع الانشغال ، يعرف وتعرف أن كل حركة وكل خطوة تتظاهر لتبدو طبيعية والتتصنّع يملأها ، رغم المحاولات لم ينطِ أحدهما ، مجرد كلمة قد تكفي لفتح باب الحوار ، وبعده أبواب الجحيم والغضب ، وجد هستيري لا يكتفى قدم الصباح ليتهي سغيره.

لم يتصف الليل بعد ، ورغم الإجهاد يسْتَحِي النوم ، لا يريد أن يضيع بجانبها على نفس الفراش ، قعيمصها القميص الخيف لا يحرك في نفسه أدنى رغبة ، يراها ولا يحس بأشدّة جسدها ، بيصرها كتحت جامد ، خشبي رائج التكون ، لكنه بارد ، ميت ، لا روح فيه ولا مشاعر ، تحس بالحب والدفء.

يسحب مخدة صغيرة ويُسْجِع في الظلام على أريكة المسالة يشاهد التلفزيون يبدو الفيلم مثيراً مشوقاً ، وقد بدأ لته ، يتهمس ويفكر في كوب شاي لتكميل متعة المتابعة ، يقفز مسرعا نحو المطبخ وفي ثوان تذوي الغارديه بصغرها ليعود ومعه الكوب يتتصاعد منه البخار الذكي الرائحة ، يتبع الأحداث بشغف ، يطنها نامت ، فيرشف الشاي مسترخيًا في رأته ، تتصاعد سخونة الصراع على الشاشة ، فيشغل سيجارة ، يبحث عن مطفة فلا يجد ، ليس هناك إلا تلك الضخمة ، العتيقة ، التي في الصالون ما أسفها ، كيف فات أن يشتري عدداً من المطافئ ليستخدمها.

صوت في المطبخ ، لم تتم بعد ، لا يهم ..لتذهب إلى الجحيم .  
لم تثبت أن قدمت وفي يدها فنجان نسكافيه يجلس على الكرسي المقابل وأذار وجهها نحو الشاشة . أنيع ضوء أنوار المساحة بينهما ، من مشهد نهار مشمس صحو ، مع طرف المطفة .

طفاية بابا ، من فضلك لا تستعملها .

.....  
إذَا تأخذها من مكانها .

وبعددين .

ـ ويعدين معك أنت ، أتعلم النوق .

-متشر.

-يعنى مش عاجبك ، لو سمحت رجعوا مكانها.

لم يكن طارق ضعيفا ، ولا يصلح بحال لأن يكون زوجا تحكمه زوجته وتملى عليه أرانتها ، رغم مظاهر الشراء العريض الذى يحيط بمسرتها والفيلا التى يقيمون بها والتى شهدت صباحا وشبابه فى أحد أرقى أحياء القاهرة بين صفوة الأثريا ، وأصحاب الجاه والنفوذ من جيرانهم وترشيه بالعادات المهدية فى التعامل وإنقاء فى التعامل وأنقاء الأفاظ اللاافتة فى الحديث إلا أن مواده فى حارة ضيقه بحى السبتيه حيث ما زال أفراد من أقربائه يقيمون بولالث السنوات التى قضتها من طفولته هناك ، طبعت فى نفسه أثرا لا ينكر من صفات أولاد البلد ، رغم حرص والده الصارم فى تربيته وتعليمه فى مدارس اللغات الخاصة ، ليتوافق أبناؤه مع صعوده المبهر فى عالم التجاره وأدارة الأموال ونوع نجمه كلأحد أقطاب المشاريع الاستثمارية الناجحة ، بعد بدايته ك مجرد محاسب يعمل فى شركه ذات نشاط محدود فى الاستيراد.

ظل طارق فى دخلية نفسه حتى بالرغم من اختلاطه المحدود باقاربه فى الحارة يحمل بعضا من نظراتهم الخاصة إلى الحياة ، خصوصا تلك التى تتعلق بالمرأة وطبيعة نورها فى الحياة كزوجة وأم . أمتدت كفة الضخمة ، لتطبيق أصابعه الغليظة على المطفأة ورفعها بيده وهو معها ..مشحون ، إلا يكتيها العصياني ، وتمردتها عليه ، فتبعد فى إهانته . فى إصدار الأوامر .إليه ، رغم تحمله كل ما بدر منها ، كما يتبينى لرجل مهندب أن يفعل فى تعامله مع فتاة راقية أو سيدة مهنية .

تفاضى على مضمض عن ارتدانها الشورت القصير وغلاله بلا أكمام ، ولكنه لم يتحمل أن يراها تنزل الشاطئ بالمالبس البكينى الذى لا يكاد يخفى شيئا من جسدها ، وكانت أشتهره خفية منه من محل بيع ملابس وألوان البحر بالفندق ، ثم فاجأته ترتديه وهو جالس ينتظرها على الشاطئ:

ردت على ثورته الفاضحة ببرود.

وفيها إيه؟ خليك متحضر .

ـ وهل العرى هو التحضر فى نظرك يا هانم

ـ ما أنت قاعد تبحلق فى البنات حولنا .

ـ أمعوذ بالله ، أنت مالك بهم ويسلوكهم ، نحن مختلفو عنهم وعن طباعهم ، ثم أنا لم .. قاطعته ولم تدعه يكمل.

ـ قل متخلفين أحسن.

لم تتحمل أعضاءه أكثر ، فقام وخطاها برداه بولولا حرصها على تجنب الفضائح فى مكان عام ، مما أستجاب له وهو يدفعها إلى حجرتهمما ، وقبل أن يغلق بابها انفتحت أبواب الجحيم وتراجعت محاولاته لاسترضانها أيام قوه الفضى التلتكها ، وانحسر فيض العص ساحبا تدفق العاطلة الحال ، وأطلاها الترهيج الذى يملأ أيام الحببين الأولى بحلوة العشق وبهجتها.

إنكمشت فى مقعدهما وهى ترى يده تقپض على المطفأة ولاحت رغم الظلام شرر الغضب يتطاير من عينيه ، حاولت أن تبدو متعاسكة ، وأبكت كرامتها أن تستمع لها بالقرار ، لكن الذعر المطل من عينيها كان أقوى من أن تخفيه عن زوجها الذى ظلت يده معلقة بحملها وهو يرمقها وقد بدا من صوت أنفاسه

السموع حدة الفordan العصبي المتأجج في صدره.

أول ما خطر له ويده تعتد لتمسك المطافاة ، أن يقذف بها التلفزيون ثم يقوم إليها يشبعها بعلقه لأن تسماها مدي عمرها ، تعلمها الأب ، ولكن ذكرها حاجزاً يمنعها من تجاوز حدود الاحترام.

ويعود أن أحكم قبضته على المطافاة ، تداعى عليه خاطر عقل تهوره ، دوى انفجار الشاشة لأبد وأن يوقظ الجيران وقد يتصل أحدهم بالنجدة ، ساعتها الفضيحة قد تتصل للجرائم وتمس سمعته أو بالأحرى سمعة أبيه وهو الأمر الذي لا يطيق مجرد التفكير فيه.

يقدنها هي ، يشج رأسها العين ، أم يخطها تلك الطفافية السخيفة العتيقة ، عزم أمره ، أستجمع قوة ذراعه وهي ترتفع ببطء ، ليهوي بها نحو الأرض ، فيكسر كبريتها في عنف الارتطام وتتاثر الشظايا سعلنا عن قوتها من قدرة الهائلة على الغضب .. على الإيذاء لآزاد.

في نفس اللحظة التي أصبحت فيها المطافاة كالفنينة المهمة للانطلاق ، لمح تراجمها .. انكماسها ونظرية الرعب المطلة منها انحسار الثوب عن ساقيها بالكامل وقد ضمتها إلى صدرها بحركة غريزية لتحمي نفسها ، لأول مرة يراها خائفة ، مستكينة ، وقد هبطت من برج عنانها وتذكرها ، تراخت قبضته ، راجع نفسه وهو يلمس ضعفها .. انكسارها أمامه واستسلامها وهي ترقد بلا عراك ، عارية لا حول لها ولا قوة ولا عناد يتحدى رجلاته ويوجج نار الغضب في صدره.

لم يكن يعاني من أية مشاكل نفسية ، ولا هو بالضعف الذي يحتاج أن يظهر قوة زاجفة ليست فيه ، فيندفع في ثورة ينفس فيها عن شعور بالقصم أو الحرمان بلا مبرر حقيقي.

نزلت يده برقق ، وهو يلاحظ الرعشة التي تملكتها ، بینها المرتجف ، وسرى اليه احساس أثيرى بأنه امتلكها وأنه رجلها .. سيدها ، وأنها امرأة التي تلد بحماء ، وتلتمس عفوه.

بكل الهدوء والثقة أعاد المطافاة لموضعها ، وقد استعاد هدوءه والسيطرة على أصواته وزال عنه الغضب ، بل تبدل إلى حنو فجائي جاشت به نفسه وهو يقوم إليها ويقترب منها رويدا .. عاذرا.

وما أن وضع يده على كتفها حتى انساب الدموع من عينيها ، تخلل خصلات شعرها بأصابعه فاستجابت بوداعة لداعيته ، فانحنى يقبلها على جيئتها كأنه يسترضيها ويعذرها مما بدر منه من تهديد لها فقلالت من خلال دموعها

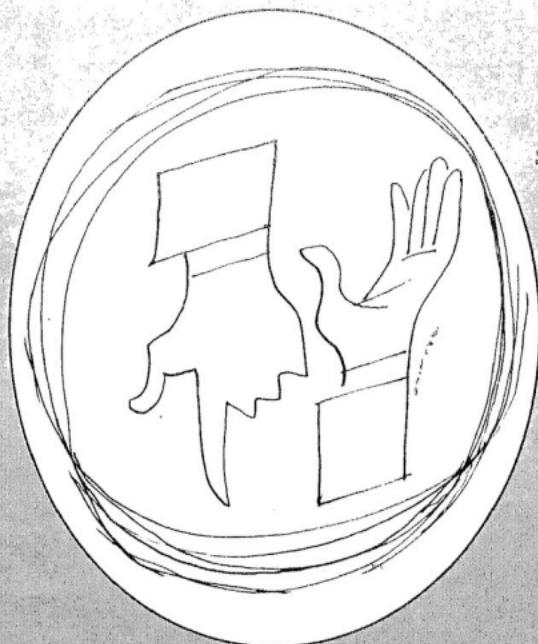
- كنت عازز تموتنني ياطارق.

فرفع ليضمها بين ذراعيه ويمحو ما اغتمل في نفسها من خوف وخشية ، احتضنها ليحتويها متعجبًا ، فما زالت حكمة الأجداد ومقولتهم عن ذبح القطة صحيحة بلية ، ذات أثر لا ينكر.

لكنه في غمرة انشغاله واندفاعه إليها وقد غلتة أشواقه ، لم يلاحظ ولا كان يمكن أن يلاحظ ذلك البريق اللامع في عينيها بالكرياء .. بالثقة .. بالانتصار وهى تحتوه فينبوب بين يديها مستسلما ، غارقاً في بحراً لا قرار له.

نحو

أدب ونقد



# نساء يركضن مع الذئاب

---

# «نساء يركضن مع الذئاب»

## نجوى على

«نساء يركضن مع الذئاب» كتبته دكتورة كلاريسا نيكولا استثنى من انحدرت من أصول مكسيكية وتبنتها عائلة مجرية وتعيش حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا أتاح لها فرصة أن تكون ملهمة بعدد من الثقافات ، كما يجمع الكتاب بين نقطتين عددياً من العلوم الإنسانية بدءاً بالأنثروبولوجيا وانتهاء بعلم النفس.

وقد صدر الكتاب مؤخراً عن المشروع القومي للترجمة بالجامعة الأمريكية للثقافة وترجمة مصطفى محمود محمد.

عقدت مجلة أدب ونقد «ندة» عن هذا الكتاب تحدث فيها الكاتب د. سحر الموجي ، عبد الحميد حواس ، حسن سرور إلى جانب مداخلة طويلة للناقدة فريدة النقاش .. أدارات الندوة نجوى شعبان. التي أشارت إلى أن هذا الكتاب يجعل القراء المدرسين على القراء السريعة ينحون إلى التباطؤ لأن الكتاب على أسلوبه الأنبي الأحادي يتسم بالعمق ويشير التأمل . وتنشغل مؤلفة الكتاب باتباع القوة الغريبة للمرأة لتصالح مع نفسها ومع الحياة وتعامل ناضج مع عالم خارجي هو في الغالب معاد أو منقص من قدر المرأة.

أضافت نجوى شعبان أن كلاريسا إلى جانب كونها محللة ومعالجة نفسية فهي تتمتع بمواهب أدبية فهي شاعرة وقصاصنة ، وظلت لسنوات ترأس رابطة المحليين اليونجيين (كارل جومنات يونج) في أمريكا الشمالية .

وبحسب ما ورد عن المؤلفة في موقع شبكة الانترنت فإن كلاريسا نيكولا استثنى تعتبر الكتابة وسيلة للعلاج ولها في هذا الصدد كتب وشرائط كاسيت من تكتبها : «التار الخلاقة»، مسرح الخيال ، تدفأ طفل الحجر ومن شرائط الكاسيت بصوتها: «كيف تحب امرأة» «عن الحياة الحميمية والحسية للمرأة»، منزل المرأة العجوز» «عن النموذج الشائع في أحلام النساء».

بين يونج وفرويد

وتحديث د. سحر الموجي ف وأشارت إلى أنه ينبغي ادراك الفروق الأساسية بين مدرسة فرويد ومدرسة يونج لدى قراءة هذا الكتاب الذي يعد من الإسهامات الأساسية التي تقدمها المؤلفة في اعتمادها علم النفس التحليلي لمدرسة يونج ونستخدمنه بشكل مختلف له علاقة بالحكايات التي توردها.

ففرويد هو أول من أسس علمياً لفكرة الدلوعي وتفسير الأحلام .. إلخ . وبعده يونج الذي أنشق عن فرويد وأسس مدرسة علم النفس التحليلي . وتوجد فروق أساسية ما بين الرائدتين فيما يتعلق بالفن تحديداً، فمع كل إسهامات فرويد المهمة إلا أن أفكاره عن الفن كانت افتكاراً سبقة ضد الفن ، حيث رأى أن الفن هو تعبير عن الشياطين المكبوبة داخل الإنسان ، وأن الفنان سواء كان كاتباً أو فناناً تشكيلاً

يعد عن هذه المكبوتات ، وفي الوقت نفسه ذهب إلى أن الأحلام هي وسيلة للتعبير والتفسير عن المكبوتات ، والعقد القديمة.

ومن هنا تأتى أهمية مدرسة يونج فقد اعتبر كلا من الحلم والفن رؤية صوفية فهما الطريق إلى الروح ومن ثم أعلى من قيمة الفن وقيمة الحلم خلافاً لمدرسة فرويد ، فالفن عند مدرسة يونج هو تعبير عن رحلة الإنسان الروحية خلال حياته كلها ، علامة على تأسيسه فكرة اللاوعي الجماعي مقابل فكرة فرويد عن اللاوعي الفردي .

ومن هذه الصور المرويّة صورة المرأة البرية التي يكرس لها هذا الكتاب.

وأضافت د. سحر عن المرأة البرية -أؤكد على ترجمة كلمة «برية» وليس وحشية فهي موجودة داخل كل امرأة وكل خطاب الكتاب موجه لكيهها في آن واحد، والمرأة البرية هي تلك الأنثى في المطلق التي لا تزال تحتوي داخلها كل قوى الطبيعة الحقيقة، كل قوى الحدس وليس الغريرة في معناها الحيواني ولكن الغريرة في معناها الروحي أي: الإحساس والاستشعار والرؤيا عن بعد والتواصل مع الآخرين والاحتساء والضم إلى آخره . وهذا باختصار تستطيع وبتبسيط لصورة المرأة البرية ولكن الكتاب يطرح مجموعة من الحكايات الشعبية والأساطير ، بعضها تعرّفه وبعضها لا تعرّفه لأنها أساطير وأفداء من حضارات وثقافات أخرى ويجرئ لها تحليل نفسي على أساس افتراض يوينج الذي يقتضي بأن كل الشخصيات التي تظهر في الأحلام والأسطورة والحكاية ، كلها شخصيات داخلنا.

وأشارت د. سحر الموجي إلى أن أهم القضايا التي يطرحها الكتاب فكرة القيمة المجتمعية للمرأة ، ولا توجد هنا حاجة للايضاح بأن المؤلفة أمريكية ، صحيح أنها من أصول مكسيكية ومن أوروبا الشرقية ، لكنها في النهاية أمريكية تتعمق إلى الحضارة الغربية، مما يعني أننا لا بد أن نأخذ في الاعتبار درجات ونسب مختلفة في القياس ما بين القيمة المجتمعية للمرأة الغربية وذلك القيمة الحاصل في مجتمعنا . كما أنها تتحدث عن فتاة ما بعد الحقب العالمية الثانية.

وافتراض الأساس المبني عليه الكتاب هو التماهي والتوازن ما بين المرأة والذئبة التي نراها من خلال الذاكرة العامة على أنها حيوان مفترس وكائن شرس ولأنه إطلاقاً للخusal النبيلة الموجودة في الذئب والذئبة في عالم الحيوان.

· وحاليا في الغرب تقارن الحركات النسوية ما بين قهر المرأة وقهر الطبيعة عبر قتل الأشجار وإجتنابها وكذلك القباب والمساحات الخضراء . فشلة اتجاه في الغرب الآن يقارن بين قتل الأرض الأم والطبيعة الأم بانتباره أيضا قتال النساء في آن واحد.

دلایل متکررة

علق مقدمته الندوة نجوى شعبان على مصطلح الغرينز الذي فرويد المرتبطة بالمهنية ليصبح الإنسان الفرويدي يعيش الحاضر بلا الماضي أو مستقبل، لا يتنكر لماضيه كحبة ضائعة ولا مستقبله.

أما يونج حسب تعريفه للغريرة في كتابه «نساء يركضن مع الذئاب»، فيقول إن الغرائز متبعها اللاوعي النفسي وهي الطبقة أو الشريحة التي يمكن أن تختلف عندها البيولوجيا مع الروح.. أي أنها تقع في نقطة التلاس بين اليومي المعاش وبين المطلق (الروح).

ولكن لأن الملل إنسانية جداً وواقعية فهى تفرق بين نهرين من الألام: الالم ينبع ويدفع للابدأ والالم يشرخ، والألم الذى يشرخ هو الذى تعتذر تجاوزه، وهذا أمر وارد للجميع ومن هنا أفرد قصتها وحكايتها عن **عشيرة النذوب**.

## تعريف الوعي

أما د. عبد الحميد حواس فقد أشار إلى أن الكتاب يتناول مقاربة أدبية غنية وفيها فيض من العاطفة والمعروفة في الوقت نفسه ، وهذا أحد أسرار أن الكتاب جانب للقراءة . بل يدّعو ويوصي - رغم ما يأخذنا عليه من الناحية المنهجية الفكرية - إلى قراءته ، شريطة الوعي بأن فكرنا كأصحاب ثقافة أتنا حصلنا معرفة تتجاوز ما فعله فرويد على سبيل المثال ، إذ لنا رؤية في منهجه أو الموقف الفكري خلفه ، لكن هذا لا يعني من أن نقر بـ «كتاباته» جيدة . والأمر نفسه يتطبق على قراءة كتاب «نساء يركضن مع الذئاب» نظراً لقيمة الأدبية لأنّه يعتمد على مجموعة الشخصيات الفلكلوري والأسطوري ، فهي قصص غنية من أنحاء العالم بدأً من مصر القديمة ونهاية بقصص الهنود الحمر واليابان وأوروبا الوسطى والشرقية ومنطقة سيبيريا وأمريكا اللاتينية وخاصة المكسيك.

والفكرة التي يطرحها الكتاب بها جانب مهم لا تستطيع إغفاله وهي ما يمكن أن يسمى مواجهة المرأة ذاتها بأن تقدر قيمة نفسها ، هذه الفكرة الأساسية ، وبالتالي تجاوز المحيطات والقيم التقليدية السائدة التي تشبيه المرأة وتبخسها . ومن ثم تستقر المرأة قواها البدعة ، وعلى مستوى الحياة تستشعر قدرتها الابداعية على صنع الحياة يومياً ، من خلال علاقاتها بالآخرين .

والكتاب يركز على هذه الجزئية باعتبار أن المؤلفة منشلة بالتحليل النفسي وستخلاص في كل فصل نصائح لتكيف المرأة مع الواقع وتلتقي مع ذاتها الحقيقة وتتنقى عن نفسها الاغتراب الذي صنعته التقليدية الاجتماعية المختلفة .

واستدرك عبد الحميد حواس وتحذر في مأخذة على الكتاب فقال: (لكن المؤلفة وهي تفعل ذلك لجأت لعدة أمور أولها أنها استسهلت طريقة النصائح والتوجيهات ، وهذا تقليد في الكتابة الأمريكية البرجماتية ، ثانياً: تعدد قصص وحكايات وعناصر من أماكن مختلفة وتتنتمي لعصور مختلفة مثل قصة (إيزيس وأوزوريس) إلى جانب قصصي فلكلوري حيث، منجزت بين عناصر قصصية تتتمى إلى عصور مختلفة وبينات وظروف نشأة متباعدة ، هذا من أجل بناء فكرة واحدة ، لكن هذا الأمر يجعل الفكرة وكأنها مبنية على أساس مطلق ، فكل الحكاية لها سياقها ودلائلها كما في «إيزيس» التي تتعكس في رمزيتها ، وعندما ينزع جزء من الأسطورة، تأخذ معنى آخر ودالة أخرى تضفيه هي على).

من هنا ، وحتى في علم النفس يرفض البعض نتاج فرويد لأنه قائم على تحيزات ، لأنّه علم فرنسي يعتمد على ذكائه وصبره وحسني وقدرته على التنفيذ إلى وقائع جديدة يراها آخرون شيئاً آخر . فالتحليل النفسي يعتمد على بصيرة المحل وثقافته .

وما ذكر أنتغا يرتبط بفكرة العرفانية ، إذ أن هناك طريقتين في فهم العالم ورؤيته أولهما قائم على البرهانية أي القياس المنضبط أما الآخر العرفانية فليلجأ إلى الهدوء والإلهام .  
وتقدير أن المسألة مقدّنة في القلب .. وأن نموذج المرأة الوحشية هو النموذج الغريزي الفطري الذي ولد به المرأة . وفي هذا الصدد أعاد عبد الحميد حواس إلى الأذهان ارتباط كارل جوستاف يونج بالثقافة الغنوسيّة .

وثالثاً: إن هناك خطراً منهجاً له تأثيره على الوعي . حيث أن التركيز على فكرة ما هو غريزى ياعتبرها تحكمـاً قطرياً يوجه الرغبات (علماء النفس يرفضون مصطلح غريزى) . وأن الحل عندها تشكل في الغريزة بدلـاً عن أن تكتسب المرأة وعيـاً بالظروف الاجتماعية (بالمعنى الواسع) التي تحدد ظروف قهرها .

## قراءة الأسئلة

وتناول الباحث الفاكلوري حسن سرور طريقتين مختلفتين لقراءة الكتابة وتبني المطريقة الثالثة التي هي طرح لأسئلة جوهيرية وبعض المفاهيم التي نشأ عليها الكتاب.

أكيد سرور أن هذا الكتاب له أكثر من اقتراح للقراءة، أولاً : يقرأ باعتباره نصاً أدبياً فنياً من طراز رفيع، وذلك بآن تسمى الكتاب «نساء يركضن مع الذئاب» وتحذف العنوان «الاتصال بقوى المرأة الوحشية» من على الغلاف المطبوع وتنجاهل التكلمة «أساطير وقفسن عن نموزج المرأة الوحشية» وتحذف عنوانين الفصول والعنوانين الداخليتين التي هي في وسط الصفحات والهواش والقائمة البليوجرافية.

ثانياً: إن قرأ النص / الكتاب من منظور الانجاز «الروحي / الغنوسي البروتستانتي» للحصول على المعرفة بدون أي نظام نظري أو أي تأملات تجريدية في الواقع ، ولنبدأ من الذات (الآنا) كمدخل للخلاص من هذا فيما يخدم أفكارنا.

وأضاف حسن سرور أن الكاتبة ركزت على الأسطورة والحكاية والقصة والحلم والرمزية على اعتبار أن هذه مجالات يمكن أن ندرس فيها بسهولة النشاط الحر للعقل الإنساني، وللهمة على وجه الشخصوص، واحتل ميداً «التعارض الثنائي» مركز الدراسة ، ومن بين هذه التعارضات الثانية : الطبيعة والثقافة ، المرأة والرجل ، المرأة السوية والمرأة المريضة ، المرأة الخبرية والمرأة السانحة ، الداخلي والخارجي .

### درس عميق

وكانت أولى المداخلات للناقدة فريدة النقاش التي قالت: (هذا كتاب ممتع ومدهش ومفيد وكما شف بجعلتني هذه المرأة أحب الكتاب وأفكك وانتقد الحمولة السلبية عنها وأنتشي بتجيدها للفرح الحياة فيه كتاب يشد من أزر النساء ويترك أثراً كذلك الذي يترتب على الخروج من حالة البراءة أو السذاجة كما تسفيها المؤلفة إلى المعرفة .. والمعرفة ألم ولكنه الألم الجميل ، هذا ما ي قوله الكتاب القياض بالتجربة والصدق والمحبة النساء ، كل النساء وبالبشر كافة .. وأن كان الحديث عن الإنسان كإنسان رجل كان أو امرأة هو نادر في هذا الكتاب الذي يطلق صرخة متوية من أجل الحرية الحقة، من أجل الانسجام والتتناغم مع طبيعتنا الأصلية العقوية المفعمة بالمشاعر وطاقة الإبداع التي جرى طمس معالمها - طبقاً للمؤافحة تحت وطأة الحضارة .

والكتاب جميل لدرجة يصعب على الإنسان تقدمه وهو درس عميق عن ما نسميه : قوة الإلهام . ولكن الكتاب مع ذلك يطرح مجموعة من التساؤلات تحتاج إلى البحث والتذقيق والتقصي والاضافة ، وقد حمدت الله أنها قالت أغلبظن أن كل النساء والرجال يولدون موهوبين .. وأول تلك التساؤلات هو العلاقة بين الطبيعة والثقافة ، الثقافة التي هي طبيعة جرى تهيئتها وصقلها وكانت المرأة غالباً مربوطة بالطبيعة أي بالحالة البدائية الأولى ، وهي الفكرة التي راكمت الثقافة الطبقية الأبوية فوقها تدريجياً من التحريرات ضد المرأة بدءاً من الأساطير مروراً بالأديان وانتهاءً بالفلسفات لكن تحرم المرأة من المساواة وتنقص حقوقها .

وأحد الأسس التي بني عليها هذا الكتاب هو طبيعة المرأة رغم ما يرتبط بهذه الطبيعة من تمجيد يشابه التقسيس .

إن تتبع مسيرة البشرية على هذه الأرض يدلنا أن الإنسان كان وحشاً وكأن يعيش على أربع قبائل أن يصبح إنساناً ، ودون أن تخوض المؤلفة الاشتباك مع هذا التاريخ تحول الوحشية إلى كلمة ساحرة ولا تقول شيئاً عن وجود شبيه لها في طاقات الرجل، ويمكنا أن نستنتاج إذا امتدت الفكرة ل نهايتها أن بقايا

الإنسانية الأولى ظلت عالة بالمرأة وحدها تساندنا في ذلك فكرة «طبيعتها» وتجعلنا نسأل إذا -اتفقنا مع استخلاصات العلم حتى الآن حول الطريقة التي تطور بها الإنسان -إن كانت هناك حقاً طبيعة ثابتة، وإن كان الأمر كذلك هل هجر الرجل المرأة في رحلته إلى الحضارة ويقيت هي هناك مع هذه الطبيعة الثابتة التي توغلت في لوعيها وجري قمعها.

\* ولكن ما الذي يطمسها ويقمعها هل هي الحضارة بالطلق أم حضارة معنية التي تحكمها القوة المفترسة والوحش الضار أو الحضارة المريضة ، هي من وجهة نظرى الحضارة الرأسمالية القائمة على المنفعة العاربة.

\* وهذا يقودنى إلى تقصى تأثير المجتمع الطبى على الضمير الجماعى وعلى اللوعى الجماعى والذى يبقى تحاليله نفسياً قاصرأ إذا لم يتعمق انعكاس المجتمع وعلاقاته أساساً على هذا.

\* كان نقدنا الذى سبقتها إليه مدرسة التحليل النفسي النسوى للفرويدي يمكن أن يفتح على آفاق أوسع لو أن المجتمع كان حاضراً وليس فقط اللوعى النسوى الفردى والتغريب الكلى على الارادة الفردية النسوية وقوافها الم Crowleyة [إن تسفيفه ضفول النساء واعتباره لاشيًّا أكثر من كونه نوعاً مملاً من التخلف ، ينكر على المرأة بصيرتها وحسها الباطن وحسها الغزيرى ، أنه ينفي عنها كل مشاعرها ، فهو محاولة لهاجمة القوة الأصولية فيها] .

وهذا نقد عميق لكنه لم يكتفى بقول فرويد أن الأحداث التراجيدية فى الحكايات القديمة هي عقاب سيكولوجى للشفق الجنسى عند النساء.

#### ثانية تيار الوعي وعمليات المخ

وتحدد المترجم مصطفى محمود عن ظروف ترجمته لهذا الكتاب فقال: رغم أنه ليس من وظيفتي أن أدافع عن الأفكار التي وردت في الكتاب ، لكن ما لفت نظرى من ضمن ما قبل في الندوة أن الكتاب هش من الناحية العلمية أو أنه يفتقر إلى الأساس العلمي وأنه دعوة تقوم على الميتافيزيقيا للعودة إلى عالم الروح للمرأة الوحشية تشبيه الأساس الميتافيزيقي للعودة إلى أرض الميعاد غير أنني أرى الكتاب ينبغي على أساس علمي قوى يمكن إيجاده في أن الخبرات البشرية موجودة في النفس وأنها تنتقل إلى البشر عبر الأجيال عن طريق اللوعى الجماعى والأمر نفسه يقال عن الجينات الوراثية . وبالرغم من أن الكتاب يتركز على الروح الإنسانية ، فهو يواكب أحدث ما تم التوصل إليه في فلسفة العلم وفلسفة العقل.

فمن المعروف أنه قرب نهاية القرن العشرين ، أصبح هناك شبه يقين في أن البشر أحاديون بطريقة فيزيائية دقيقة وخلال صحة حيث إننا مركبون بالكامل من وحدات فيزيائية دقيقة على هيئة واحدة ببولوجية مقدرة ولا توجد عقول أو أرواح .

وهكذا ليس هناك مفر مما يمكن تسميته ثانية الخصائص المادية أو الخصائص البيولوجية لتقسيم الحياة العقلية للبشر ، فيما يعني أن الوعي لا يصلح تقسيمه بالعمليات الفسيولوجية للمخ وأن هذا الوضع لن يتغير بالتأكيد خلال المائة سنة القادمة.

يتبقى أن الكتاب لا يخص المرأة وحدها ، بل يخص أيضاً الرجل وينطبق عليه تماماً ويساعد على استكشاف الجانب الأنثى في سيكولوجيتها والتعرف عليه بما ينعكس على التفاعلات بين الرجل والمرأة في العالم الخارجي.

## النشيد والشهيق والزفير

كتابان جديدان صدران معاً للشاعر عبد المنعم رمضان ، الأول ، مجموعة شعرية بعنوان "النشيد" عن ميريت تجربة جديدة على مستوى التكثيك والمعنى ، يخوضها شاعر « قبل الماء فوق الحافة » و « غريب على العائلة » و « بعيداً عن الكائنات » ، « النشيد » به ثلاثة نقلات ١- فاتحة النشيد ٢- المعانى على الفاتحة ٣- الخروج والإعراب في فاتحة النشيد .

أما الكتاب الثاني « الشهيق والزفير » الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة ، فهو عبارة عن مجموعة من المقالات والاسكتشات والبورتريهات ، كان قد كتبها عبد المنعم رمضان على فترات ، أهمية هذا الكتاب ترجع لعدة أسباب ، لعل أهمها العشق الذي يكنه عبد المنعم للتراث العربي ومنجزاته في تجارب العملاقة الكبار مثل يحيى حقي وطه حسين والمازنى وأ لهذا السبب هناك بورتريهات فى الكتاب عبارة عن لوحات رسمت وكثبتت بلغة رقيقة المستوى وتجاذرت الأطر المتعارف عليها ، ولأسيمها بورتريه طه حسين ، أندونيس ، فيروز ، أنسى الحاج ، الشاعر بقلمه . إضافة إلى بعض الردود والتوقف بالحوار العميق والمناقشة الحادة عند العديد من قضايا وإشكاليات الثقافة والفن.

### حجر على حجر

رواية جديدة صدرت عن دار الكتب الأدبية في بيروت للكاتبة والشاعرة الكويتية فوزية شوش شوش السالم وهذه هي الرواية الرابعة للكاتبة بعد "الشمس مدبوحة والليل محبوس" و "النراخنة" و "منزن" ، الواضح من خلال القواسم المشتركة بين هذه الروايات أن هناك فكرة مشروع روائي ممتد ، أهم سماته ، البحث والتقصي في جغرافية وتراث منطقة الجزيرة العربية والخليل بصفة خاصة والبحث عن الهوية العربية عامة في هذه الرواية "حجر على حجر" . وكما قال أحد المعلقين : من الأندلس هروليا إلى اليمين ومن الكويت إلى سحر اليمن ، ومن إغواطات خيوط سجاده صفيحة ترك الزمن عليها ملامحه ، ورائحته الممزوجة بغيوم الحسرات وأطياف انتكسارات الحب ، تبحر الروائية فوزية شوش في تخيلاتها الجميلة ، عبر أزمان متباشرة ، وجغرافيًا غير متقاربة لتعيد مسيرة فسيفساء أحجارها المبعثرة في طبقات التاريخ وعطر الأمكنة ، تتنقلاً عن صبغها وسلامسة المجررات ، من خلال لغة شافقة ، وتفاصيل زجاجية ، تكشف عن عوالم مشحونة بظلل الحب والخيارات ، والفقد والإلتقاء ، ويندمغ فيها الماضي بالحاضر والواقع بالمتلويجيا ، وتكون فيها الذات الإنسانية حاضرة تحت كل حجر .

### يعمل متاديا للأروع

مجموعة شعرية صدرت بخلاف أنيق عن دار « شرتيات » ، الشاعر ، أشرف يوسف ، وأشرف يقيم في مدينة المنصورة وقد صدر له قبل هذه المجموعة : ليلة ٢٠ فبراير - قصائد منسوبة ١٩٩٥ أو غير

سحابة بين مدینتين ١٩٩٧ ولنجزئ هذه الفقرة : ب لا  
وليس ب نعم كلها .

أحتضن كف مشوقة في مر المستشفى الطويل  
مسكاً بين أستانى مدينة كاملة  
كدليل على تعاقب الليل والنهار  
سنوات تحسن يا أختي  
بالمرات التي صادقنا بشراً لديهم القدرة  
على سد فجوات الروح

### حافات الأمل

الكاتب الصحفي العراقي صلاح النصراوى المقيم بالقاهرة ، اقطع من وقته ساعات قليلة ، كان يجلس فيها إلى مكتبه ، كى يدون أول عمل أدبي له ، رواية " حافات الأمل " الصادرة عن ميريت والتي تقاطعت فيها السيرة الذاتية بالحكى الروائى بالتحليل السياسي والروى والأفكار عن الحياة والإنسان إلى جانب توقف الرواوى بالسرد والتحليل عند فترة وجوده بالعراق وملابسات الحياة هناك وأشباب كل هذا بالقمع والعنف ، يقول الرواوى في السطور الأخيرة من الرواية : " أما أنا فمن المؤكد أنك ستونن يوماً إن لم تكون أبقت بعد بآنى لست من تلك الطيور التى يمكن أن يضمها قفص طللاً ليزال فى جناحي ريش .

### ينابير

ينابير أحد الإصدارات للكاتب والمترجم المصرى الذى يقيم فى موسكو منذ عام ١٩٨٧ ، أشرف الصباغ ، وهو صاحب الترجمات اللافتة من الروسية إلى العربية ، روايات وقصص للكاتب الشهير فالنتين راسبوتين والأدب الروسي والثقافة الروسية ولاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتى . أما هذه الرواية « ينابير » رواية للأصدقاء العاديين للمهمنشين لغريام وهناك رواية الذين يتذمرون دورهم فى طابور الإعدام من الأزل إلى الأبد أو ينتظرون الموت المجاني أو حتى الموت بالصادفة .  
محاولاً . اغتیال . نبضك المرضى

مجموعة قصصية للكاتب محمود خضرى يس ، وقد صدرت للكاتب من قبل مجموعة قصصية بعنوان : حلم ساخن ، وله مجموعة قصصية تحت الطبع بعنوان صرخة نخيلكظامى ، وقد نشر الكاتب قصصاً في الجرائد والمجلات المصرية .

### أهداب بلا عيون

الفنانة التشكيلية والكاتبة فادية فهمي صدر لها أثنااء معرض الكتاب أحدث كتابها ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، رواية تستبك فيها السيرة الذاتية مع الواقع المعيش . هذه الرواية زينة برسوم الفنانة فريدة عويس والتى تحرصن منذ فترة أن تندمج أعمالها مع كتابات فادية فهمي .  
ريحانة

عن روايات الهلال ، صدرت رواية "ريحانة" للكاتبة والشاعرة ميسون صقر ، كعادة ميسون صقر ، تنتقل من فن إلى فن وتجرب ، جاءت هذه الرواية جامدة لقد رأت الفناة الشعرية والتشكيلية وكما جاء في تقديم الرواية فإن "ريحانة" رواية ذات مذاق خاص ، ولدت من رحم أحداث مضت ، لتعيش واقعاً تغدوه المتناقضات والتساؤلات أبطال الرواية نماذج ثرية درامياً ، فريحانة عيده لاتملك من أمرها شيئاً تترك موطنها بصحبة سادتها حاملة طفلها إلى مصر تاركة زوجها ويداخلها أفكار تمور وطموح للعودة.

### العولة

العولة ، أفق مفتوح وإرث يشير المخاوف ، كتاب لافت لكاتب والباحث الليبي صالح السنوسي صاحب ، العرب من الحادى إلى العولة ، الوجيز فى القانون الدولى ، العولة إرث أوروبى وأفاق أمريكا وأعمال روائية ، متى يفيض الوادى ، غداً تزورنا الخيول ، لقاء على الجسر القديم ، سيرة آخر بني هلال وطلق الريح .. الروايتان الأخيرتان صدرتا عن دار الهلال . في هذا الكتاب الجديد « العولة » يتعرض إلى ثلاثة ركائز أساسية في ثقافة الغرب ، كانت قد تشكلت في لحظات تاريخية حاسمة في تاريخ الحضارة الغربية المعاصرة ، هذه الركائز هي التي حملت بنور العولة وغذتها حتى أينعت وأشارت في القرن الواحد والعشرين . تتمثل هذه الركائز في الاتجاهات التي ميزت الفكر الغربي وحدثت رؤية الثقافة الغربية إلى الآخر ، وهي تحديداً ١- المنظور الشمولي ٢- المنظور الإثنى والعرقي ٣- المنظور القومي.

### تراث المسرح

تراث المسرح ، مجلة يصدرها المركز القومى للمسرح والفنون الشعبية ، عدد تذكاري بمناسبة مرور نصف قرن على ثورة يوليو . يائى هذا العدد وكما جاء في الافتتاحية " معرفاً برماعيتها ( ثورة يوليو ) وبصدقأ على دعمها للفن والفنان فى إطار احتضانها مائة عام من الإبداع السرحي . وقد صاحب صدور المجلة . طبع عدد من المسرحيات العالمية « أبيبيوس ملكاً - إلكترا ، « الكستيس » إيفيجينا في تاوريس - أجاكس - بانتام - في هذا العدد التذكاري مساحات نوعية هي ١- المسرح من أجل الحرية ٢- المسرح من أجل فلسطين ٣- المسرح من أجل العدالة ٤- المسرح من أجل المرأة والطفل ٥- المسرح من أجل المستقبل . علاوة على إفراد حيز خاص بهمهرجان التجريب المسرحي المصرى باعتباره حدثاً بدأ مبشرأ ويقى صامداً مضيقاً وواعداً . أما المساحة الأخيرة فقد خصصت لتمثيل مسرح هيبة قصور الثقافة .

ذلك الذى يحتل المساحة العظمى من خارطة المسرح المصرى بفرقه التى تربى على المائة وبنواديه التى تناهى ثلاثة أضعاف هذا العدد وقبل كل ذلك بتأريخه المكرس كلية لنشر الوعي والتثوير بالأدب والفن .

### وشایات عادیة

« وشایات عادیة » الديوان الثاني للشاعر ماهر حسن ، يحمل بين ثنايا قصائده لغة مراوغة تعتمد



في بنيتها على التكثيف من خلال الإتكاء على ما يمكن أن يسمى بالمجاز الواقعي، وقد صدر الديوان عن سلسلة الرواد التي يصدرها فرع ثقافة البحيرة التابع للهيئة العامة لقصور الثقافة.

### أفيا - صفيرة

نجلاء علام واحدة من أكثر بنات جيلها موهبة وقد صدر لها مؤخرًا مجموعة قصصية بعنوان «أفيا صفيرة لم تمت بعد» عن الهيئة العامة للكتاب، وقد قسمت المجموعة إلى جزئين الأول «اهتزازات غائرة» والجزء الثاني «إهتزازات صفيرة»، ولعل أهم ما يميز الجانب السردي داخل تلك النصوص هو ذلك الزخم الروحي والإنساني العميق، والتماس مع مفردات الحياة اليومية في لغة مبتهة أحياناً، شجية وحزينة في أحياناً أخرى، لكنه ليس الحزن الأurg، إنما ذلك الحزن النبيل الذي يأخذ المتلقى إلى آفاق أرحب.



الملف

محمد عفيفي - سخرية التحرر

ضحك كالبكا

• السخرية أو الانفجار

د. نعمات أحمد القواد

• والحب والموت - تجريب محفوظ

• الأدب الساخر بين المازق وصفيفي

• الساحر العظيم - محمود السعدنى

• موليد مصر فى الجزيرة المهجورة - تعالى يا عفيفي يوسف معاطى

• سحر لا يقاوم - د. على الراوى

• السخرية بين محفوظ وصفيفي ياسر ابراهيم

• الترنيمة الأخيرة - حلمى التوتى

■ إعداد وتقديم: احمد الشريف

## السخرية أو الانغمار



١١

كان وجهي يحمر خجلاً من نفسى  
ومن الأبطال والأكاذيب التي تواطأوا على  
حشرها في دماغى فكان لزاماً على أن أسخر  
أو أن انفجّر وكانت السخرية بالطبع أهون الشررين.

محمد عفيفي

في البيت، في الشارع ، في العمل ، في المواصلات العامة وبين إشارات المرور ، على المقاهي وفي الحقول ، يمكن أن تسمع آخر نكتة وأخر تعليق ساخر على القرارات السياسية والاجتماعية وغيرها من شؤون الحياة يعني هذا إنك في مصر وبين المصريين يعني هذا أيضا ، أن هذا الشعب ومنذ وجد يقاوم بالسخرية الضاحكة أو الضحك الساخر التلم والخوف والسلطان الفاشل وأحزان وأتراح الدنيا ، اشتهر شعبنا بخفة الدم ، إذا لم يكن غريباً أن تكون شخصية (جحا) والتي يوجد منها في بلاد كثيرة ، أن تشتهر أكثر في مصر وأن يصدر المصريون (جحاجم جحا المصري) إلى شعوب أخرى.

الأسلوب الجحوي وكما قال محمد رجب النجارـ إطراراً أو فلسفة جزء أصيل من أسلوب الشخصية المصرية في الواجهة والتبيير ، لا يزال يشكل معلماً بارزاً من معالم الشخصية المصرية . وتزيد السخرية خاصة في تقد

الهيئتين الاجتماعية والسياسية كلما عزت حرية التعبير . وبعد الشعب المصرى من أكثر الشعب والذى وصف حكمها بالغلظة واللامه وسخرت منهم ومن سلوكياتهم وقراراتهم ، لقد كان معظم هؤلاء الحكم لفترة ليست بعيدة من غير المقربين مع الوقت ظلت عادة السخرية والفكاهة والتندير عادة أصلية فى الشعب المصرى حتى بعد عرحيل الحكم الأجنبى . بالطبع ذكر أو بعضنا يذكر ، تحذير الرئيس جمال عبد الناصر ولهم للشعب المصرى، بسبب النكات والقصصات التي أطلقتها الشعب بعد هزيمة ١٩٦٧ .

ملكة السخرية هذه والتي وصفها العقاد بأنها عبرية لا تقل في اقتدارها على تجميل الحياة وتلقيف النفوس والأنواع، عن عبرية الفلسفة وعبرية الشعر والتأحين، أمتاز بها شعبينا عن جدارة وامتاز واشتهر بها من بين شعبينا من أطلق عليهم الظرفاء والساخرين، الذين صنفهم الكاتب محمد بركات بأنهم طبقة من ذكى خلق الله وأكثراهم موهبة وثقافة، وإن الله قد جاهم بذلك الجنانية الساحرة التي تجعلهم يحبون كل البشر وتجعل كل البشر يقبحون هوامش بنفس الدرجة وأن هذه «الكاريزما» التي يتمتعون بها هي موهبة إلهية أصيلة فيهم، لأنهم يحبون بنوائهم كالذهب الذي لا يحتاج إلى طلاء.

هناك نجوم وأسماء كثيرة في سماء السخرية المصرية، من جحا المصري مروراً بابن مماتي وعبد العزيز البشري وكامل الشناوى وعبد الرحمن الغمسي ومحمود السعدنى وأحمد رجب وغيرهم كثير ولكننا فى هذا الملف اختربنا واحداً من بين الأسماء الكثيرة . أطلق عليه نجيب محفوظ (شيخ الساخرين) وقال عنه رجاء النقاش ابن(مولينير مصر) وعقب محمود السعدنى (الساخر العظيم) هذه الأسماء والألقاب المراد بها( محمد عفيفي) والذى بعد سحق، أعظم كاتب ساخر انتخب مصر في العصر الحديث وفق تعبير السعدنى.

ولعل من أبرز سمات عالم السخرية في أعمال محمد عفيفي، الشعور بأن هذه السخرية لها أرضية ثقافية ورؤيا فلسفية شفافة لم يها وجдан الشعب المصري يمكن عفيفي قريباً من يوميات الإنسان وتفاصيل يومه الدقيقة ولقد حول المقال والتعليق والصور القلبية الساخرة من نص تنتهي علاقتها به سريعاً أو غير قرأت إلى نص أثني رفيع المستوى وهذه الخاصية ترجع إلى أسلوبه وعيقهـة اللغـة التي منـج بهاـ الفـصـحـى بالـعـامـى بشـكـلـ لم بـسـقـ لـهـ مـثـلـ مـنـ التـفـاعـلـ وـالـبـاسـطةـ وـالـأـنـسـجـمـ .ـ هـذـهـ اللـغـةـ لـمـ تـاتـ غـفـرـاـ خـاطـرـ أوـ تـتـيـجـ الـعـلـصـحـىـ وـضـرـورـاتـ الـمـهـنـيـةـ وـالـقـارـئـ الـعـادـيـ .ـ يـلـ بـسـبـبـ أـنـ عـفـيفـيـ هـذـهـ (ـمـشـرـوـعـ مـلـوىـ)ـ نـعـمـ مـشـرـوـعـ مـنـ عـامـ ١٩٤٦ـ أـيـ مـنـ صـلـوـرـ أـوـلـ كـتـابـ لهـ .ـ (ـأـنـواـرـ)ـ مـجـمـوعـةـ قـصـصـ مـطـبـعـاتـ جـلـةـ الـقـصـةـ العـدـدـ ٢٢ـ .ـ عـامـ ١٩٤٦ـ ،ـ صـدـرـ الـكتـابـ بـقـدـمـةـ طـوـلـيـةـ .ـ كـمـادـةـ الـكتـابـ وـالـفـانـتـنـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـاحـلـ الـرـاهـنـةـ مـنـ مـسـيرـتـناـ الثـقـافـيـةـ وـالـحـضـارـيـةـ .ـ فـيـ تـلـ المـقـدـمةـ تـحدـثـ مـحمدـ عـفـيفـيـ عـنـ اللـغـةـ وـالـإـسـبـيـاـ عـلـاـقـةـ الـفـصـحـىـ بـالـعـامـىـ .ـ فـيـلـابـ (ـيـنـيـفـيـ)ـ أـنـ يـكـونـ حـالـاـ مـبـاشـرـاـ .ـ يـحـدـثـ بـوـسـاطـةـ مـلـحـاتـ سـرـيـعـةـ خـاطـفـةـ .ـ فـيـ شـكـلـ كـلـمـاتـ نـابـضـةـ .ـ تـنـجـمـ فـيـ ذـهـنـ الـقـارـئـ الـفـوـرـ فـقـدـرـ بـهـ شـرـارةـ مـائـاـتـ الـلـتـيـ فـيـ ذـهـنـ الـكـاتـبـ وـتـتـسـمـ بـذـلـكـ مـعـجـزـةـ الـإـيـحـاءـ .ـ وـمـنـ الـواـضـعـ أـنـ لـكـ قـلـتـ فـيـ وـصـفـ رـجـلـ أـنـ (ـضـيقـ ذاتـ الـيدـ)ـ لـمـ تـكـنـ مـوـحـيـاـ كـمـاـ لـوـ قـلـتـ إـتـهـ .ـ مـفـلـسـ وـبـذـلـكـ الـحـالـةـ لـوـ قـلـتـ (ـانتـقـلـهـ وـأـوـسـعـهـ ضـرـبـ)ـ .ـ بـدـلـاـ مـنـ اـسـتـانـةـ وـرـهـةـ عـلـقـةـ ،ـ أـوـ (ـسـبـ أـجـادـهـ)ـ بـدـلـاـ (ـعـنـ اللهـ مـسـنـفـيـلـهـ)ـ ،ـ أـوـ مـتـوـعـكـ بـدـلـاـ مـنـ (ـمـوـيـضـ)ـ ،ـ أـنـ (ـأـنـلـ علىـ)ـ بـدـلـاـ مـنـ (ـأـقـعـ عـلـيـ جـتـةـ)ـ .ـ وـيـقـدـرـ نـجـاحـ الـكـاتـبـ فـيـ جـلـ لـغـهـ مـوـحـيـةـ بـالـسـاسـيـةـ الـلـكـنـ بـالـحـيـاةـ ،ـ يـكـونـ نـجـاحـهـ كـفـانـ .ـ هـذـاـ رـأـيـ أـوـ بـعـضـ مـلـامـعـ مـشـرـعـ مـحمدـ عـفـيفـيـ بـخـصـوصـ الـلـغـةـ مـعـ اـنـحـيـازـ قـلـيلـ الـلـغـةـ الـعـامـىـ لـانـ الـعـامـىـ لـغـةـ حـيـاةـ ،ـ وـلـيـسـ كـلـ النـاسـ يـعـرـفـونـ الـحـيـاةـ إـضـافـةـ إـلـيـ ذـلـكـ يـمـكـنـ الـقـولـ إـنـ الـعـامـىـ ،ـ لـغـةـ الـقـلـقـ وـالـتوـتـرـ الـيـوـمـيـ وـالـفـرـصـةـ الـآتـيـةـ ذـاتـ مـرـوـنةـ وـإـيـقـاعـ وـحـرـكـةـ .ـ وـلـاـ يـعـنـيـ هـذـاـ أـنـ هـنـاكـ صـرـاعـ بـيـنـ الـعـامـىـ وـالـفـصـحـىـ ،ـ بـلـ اـمـتـاجـ وـتـضـامـنـ كـمـاـ كـانـ يـعـتـقـدـ مـنـ ١٤٨٩ـ الشـاعـرـ الـفـرـنـسـيـ (ـفـرـنسـواـ فـلـيـونـ)ـ الـعـرـكـ الـحـيـاةـ وـخـبـرـهـ ،ـ فـقدـ عـاـشـ وـسـطـ الـلـصـوصـ وـالـحـرـمـينـ وـأـتـهـمـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ بـالـسـرـقةـ وـالـقـتـلـ ،ـ بـالـطـمـ بـمـكـنـتـ ،ـ أـنـ أـنـ أـرـىـ حـاجـ السـخـرـيـةـ لـمـحمدـ

عفيفي يرتفع ثم أنسمه يقول يعني ما القينش غير ده.

وكمثال تطبيق على لغة عفيفي وأسلوبه سأتوقف عند كلمة مشهد من أعماله المشهد من كتابه ابتسام من فضلك هذا الكتاب سلسلة من المقالات القصيرة والمشاهد . ومقالات عفيفي ومشاهده ، اعتمدت أولًا على (التأمل) ، التأمل الطويل لمشهد أو حارثة أو قصبة ومن خلال المشاهدات الكثيرة ، يدون الكاتب ما رأه ببساطة وعمق ، يأخذ في الغالب شكلاً قصصياً وفي مساحة لا تتجاوز أربع أو خمس صفحات وهناك نماذج كثيرة اختبرناها في (الديوان الصغير) ولكنني سأتوقف عند مشهد (صورة سيدة نظيفة) عن رجل يمشي في الشارع ويستهويه بشدة - وبسيط لا يفهمه - منظر الأنثى وهي تنشر الغسيل هناك في بلكتتها هذا المشهد أو المنظر الفائق البساطة الذي تزداد مئات المرات ، يتوقف عنده عفيفي ويشكله بأسلوب يذكر بطريقة المحبين والمشاق والمهووسين النادرين للفن والحياة ، الذين تشهد كل همسة وتحفصيلة صغيرة في هذا المشهد يوجد كل ما يتعلق بفعل الغسيل من رغى الصابون ، الدمع ، إضافة الزهرة ، الشطف ، العصر ، الذهاب إلى البلكونة ، الشعر المنكوش وفي بعض الأحيان يكون ملفوفاً بإيشارب ، الانحناء على الصينية أو قرواء الغسيل ، تنزل حمالة القميص وهي تتدبرها ، إذ أن معظم الإناث - لسبب لا يفهمه أيضاً - يفضلن نشر الغسيل وهن في قميص نوم بمية وذى حمالات ، بعد ذلك تثبت المشابك في الحبل ثم الأنثى وهي تشب على أطراف أصابعها لكي تصمد بتلك الفائلة إلى الحبل البعيد ، ثم نظرة استعراض الأخيرة على الحبال وقد امتنلت بالغسيل ثم - وأسفاؤه - تطلق الشيش ، ستار الفتام الذي كان مقدراً له أن يبيط على تلك المسخرية القصيرة المتعنة.

هذا هو المشهد أما الكلمة التي اختبرتها والتي عزف عليها هذا الكتاب القدير عشرات المرات وفي كل مرة جعلها دلالات ومعانٍ مختلفة ، فهي كلمة (الحاجب).

\* قلت له وأنا أرفع حاجب السخرية الآيس.

\* قلت له وأنا أرفع حاجب الكرياء الآيس.

\* قلت لها وأنا أرفع حاجب التصحح الآيس.

\* فنفتلت إلى قيمتها ورفعت حاجب المجن الآيس.

\* فرفعت حاجب الفلسفة الآيس.

\* وأنا أرفع حاجب العلوم الآيس.

طبعاً هناك تبعيات عديدة على (الحاجب) وعلى أعضاء أخرى من الجسم مثل ، رقبة السخرية وجفون التواضع ، كذلك اللعب بغيرات أخرى ودمجها في جمل وعبارات تجر الإتسام والسخرية ، كوصف محاولة مغادرة المنزل عن طريق الطابق الثاني أو العاشر أو منع طفل من محاولة رى الزهور المرسمة على كتاب الصالون بكوب ماء . يمكنني التوقف بالنقض والتحليل عند أدق التفاصيل والكلمات في أعمال محمد عفيفي ، لكن المجال لا يتسع وأيضاً يجب أن أنتهي وأختني رأس التواضع والحبة الأصدقاء وزملاء ومحبي محمد عفيفي كي يتحدثوا ، عنه وعن أعماله.

## الحب والموت



### نجيب محفوظ

يتسع المجال ويترامي لن يريد أن يكتب عن محمد عفيفي ، فقد كتب القصة القصيرة ببراعة وفنية وله في شكلها تجربة أسلوبية متميزة وكتب الرواية الماطفية والرمزية فأجاد وأبدع والفن مسرحية وبرامج إذاعية متعددة ، ونهل من بحر الثقافة بعمق وشمول وقام في ذلك برحلة طويلة بدعا من التراث وحتى أحدث ما توج به من تياتر نكرية وفنية واجتماعية ومع ذلك فقد عرف بالكاتب الساخر وغلبت كتاباته الساخرة على جميع كتاباته سواء ما نشر منها في الصحف والمجلات أو ما ظهر في الكتب ولم يتقرر ذلك اعتماداً ولكن استناداً إلى رؤية قوية ثابتة تختلفت في أعماقه حتى صارت طبيعة ثانية له أو قل هي طبيعته الأولى فمنذ زمن مبكر جداً اكتشفت عببية الوجود والمجتمع . وتابعها بعين متفرحصة في الطبيعة والعلاقات الاجتماعية والتقاليد البشرية والحياة اليومية .

وكان ذلك جديراً بأن يخلق منه مفكراً متوجهاً كأبي العلاء المعري أو شوبنهاور ، أو أدبياً غاضباً مثل بيكت ولكن طبيعته الدمنتل الطفيفة الودود اختارت له أن يمضى كاتباً ساخراً وأن يعبر عن سره الدفين بالدعابة والنكتة والملحة وأن يشيع البهجة والابتسامة بدليلاً عن الحزن



والأسى وباختصار أن يأوى إلى فندق الانس العامر بالأرواح المتمردة الضاحكة من أمثال الجاحظ والمازنى والريحانى وشارلى شابلن أولئك الذين صنعوا على ارتقاء ذروة السخرية وذلك بتحويل فراغ الحياة وعنائها إلى أفراح ومسرات متحدين الأقدار راقصين في رحاب الفناء وكانت السخرية محور حياته ينبض بها قلبها ويذكر بها عقله وتتحرك فيها إرادته فهى ليست بالثوب الذى يرتديه عندما يمسك بالقلم ويزعجه اذا خاض الحياة ولكنها جلد ولحمه ودمه وأسلوبه عند الجد والهزل ولدى السرور والحزن فما من شيء إلا ويشير السخرية غير أنها سخرية تتبع وتلتون بحسب المقامات والأحوال من أجل ذلك شعرنا نحن أصدقاؤه بأننا نعاشر عبقريته فى كل حين لا حين نقرأ له صورة أو كتابا ومن أجل ذلك شعرنا بفنه إلى أرفع مستويات الأدب وقد كنت أتمنى أن أكتب عن محمد عفيفي الصديق ولكننى انسقت إلى الكتابة عن الفنان هربا من مطاردة الذكريات الملحة وتجنبها للانغماس فى أحلام حلوة لم تعد حلوة وأحاديث ضاحكة هائنة انقضت الوتر الذى كان يعرفها وأعضاء عن العامين الأخيرين اللذين انقض فيما وحش المرض المفترس على شيخ الساخرين فلم يهزم روحه الخالدة ولكنه هزم أصدقاؤه المحبين الذين أحاطوا به ينظرون محزونين مذهولين يائسين لا يجدى حبهم الكبير فى دفع أذى أو تخفيف ألم أو بث عزاء وبعد أيام الصديق الراحل فلن أقول لك - ومعنى كل الحرافيش - دادعا ولكننا نقول معا كما اعتدنا أن نقول آخر كل سهرة وإلى اللقاء.

# مولير مصر في الجزيرة المهجورة

رجل النقاش



ومولير مصر الذي أحب أن تتحدث عنه اليوم هو الكاتب الساحر الساخر محمد عفيفي . ولقد تعودنا خلال تاريخنا الفنى منذ منتصف القرن الماضى أن نطلق اسم مولير مصر على كبارنا الساخرين الذين يمزجون سخريتهم كتون من الفاسقة العميقة ، ليجعلون من هذه السخرية مجرد وسيلة عابرة للضحك.

وأقى بدأ محمد عفيفي حياته بكتابية القصبة القميبرة ومصدرت له سنة ١٩٤٦ مجموعة من القصص القصيرة بعنوان «أتوار» وكان لهذه المجموعة مقدمة طويلة عنيدة مليئة بالأراء النظرية ، في الأدب والفن ، ومن هذه الآراء الفتية دعوة محمد عفيفي إلى الكتابة بالعامية لأنها لغة الحياة ، لغة الصدق ، ومن هذه الآراء أيضا هجومه الحاد على الأساليب الأدبية الشائعة واعتباره أن كثيرا من هذه الأساليب قد تحول إلى نوع من «البلهانية البلاطية» لما فيه من عيوب في استخدام الألفاظ وابتعد كامل عن الدقة في استخدام هذه الألفاظ ، وكانت القصص القصيرة التي كتبها محمد عفيفي في هذه المجموعة قصصا تكشف عن موهبة فنية أصيلة ، خاصة وأنها كانت المجموعة الأولى للكاتب ، ولو واصل محمد عفيفي الكتابة استطاع أن ينمى مستواه الفنى لكن بالتأكيد قد حقق شيئا بارزا في ميدان القصة القصيرة . ولكنه انصرف بعد أن أصدر مجموعة القصصية الأولى الوحيدة سنة ١٩٤٣ إلى كتابة المقال الصحفى ، لاشك أن محمد عفيفي قد خلق اتجاهها تاجها في المقال الصحفى . وحقق لنفسه مكانة بارزة فيه فهو الآن واحد من كتاب الصحف الأول في ميدان المقال الصحفى الساخر ، ومقاتله الصحفية دائما تشبه بقطعة صوفية من الحرير النقي ، فيها التركيز والأنوثة وسرعة التأثير على النفس والعقل ولكن الموهبة القصصية الكامنة في محمد عفيفي لم تنت ، ولم يستسلم ، بل ظلت تقاوم مع الأيام والسنين ، حتى استطاعت أن تعبّر أخيرا عن نفسها في أول رواية كتبها محمد عفيفي وهي رواية التفاحة والجمجمة ..

وعندما تنتهي من قراءة التفاحة والجمجمة ، يدهشك أن تكون هذه الرواية الناتجة هي أول رواية مؤلف ، فالعادة دائما أن تكون الرواية الأولى - مهما كان كاتبها موهوبا - عملا فنيا محدودا . ولكنك ألم التفاحة

\* كتبت هذه الدراسة سنة ١٩٦٦ بعد صدور رواية التفاحة والجمجمة لمحمد عفيفي .

والجمجمة لاتحس بهذا الشعور .. وأن المؤلف قد كتب كثيرا من روايات قبلها ، فهو كاتب متمكن مسيطر على أدواته الفنية إلى أبعد الحدود . والاشك أن خبرة السنين الطويلة في الكتابة والقراءة قد ساعدت محمد عفيفي على أن يتم روایته الأولى على هذا الأساس الفني الراسخ المتن وخلاصة القصة التفاحة والجمجمة ، هي أن إحدى البوادر قد غرقت في البحر ، ونجا من ركبها خمسة هم « زازا » الفتاة الجميلة الأنثى التي هي في نفس الوقت ممثلة مشهورة ، والمهندس أحمد . وبشخص آخر قوي الجسد أسمه اللون اسمه توتوا . وبشخص ثالث هو تاجر يقترب من الشيغوخة اسمه « الحاج طلبة » ومعه تابعه واسم « كرشة »

وتروي لنا التفاحة والجمجمة قصة هؤلاء الخمسة في جزيرة مهجورة تملأها من اللجوء إليها ، وعاشوا فيها بعض الوقت ، ودار بينهم صراع على مختلف أمور الحياة ، وانتهى بهم الأمر إلى انشاء مركب ركبوه وساروا به في عرض البحر يلتقطون طريقا للنجاة والعودة إلى بلادهم الأصلية . وعندما ركبوا الركب كانوا قد فقروا شخصا هو « كرشة » وقد مات هذا الشخص مقتولا في الجزيرة المهجورة نتيجة للصراع الذي دار بين السكان الخمسة .

هذه خلاصة عامة مختصرة جداً لقصة التفاحة والجمجمة ، وأول ما يجعلنا نحب هذه القصة ونتعلق بها هو الشكل الخيالي الذي اختاره محمد عفيفي لكتابته قصته ، ففي هذا العصر الذي ساد فيه المزاج الواقعى العلمى ، عكس هذا المزاج نفسه على الاتجاه الأدبى كله ، أحسن محمد عفيفي بغيره من الفنية الخصبة أن عالم العلم والخيال مازال في الكثير ليعطيه الناس ، ولذلك أقام بناء قصته على العلم والخيال ، وتشعر وأنت تقرأ التفاحة والجمجمة أنك تنتقل في منفاتها المختلفة بين عوالم قريبة جداً من عوالم ألف ليلة وليلة والمليمة بالضباب والسحر والبخر ، والتي تعطيلك متمة لأمثال لها ، هي متعة الاحساس بإنك في عالم وهي حالم ، فيه رقة الهم والأحزان ، فيه بعد عن كلّافة الواقع الذي يشبه الكابوس التقليد المزعج ، هذا السحر الذي ينساب في صفحات ألف ليلة ، نجد أيضاً في كثير من تماثيل الأدب العالمى ، مثل رواية « روينسن كروزن » المشهورة ، فقد ذهب البطل أيضاً إلى جزيرة مهجورة يكتشف ويتعرف ويجد لناته وسعادته في المفاجآت التي يتلقى بها وتملأه أحياناً بالرضا ، وتملأه أحياناً أخرى بالرعب ، ولكنه على أي حال يعيش حياة « ملائكة » ليس فيها تكرار ولا ملل ، بل إننا نجد في عصرنا الحاضر محاولات من جانب بعض الأدباء العالميين ، يخلقون لأنفسهم جواً أشبه بجو ألف ليلة ، جو إلهاء أنفسهم في عالم مجهول مثير ، ليكتشفوه وجداً ، وليس تنبع معنى المخاطرة في داخله ، وبالمفاجآت الكثيرة التي تهزهم و تستخرج منهم ريد فعل وجاذبية جديدة وعلاءة ، من هؤلاء هنجرؤ ، ذلك الفنان الأمريكي ، الذي كان يلقى نفسه في سعادة غامرة في قلب الغابات الأفريقية ، ليكتشف ويجرب ويعيش في عالم أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، وليس تسلمه المفاجآت المختلفة التي تهز وجوده وشعوره . هذا العالم الخيالي الساحر الملىء بالمفاجآت هو العالم الذي اختاره لنا محمد عفيفي ليحملنا إليه في قصته ، فنحن نعيش معه في جزيرة مهجورة .. لا نعرف عنها شيئاً .. كل ما فيها جديد بالنسبة إلينا .. إننا وجهاً لوجه أمام عالم مجهول لم نعرفه من قبل .

وهكذا ، يمكننا أن نقول إن محمد عفيفي يعيينا إلى جو القصة الخيالية ، بكل ما في القصة الخيالية من نعومة وتأفة ورومانسية وأحلام . وفي اعتقادى أن هذا اللون من الفن يجب ألا يموت أبداً ، يجب ألا ينتحر أمام المد الواقعى ، فستظل الحياة الإنسانية مهما أسرفت في الاقتراب من الواقع بحاجة إلى هذا الجو الخيالي ، وبحاجة إلى هذا اللمسة الرومانسية الشعرية .. ستظل الإنسانية حاجة إلى أن تت frem خيالها .. إلى أن تتفوّق قليلاً وتحلم وتلتقي بآباء الواقع من وراء ظهرها . وعندما يأتي اليوم الذي يعيش فيه الإنسان بلا أحالم سوف تفقد الحياة الإنسانية كل حلوتها وعذوبتها وجمالها ، وستصبح الحياة كتيبة ولا يمكن أن تطاق . ولعل هذا الحديث يقودنا إلى أصحاب النظرية التي تقول إن الفن نوع من تخفيف أعباء الحياة ، نوع من الهروب المؤقت

من متابعتها وألامها وما فيها من شقاء وأحزان . ولديك أن تقبل هذه النظرية بصورة نهائية .. أى أنت لا يمكن أن تقول إن الوظيفة الوحيدة للفن هي التخفف من أعباء الحياة . ولكننا يجب أن نسلم أن هناك نوعاً من الفن يُؤدي هذه الوظيفة ، وأن هذا الفن له قيمته وأهميته الكبرى في تاريخ الأدب وفي تاريخ الوجود الانساني . ولاشك أن رواية التقاحة والجمجمة بنسجها الرقيق وخيالها الجميل ، وأحلامها الساحرة ، تؤدي جانباً من هذه الوظيفة .. إنها حملتنا معها على جناحها لحظة من الزمان ، وتتسيننا كل ما في الحياة من هموم وأحزان ، إنها تتذكرنا من الواقع وتخلعنا منه ، وهي تدخلنا إلى عالم لذيد حلو من المرح ، فتختدر حواسنا الواقعية طيلة الوقت الذي نقرأ فيه هذا العمل الفني .

ولو أخذتنا رواية محمد عفيفي كما هي ، دون أن نحاول التعمق فيها والبحث وراء مواقفها وشخصياتها عن أفكارها العميقـة الكامنة فيها ، لو فعلنا هذا فانتـا ولاشك سنتقضـي لحظات ممتعـة غـایـةـ المـتعـة ، مع قصة من قصص المغامرات الراقـية البعـيدة عن الابتـازـالـ.

ولكن هل نكتفي من قصة محمد عفيفي بهذا الخيال الناعم الساحر ؟ هل نكتفي منها بما توفرـهـ لهاـ منـ مـتعـةـ الهـربـ منـ الـواقعـ والـحـيـاةـ فـيـ جـوـ منـ السـحـرـ وـالـأـحـلـامـ ؟ هل نكتفي منها بما فيها من رومـانـسـيـةـ رـقـيـةـ بـدـيـعـةـ ؟ .. لو لم تقدم لنا التقاحة والجمجمة غير هذه المتعـةـ الفتـنةـ كلـهاـ لـكانـ هـذاـ كـفـيلـاـ بـأنـ يـجـعـلـ مـهـمـاتـاـ . ولكن تاريخ الأدب لم يتـعـودـ معـ ذـاكـ كـلـهـ .. أنـ يـتوـقـفـ أـمـامـ أـعـمـالـ التـسـلـيـةـ لـمـ يـتـعـودـ أـنـ يـجـعـلـ لـالـفـنـونـ التـرـقـيـةـيـةـ قـيـمةـ أوـ وـزـنـاـ . فـلـابـدـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ شـئـ أـكـثـرـ مـنـ التـرـيـهـ ، وـشـئـ أـعـمـقـ مـنـ المـتعـةـ ، حتىـ يـسـتـطـعـ الـعـلـمـ الـفـنـيـ أـنـ يـقـفـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ وـأـنـ يـحـقـقـ لـنـفـسـهـ قـيـمةـ وـمـكـانـةـ فـيـ الـحـيـاةـ الـأـدـبـيـةـ .

فـهلـ نـجـدـ هـذـاـ الشـئـ الـآخـرـ فـيـ الـتـقـاحـةـ وـالـجـمـجمـةـ ؟ أـنـتـاـ نـجـدـ هـذـاـ الشـئـ بـكـلـ تـكـيـدـ .. وـعـنـدـاـ نـعـشـىـ عـلـىـ الرـمـالـ النـاعـمـ لـلـجـزـيرـةـ الـتـيـ يـعـيـشـ فـيـهـ أـيـطـالـ «ـالـتـقـاحـةـ وـالـجـمـجمـةـ»ـ فـانـ هـذـهـ الرـمـالـ الجـمـيلـةـ تـخـفـيـ تـحـتـهـ الـكـثـيرـ مـنـ الـعـقـمـ وـالـكـثـيرـ مـنـ الـأـفـاكـرـ الـمـتـازـةـ الشـيـئـةـ .. إـنـ الـرـوـاـيـةـ مـلـيـةـ بـالـبـلـاطـةـ وـالـسـهـوـلـةـ وـالـعـدـوـنـةـ .

ولـكـنـ وـرـاءـ هـذـاـ الشـكـلـ كـلـيـراـ مـنـ الـشـيـاءـ الـقـيـمةـ حقـاـ ، وـالـتـيـ تـحـاجـجـ إـلـىـ جـهـدـ لـبـحـثـاـ وـالـتـكـيـرـ فـيـهاـ .. فـإـذـاـ كـنـتـ مـنـ الـذـينـ يـجـبـونـ إـلـاـ يـكـفـواـ بـالـظـاهـرـ الـخـارـجـيـ لـالـشـيـاءـ وـيـجـبـونـ أـنـ يـبـحـثـواـ دـائـماـ مـاـ وـرـاءـ هـذـهـ الـمـظـاهـرـ مـنـ قـيـمـ وـأـعـمـاقـ ، فـسـوـفـ تـجـدـ فـيـ رـوـاـيـةـ الـتـقـاحـةـ وـالـجـمـجمـةـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ حقـاـ .. وـلـنـحـاـلـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـ جـوـ الـمـغـامـرـاتـ ، وـمـنـ الـبـخـرـ وـالـعـطـورـ الـتـيـ تـمـلـأـ الـرـوـاـيـةـ وـتـخـدـرـ الـأـعـصـابـ .. لـنـحـاـلـ أـنـ خـرـجـ مـنـ هـذـاـ كـلـهـ لـنـقـفـ أـمـامـ مـاـيـهـاـ مـنـ أـفـاكـرـ مـتـازـلـةـ مـتـصـارـعـةـ

أـوـلـاـ مـاـيـفـاجـتـاـ فـيـ الـجـزـيرـةـ الـمـجـوـرـةـ أـنـتـاـ نـجـدـ فـيـهاـ جـمـجمـةـ وـنـجـدـ فـيـهاـ شـجـرـةـ تـفـاحـ لـاتـنـدـ .. يـتـجـددـ تـفـاحـهاـ وـيـوـجـدـ يـوـمـ بـعـدـ يـوـمـ .. وـلـوـ تـأـمـلـنـ قـلـيلـاـ مـاـتـرـمـ لـهـ الـجـمـجمـةـ لـاحـسـنـتـاـ أـنـ الـفـنـانـ يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ لـنـاـ :ـ تـابـيـوـ أـيـهاـ الـبـشـرـ ، تـابـيـوـ يـأـبـاءـ الـقـرـنـ الـعـشـرـيـنـ الـذـينـ تـبـاهـونـ بـعـلـمـ وـفـكـرـمـ الـوـاسـعـ الـعـرـبـيـنـ .. فـانـكـمـ لـسـتمـ أـوـلـ مـنـ ظـهـرـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ قـدـ سـبـقـتـكـمـ إـلـيـهاـ أـجـيـالـ وـأـجـيـالـ .. وـلـابـدـ أـنـ تـتـصـورـ أـنـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ الـمـجـوـرـةـ هـيـ رـمـزـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ كـلـهاـ .. وـأـنـ الـخـمـسـةـ الـذـينـ تـنـزـلـوـاـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ هـمـ رـمـزـ لـلـإـلـاـسـانـ كـلـهـ .. فـالـجـمـجمـةـ الـمـجـوـرـةـ عـلـىـ أـرـضـ الـجـزـيرـةـ هـيـ إـذـنـ إـيـحـاءـ بـأـنـ الـمـاضـيـ الـأـنـسـانـيـ مـعـتـدـ فـيـ الزـمـنـ وـعـرـيقـ .. كـمـ سـيـقـتـاـ أـنـوـاعـ مـنـ الـحـضـارـاتـ الـأـنـسـانـيـةـ ، بـعـضـهاـ لـاـذـنـكـهـ وـلـاـ تـعـرـفـ لـهـ شـيـئـاـ .. فـلـسـتـاـ أـلـىـ مـنـ جـاءـ إـلـىـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ الـمـجـوـرـةـ وـلـنـكـنـ أـخـرـ مـنـ يـجـيـعـ .. كـذـلـكـ فـانـ هـذـهـ الـجـمـجمـةـ الـقـائـمـةـ فـيـ الـجـزـيرـةـ تـنـكـرـتـاـ إـيـضاـ بـالـصـيـرـ الـبـشـرـيـ أـنـ هـذـهـ الـجـمـجمـةـ هـيـ الـنـاقـوسـ الـذـيـ يـدـقـ أـمـامـاـ لـيـنـهـاـ إـلـىـ هـذـهـ الـنـهاـيـةـ الـتـيـ تـنـتـنـرـ الـبـشـرـ .. وـهـذـهـ الـجـمـجمـةـ بـالـذـاتـ تـعـطـيـنـاـ .. بـمـاـ تـرـمـزـ إـلـيـهـ مـنـ بـشـاعـرـ الـصـيـرـ الـبـشـرـيـ .. لـحـةـ مـنـ لـحـاتـ الـتـشـافـعـ وـالـحـزنـ الـكـامـنـ فـيـ أـعـمـالـ مـحـمـدـ عـفـيفـيـ .. هـذـاـ الـكـاتـبـ الـمـرحـ السـاخـرـ ، أـنـ الـكـاتـبـ الـفـنـانـ هـنـاـ .. كـعـادـةـ مـعـظـمـ السـاخـرـينـ فـيـ أـدـبـ الـعـالـمـ .. يـخـفـ فـيـ دـاخـلـهـ نـوـعـاـ

من الكاتبة العميقية ، ولعل سخريته تتنطلق أساساً من هذه الكاتبة .. أنه يفكر في المصير البشري ، ويجد أن هذا المصير تخصه هذه الجمجمة الخفية الملقاة في قلب الجزيرة ، فلا يجد حال لهذا كله إلا أن يسخر .. إلا أن يضحك والخنجر في صدره .. لأنه لاحيل له ، ولاقدرة عنده على تغيير هذا المصير التفسّر.

وإذا كانت الجمجمة ترمي إلى المصير البشري ، فالي ماذا ترمي شجرة التفاح ؟ .. إنها ترمي فيما أظن إلى قوة الطبيعة التي تهدى الإنسان بما يحتاج إليه باستقرار . وبخلاف رواية محمد عفيفي تشعر دائماً أن الطبيعة لا تدخل على الإنسان بشيء أنها تعطيه كل ما يحتاج إليه من ضرورات عن طريق شجرة التفاح أولاً ثم عن طريق البحر الذي يخدم السملك ، كلما جات الجماعة الثانية في الجزيرة.

وكم أحس من خلال ماقدمه شجرة التفاح وما يقدمه البحر ، أن الكاتب الفنان يريد أن يقول إن الطبيعة تعطى الإنسان ما يكتفي به ، وإن الإنسان يمكن أن يجد طعامه لو عاش في هذه سلام ، وإن الدنيا ليست ضيقة بمن فيها من البشر . لم تدخل الطبيعة على سكان الجزيرة . ولم تحدث مشاكلهم أبداً نتيجة لبحثهم عن الطعام . وإنما جادتهم المشاكل من الصراع بينهم وبين أنفسهم !

ونترك التفاحة والجمجمة ، بما ترمي إليه التفاحة من عطاء الطبيعة المستمر للإنسان ، فيما ترمي إليه الجمجمة من بشاعة المصير الإنساني ، لنفكّر في القضايا الأخرى التي تثيرها هذه الرواية الجميلة !

ففي الرواية عدة مشاكل أخرى ، ترقى بين السطور ، وفي الظلل المختلفة لما وافق الرواية وأحداثها المتتابعة ، وعلى رأس المشاكل التي تثيرها مشكلة « المرأة » ، ففي الجزيرة المحجورة امرأة واحدة وأربعة رجال .. وهي امرأة جميلة .. هي فينيوس ، أو تايس ، أو ماشت من الأسماء التي ذكرتها الأساطير المختلفة للمرأة في مختلف العصور .. أو هي في كلمة أخرى واحدة : حواء أو « زازا » في رواية التفاحة والجمجمة تكشف عن فكريتين أساسيتين عند الكاتب ، الفكرة الأولى هي أن حواء نفسها في جوهراً الذي لا يتغير لأيّها أى شيء في هذا العالم أكثر من اهتمامها بالحب والجنس .. إنها تهتم قبل كل شيء بوظيفتها الطبيعية كائنة .. كل شيء بعد هذه الوظيفة ثانوي .. الفكر والفن والعمل .. أن « زازا » في رواية التفاحة والجمجمة تستسلم للأقوى باستقرار ، وتستجيب له ، وهي تنتقل من رجل إلى رجل ليديها أن تكون لواحد معين ، يلبيهما الوفاء أول وقبل كل شيء لوظيفتها الطبيعية الأبدية . لقد كانت « زازا » في الرواية تعيل مرة إلى هذا الرجل أو ذلك ، ولكنها لم تكن تستقر على واحد معين .. كان كل ما يديها أن يكون في حياتها رجل قوي يحميها ويساعدها على أن تقاي وظيفتها . وهي في آخر الرواية تعلن سعادتها الكبرى بأنها تحمل في أعماقها طفلًا ، ولديها من هو أبوه . المهم أنها تؤدي رسالة الحياة التي تحملها في طبيعتها رسالة استقرار الإنسان من جيل إلى جيل .

وهذه المكرة التي يكشفها لنا محمد عفيفي في روايته يمكن أن تثير ضده اتهاماً بالرجعيّة ، فهو يقتصر في تحديد دور المرأة على وظيفتها الطبيعية ، ومن الواضح أنه لا يوافق على شيء من الآراء الجديدة الخاصة بوظيفة المرأة في المجتمع والحياة .

إن كل الرجال في الرواية يخدمون المرأة ، وهي لا تعمل ، ولا تسهم أبداً في الانتاج المادي لذلك المجتمع الصغير .. مجتمع الجزيرة المحجورة .

وسوء واقتنا على اتهام رأى عفيفي بالرجعية أم لم نوافق ، فهو على كل حال قد استطاع أن يعبر عن رأيه تعبيراً فنياً جميلاً ، في غاية الرقة والأنوثة .. إننا عندما نتذكر شخصية « زازا » في هذه الرواية .. فإنما نتذكر المرأة الجذابة الناعمة ، التي لا عمل لها إلا أن تجذب الرجال وتثيرهم ، إنها الآنسة الخالدة ولاشك ، وقد أجاد محمد عفيفي رسم شخصيتها ، بحيث استطاعت أن تجمع في هذه الشخصية بين معناها الرمزي العام

كاثي خالدة ، وبين معناها الخاص وشخصيتها المستقلة الفردية.

على أن وجود « زازا » في الجزيرة قد أثار لمحمد عفيفي أن يعرض في روايته فكرة أخرى ، غير فكرته عن وظيفته المرأة ودورها في الحياة الإنسانية . هذه الفكرة هي أن « المرأة » مصدر أساسى من مصادر الصراع في الحياة .. لقد دار حولها صراع ضخم بين الرجال الأربع ، كل منهم يحاول أن يحصل عليها ، وأن تكون زازا له وحده . وقد تسبب وجود « زازا » في كثير من المشاكل التي وقعت بين الأبطال الأربع واتهت بمقتل واحد منهم هو « كرشة ». أذن فالمراة – كما يرى محمد عفيفي في هذه القصة – سر من أسرار المشاكل التي يتعرض لها البشر ، وسر من أسرار الصراع بين الناس وبعضاهم البعض . وهي تخلق المشاكل ، ولكنها لا تشتغل في الصراع . أنها تنتظر الفائز لتستسلم له .. إنها تقدم نفسها للآخرين باستسلام وهذا الموقف يؤكّد مرة أخرى النظرية « الطبيعية » التي ينظر محمد عفيفي بها إلى المرأة . وبالنظرية الطبيعية أن المرأة في رأيه تتحرّك حسب نظرتها وغريزتها وأنها لا تفكّر إلا في تحقيق وظيفتها الأبدية كاثي ولديهما بعد أي شيء آخر .. أوثتها هي الأساس ، وجويها ، وقدرتها على الانجاح والعمل على استمرار الحياة ، هذه القدرة هي النفع الوحيد الأساسي الذي تعرف به المرأة وراء وجودها الانساني .

وننتقل بعد ذلك إلى فكرة أساسية أخرى يعالجها محمد عفيفي في روايته الجميلة .. الفكرة هي فكرة « القوة » وفي فكرة القوة هذه يدور كثير من الخواطر المتعة في رواية التفاحة والجمجمة :

الفكرة من ناحية تتمثل في السلاح ، فقد كان في الجزيرة سدس جاء به أحد أبطال القوة معه ، وكان في الجزيرة أيضاً خنجر .. وفي البداية قبل ظهور الخنجر والمسدس ، كانت هي القوة العضلية التي لاتتحول معها إلى آلة أخرى . صاحب القوة العضلية هو السيد في الجزيرة المهجورة . ثم عندما ظهر الخنجر أصبح من يحمل الخنجر هو السيد . ولما ظهر المسدس ، أصبح أقوى الآفراد هو من يحمل المسدس ، أيًّا معنى القوة قد تدرج من القوة الطبيعية إلى القوة بواسطة أو الأتواء المستخدمة . وهذا بالفعل أن يكون خلاصة لتبني نور القوة في التاريخ الإنساني فلقد بدأت القوة تفرض سلطانها على الإنسان في بداية الحياة الإنسانية عن طريق العضلات لقد كانت العضلات في فجر الحياة الإنسانية تحملها القبيلة الذرية الآن ، ومن يملك العضلات فكانه يملك القوة الذرية .. الإنسان الذي يملك العضلات القوية ، أو القبيلة التي تملك العضلات القوية .. كان الإنسان أو هذه القبيلة هي أكثر قوة في العالم . ثم تطور من القوة ، فأصبح من يملك الخنجر هو الأقوى دائمًا ، وبعد ذلك أصبح من يملك البنادق هي الأقوى .. وأخيرًا أصبح من يملك القبيلة الذرية هو أقوى الأقواء حتى ولو كان بلا عضلات .. ولو كان رقيقاً كالنسم .. وأصبح أصحاب العضلات في النهاية والآخر لاقية لهم ولا أهمية لهم في ميدان الصراع على القوة .

وهناك معنى آخر للقوة يظهر أمامنا في « التفاحة والجمجمة » .. هو قوة الذين يملكون .. الملكية نفسها قوة ، وهي مستعدة للاستبداد والشر .. فالخاج طلبة يملك مالاً كي تعبّر عنه الشيكات التي يحملها معه ، كلما استعمسي عليه أمر من الأمور استخدم شيكاته ليفرض ربهته .. ولإفرض سلطاته ونفوذه .. ول المال أو الامتلاك لا يختلفان كثيراً عن الخنجر أو المسدس كأداتين من أدوات القوة .

وفي لحة ذكية أخرى في رواية التفاحة والجمجمة يشير الكاتب الفنان إلى أن السلاح يمكن أن يكون أداءً للحياة ، ويمكن أن يكون أداة للموت .. فالخنجر الذي قتل « كرشة » وقضى عليه ، هو نفسه الخنجر الذي يسيطران به السك ، ويحصلون به على طعامهم الرئيس ، وهو الخنجر الذي يمسّعون به مرّكباً لانتقامهم من الضياع في هذه الجزيرة المهجورة . فسلاح الحياة أذن هو سلاح الموت .. والفرق بين الموت والحياة ، بين الشر والخير ، هو الفرق الكامن في الإرادة الإنسانية التي تستخدم السلاح .. فالأخير يستخدمون السلاح للخير ،

والإشارة يستخدمونه للشر .. والمشكلة في داخل الإنسان نفسه وليس في الأداة التي يستخدمها.

ولحة ذكية أخرى تكشفها لنا رواية التفاحة والجمجمة .. ففي أبطال الرواية شخصية أساسية هي شخصية «أحمد» وهو الذي يمثل العقل أو الثقافة .. أما بقية أبطال القصة فهم يمثلون القوة المادية في مختلف صورها . والذي يحدث في الرواية أو الثلاثة الذين يمثلون القوة المادية كلما أمسكوا بالسلاح حاولوا استخدامه في الهدم والتمهيد والقتل .. كلما شعر واحد منهم أنه أقوى من الآخرين استغل قوته على الفور في الحصول على الطاعة والولاء من الآخرين . وانتهى الأمر بأن مات أحد هؤلاء الثلاثة مقتولاً بطعنة خنزير . الوحيد الذي لم يحاول أن يقتل أحداً عندما استولى على السلاح هو «أحمد» .. رمز العقل والثقافة .. لند كان يهدد بالسلاح ويحاول استخدامه في سبيل اغتيار الهدوء والنظام في الجزيرة ثم استخدمه استخداماً محظوظاً . ولكن له لم يحاول أبداً أن يقتل ولم يحاول أن يجعل السلاح آلة للدمار.

معنى هذا ولاشك أن المثقفين والفالاسفة إذا حكموا العالم فأنهم يعرفون قيمة الحياة البشرية .. وأن السلاح في أيديهم لن يكون إلا وسيلة من وسائل السلام .. وهذا ولاشك يعود بنا إلى رأي أفلاطون ذلك الرأي القديم الذي يقول أن المجتمعات الإنسانية يجب أن يحكمها العلماء والفالاسفة .. ضماناً للتقدم وضماناً للسلام . من بطن هذا الرأي يخرج الرأي الذي عبر عنه محمد عفيفي تعبيراً فنياً رقيقاً .. وهو أن السلاح في يد أصحاب العقول الكبيرة والثقافة والاسس الفنية لن يكون أبداً آلة للقتل أو الدمار.

وفي آخر الرواية يتم المهندس أحمد صناعة مركب يركبها الأربعية الباقون في الحياة من سكان الجزيرة المهجورة ، وهذه المركب أشتبه بسفينة نوح الشهير التي أنقذ فيها نوح الحياة الإنسانية من من الدمار النهائي . لقد انتصر العقل ، وفتح طريقاً للخلاص أمام سكان الجزيرة .. فركبوا المركب .. و Paxوا بها عباب البحر .. وتنتهي الرواية دون أن يصلوا إلى الشاطئ .. بل مازالوا يصارعون المجهول .. ويحاولون الوصول إلى الشاطئ .. وفي هذه الخاتمة إيحاء فني وفكري جميل يمعنى من المعانى الامامية التي يشير إليها محمد عفيفي .. هذا المعنى هو أن الحياة الإنسانية لا تزال تصارع المجهول ، ولاتزال تبحث عن شاطئ النجاة والخلاص .. إنها في عرض البحر .. تصارع ولم تعرف استقراراً نهائياً بعد.

ألم أقل لك ، إن الرواية الناعمة الجميلة التي كتبها محمد عفيفي ، مثل متيل حريري لأحد السحراء ، إذا نظرت اليه نظرة سريعة لم تجد فيه شيئاً إلا الملمس النائم الذي لا يثير أي شيء على الإطلاق . ولكنك إذا قلبه وجدت في داخله أشياء وأشياء .. أنه ممتلىء بالأشياء الكثيرة المختبئة في داخله وهكذا فرواية محمد عفيفي التي يمكن أن تقرأها كأنها حلم من مر ، ومفاجارات طريفة معظمها سار ، وأقلها محزن .. هذه الرواية المليئة بالنعتة والتسلية فيها الكثير من الفكر ، والعقل والقضايا الإنسانية الكبيرة المتعددة المعيبة .. فلابدك نعومة الرواية وسلامتها ، وحاول أن تفك فيما ورثها من قضايا وأفكار تشمل الحياة الإنسانية كلها.

ولازيرد أن أضع القلم دون أن أشير إلى أن الرواية من الناحية الفنية تعتمد على أسلوب شديد التركيز والوضوح ، وتعتمد على مهارة فنية واسعة تجر القارئ جراً إلى التهام مفهاتها بسهولة ويسر ، وتعتمد على قدرة واضحة في بناء الشخصيات ، والانتقال بين الواقع من عالم الواقع إلى عالم الرمز ، من الحياة المادية إلى الحياة النفسية ، أما الحوار فهو جميل شديد الإنارة والمنوية والمرح .. وأمنيت أن تكون التفاحة والجمجمة تجربة أولى يتبعها في ميدان الرواية ما هو أعمق وأغنى بالفن والحياة ، ولا تكون محاولة يتيمة . يقضى عليها باليتم كسل محمد عفيفي وما يملأ نفسه أحياناً من شعور عميق باللامبالاة

حُمَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَفِيفِيْ مِنْ نَفْسِهِ وَاعْطَاهُ الْقُدْرَةَ عَلَى مُوَاصِلَةِ طَرِيقَةِ كُرَوَائِيْ مُهَوَّبٍ.

## سحر محمد عفيفي الذى لا يقاوم



### د. على الراعن

قاوم - إن استطعت - أن تندمج في عالم محمد عفيفي، في هذا العمل الأخير الذي كتبه قبل وفاته من ثلاثة عشر عاماً أو نحوها . افعل ما شئت . قل إن هذا ليس فناً قصصياً، وإنما مجموعة لوحات تشكيلية ، قل إنه معزوفات موسيقية متتالية . قل إنه عالم غريب، غير معقول، لا يتصوره إلا رجل تداخلت الصور والأشياء والكتنات أمامه: الحيوان، والشجر، والزهور، والنحل، وطائر الريوار، والهدأة، والنمل، والنخل، والكلب، والضفدع، وعم جمعة البستان، وأمينة الزجاجة التي تكره هذا العالم كله، أو تستخف به معظم الوقت، وتفرضي عنه في أحياناً قليلاً لأنها تحب زوجها . قل إن هذا كله يشكل خليطاً من الأشياء والمواضف والأفكار لرجل عجوز يجلس في حديقة بيته على كرسٍ عتيقٍ مُؤهل للتداعي ، وينظر إلى ظاهر الأشياء وباطنها معاً، فتنتفق الصور والأحساسات أمامه مازجة، عريانة، فاتحة، أسرة، بريئة كالأطفال يوم نذهبهم أمهاهم، إذا قلت هذا كله، تكون قد وصفت هذا العمل الفني اللذ من الخارج ولكنك لا تكون قد خبرت روحه واتصلت بسره العميق . لا تتحقق هذا الوصول مع فن محمد عفيفي إلا إذا دخلت عالمه بقلب مفتوح وبعن الطريق المؤدي . كما فعلت أنا، ما إن قرأأت سطوراً قليلاً من «ترانيم في ظل تمارا» حتى وقعت في غرامه . أى نعٌ وقعت في غرامه . وما ليث الغرام أن اشتغل، وأسلمتني إلى وجד ملتهب ورغبة عارمة في أن ألتحق بهذا العالم، أن أقترب منه وأصبح جزءاً منه .

يقول محمد عفيفي فاتحاً أبواب عالمه لمن يشاء الدخول: «الفراشة البيضاء، وممضت فوق السور النباتي

المرتفع، كعادتها كل صباح، وكعادتى أسفت لأننى يجب أن استبعد ذلك الشعور اللطيف باتها هي نفس الفراشة التي تزور حديقى كل يوم. وتلك الفراشة الواحدة. قد أسميتها بيني وبين نفسي: «فروشة» ورفقت فروشة هنا وهناك، باحثة عن رزقها، حتى جذبتهما وليمة الألوان فى حوض «الباينسيه» فالقت بنفسها فيها، وعلى إحدى الزهور حكت ميسوطة الجناحين تنهل فى حب من عنب الرحىق، وكانت بجانبها زهرة رسم عليها بالأصفر والبني وجه قرد ضاحك وأخرى عليها طفل ينفسى مدمعون: مكان لطيف لفراشة لطيفة بيضاء!»

«بجانبى حيث جلست على الكرسى القش الأصفر العتيق، مستطلاً بصديقى العزيزة تاما، التي من خلال أغصانها تتسلط عشرات من بوادر الضوء الصغيرة البيضاء» وتنقرش مثل قروش فضية متراقصة على النجيلة الخضراء، وعلى الترابيبة المستديرة المصنوعة من الخشب الخشن الأبيض الخامق، وفوقها كوب الشاي الكبير الخزف البنى، الذى انكسرت انته من زمان فحمدت الله على الخلاص منها بينما قرش نفسى قد سقط على سطح الشاي متلاعباً كأنه عن تغفر!»

« هنا أحب الجلوس في هذا الجو المعتمد من أوائل الشريف، أحظى من الشمس بدفعها دون لسعتها، وليس من أجل عطر تاما أجلس تحتها، لأنها قلما تجد بطرها إلا قبيل الغروب ، والنهار يسلم المفاتيح للمسا». أسمى محمد عفيفي الشجرة تاما تدليلاً لها، هي شجرة تمر حنة، قال لزوجته من سنوات إنه أسمى الشجرة تاما، فقالت له بعد قبول مفاجئ، واعتراض على تسمية الأشجار وتدعيلها: «ربنا يكمل بعقل!»

\*\*\*

الزوجة في هذا العمل الفريد، الذي يتحدى التصنيف ، تمثل الواقع الواضح الصارم، الذي لا صبر له على خيال مشتعل، ولا على صوفية عميقة، وإن لم تبد أعماقها الحقيقة للنظر المتعجل. لها قصبة واقعية مؤلة. ابنها الذي ربته وفاحت به فرحة الدنيا ذهب إلى الحرب فلم يعد. قالوا لها إنه مفقود. ينظر الفنان إلى زوجته العجوز المسكينة فيتذكر كيف كانت ذات يوم شابة حلوة شهية مليئة برغبة الحياة وبالطفل الذي قدر له أن يضيع كانت متمددة على كنبة تقرأ، وفجأة هتفت تناهى زوجها: « تعالى قواماً اجرى أمالاً! هات ايدك!» وخطفت يده ووضعتها على نقطة من بطنه قائلة في فرح بالغ: «حسايس بيه؟ بيلعب، والنبي بيلعب!».

ها هوذا يضيع منها، وتضيع معه فرحة العمر كله. يصبح الولد اسمه إبراهيم - صورتان معلقتان على جدار، صورته وهو طفل يصرخ ويضرب الهواء بذراعيه، والأخرى لشاب وسيم ي غال ابتسامة تزيد أن تفرض نفسها على الصورة وحين يعرض الزوج على زوجته - رحمة بها - ان ينقل الصورتين من غرفة النوم إلى مكان آخر، ترد عليه بوحشية: ستبقى الصور أمام عينيها دائماً، إلى أن ياذن الله وتدهب هي إلى الولد بنفسها!

بعض من فن محمد عفيفي يظهر في ذكر الأشياء المهمة بطريقة عارضة، كائناً هي ترد على الخطأ مصادفة . ومائسة الأم - ومائسة الأب التي يحاول أن ينساها - هي فقد ابنه البكرى بهذه الطريقة المؤلة المحيرة. لا يقول لهما المسؤولون إن الولد مات، ولا يقولون إن هناك أملاكاً في أن يعود. بل يضعون عليه وعلى ذكراه الكلمة التي لا تقول إلا قليلاً، وهي مع ذلك تعنى كل شيء:

الفقد التام!

ذكر عسكري قادم من سيناء يجري القليلة كانت تنزل على اللوري فتحوله بجثوته إلى فحمة سوداء، صورة افزعت الأب لمدة طويلة إلى حد الإذلال وحرمن على لا تصل إلى الأم. ثم أخذ يعزى نفسه بأن التفحم خير من حتف العراء تتشهوا اليجوش في الوادي المقدس!

علاقة الزوجة بزوجها هي علاقة التقى بالتقى، يرى هو الأشجار والثمار والزهور وأحياء الحديقة من منظور إنساني جمالي، وترى هي هذا العالم من منظور النفع المادي. الأشجار تحظى برضاهما إذا ما كانت تثمر وتنتج ما يؤكل الحيوانات بعضها محکوم عليه بالطرد، الكلب نجس فلا يسمح له بدخول الحديقة أو البيت، فرس النبي مبروكة، وهي لهذا تدخل في محيط رحمتها. الهدد مبروك هو الآخر، لأنه صديق سيدنا سليمان. ولكن الزوج ينظر ويرى شيئاً آخر الكلب مظلوم، لم يفعل ما يستحق عليه تهمة النجاسة. ولو رأت الزوجة فرسنة النبي وهي تلتهم الذكر قطعة قطعة حتى يتلاشى. ولو رأت الهدد وهو يهاجم عرش العصافير ويقتلهم واحداً بعد الآخر، ثم لورأته بعد ذلك يهوي إلى الأرض تحت وابل من الدش السماوي - المطر - انهر فجأة لو كان أخبار زوجته بهذا، لقالت إن الوهم قد استبد به من طول حديث للأشجار والزهور والحيوانات.

ومع ذلك فإن الزوج يحب زوجته، ينظر إليها بحب ورثاً من فوق خيوط التريكو التي تنزل بها «بلاوفر» لابنها الآخر.. حمادة، الذى هاجر إلى أمريكا وأرسل إلى ولديه تذكرة سفر كى يزوراه، فسافرت الزوجة دون الزوج ودعا هذا لزوجته أن يحميها الله وسط شعب نصفه لصوص وقطاع طرق، ونصفه الآخر يجري تحت سيل من الطلاقات النازية التى لا تنقطع!

三

وسط جنته يقعد الزوج ليقلم الشجر والزهور والحيوان، الأسماء كلها، تمر حنة تصميم تمارا، شجرة الليميون تصميم زهيره، تخفيقا من بنزهيره - اسم الليمون، والفراشة فروشة، والقطة السوداء مونى.. يرى الكاتب في كبرياتها واعتدادها بنفسها أرث القرون، أيام أن كان أجدادها يعيشون في مصر القديمة، ويكتسلي بمعمارتها النزقة إذ تسمع العصافير فتتحفظ لصيدها ثم تقبع عاجزة عن الوصول إلى مخلوقات حباه الله بجناح كى تطير من موقع الخطأ، والضفدع يحمى نفسه من يريون افتراسه برائحة كريهة وسائل لاذع، وطير الوروار الذى يطارد النحل فى أعلى السماء ويلتهمه فى وليمة شهية.. يسقط هو نفسه إلى الأرض فيصبح بدوره وليمة أشهى للقطة مونى، التى لا تعرقل رغباتها وشهيتها اعتبارات أخلاقية من أي نوع!

الخالق كلها تظاهر وتتبرأ، أو يقطع الأشجار منها جثث المقاولين وجماعة البستانى الذى هو فلاح أصيل، يحب وزرع الزهور فى استمتاع وحسن جماعى، لا يذكر عليه عيشه إلا أن أولاده المصغار سمعوتهن ففقد على روحته لأن بطنها نحسة، باردة، لا تحافظ على الأحشاء

يدخلنا محمد عفيفي إلى هذا العالم الربح الحاصل في سهولة وتفانٍ، يلقيها هزنة الشفيف وسخرية العنبرة التي لا تقطع لحما، ولا تسيل دما، وتحاول أن ترد عالم محمد عفيفي إلى أصوله المحتلة، فتتجدد فيه أصداً من «كليبة ودمته» ومن محبي الحيوان والنبات من أمثال : دكتور بولتيل، وتتجدد في تحريكه لحياته، وتنفتح الروح الإنسانية فيها ما ينكرك بفضل ما تفعله الرسوم المتحركة، واقريرها إلى الذكر الفيلم



العظيم «الأسد الملك» الذي ظهر أخيراً فاحتضنته قلوب الكبار قبل الصغار، لما يثير من تعاطف مع بعض حيوانات الغاب، وما يقدمه من درس عميق في وجوب الدفاع عن الأرض والميراث وشرف الآباء والأجداد. انظر معى إلى هذا الحدث الكاريوني اللطيف الذى يصرخ طالباً التجسيد: على غصن من (زهيرة) خط عصفوران، يتصابحان. وكانت أظنهما يتغاذزان ويتبادلان بأعذب الألحان كما زعم الشاعر، ولكنهما كانوا يتخاصنان ويتبادلان من الشتائم أرسخ ما يعرفان.. وما ليثا أن طارا بعد أن هزا الغصن بقوه فأسقطا عينين خضراوين ناصعين، واختلت شفتاهما مع شاربيها، مع «نونة» خافتة هي التجسيد المثير لشوقها اليائس إلى هذا البروتين الطائر وكدت أسمعها تقول يارب... خلقت لنا العصافير لكي نأكلها ونسبيع بحمدك، فلماذا يارب، لماذا - خلقت لها أجنحة تهرب بها متأنا؟

تعاون الفكرة مع الألوان مع الكوميديا لخلق مشهد كرتوني ممتاز: الليمونة الصفراء تسقط على دماغ القطة السوداء. وهذه تنظر بعيون خضراء وترتعش منها الشفاه والشارب، مع نفحة التحسس علي ما لا يطال. شاعر، وفنان تشكيلي ممتاز، وصوفى يعيش الظاهر والباطن معاً، ولسان عذب، وصبر يحتمل المكاره فى هذه ويجد للناس جميعاً عذراً فيما يرتكبون من حماقات وفهم ومعرفة كبيران يعلم الحيوان، وامتداد واضح الى التاريخ هنا ما يقدمه محمد عفيفي فى هذا العمل الفذ: «تراثي في ظل تمارا» وقد استجاب الفنان الممتاز حلمى التونى للشعر والرسم والحديث والتحرك فقدم غلافاً للعمل، اقتربن هو الآخر بعالٍ محمد عفيفي، لم ينفصل عنه، كما اقترنـ أنا، ممتتعاً، مستعذياً، فرحاً بطرزـة النظرة وبنيل التأمل..!

## الآدُب الساخر بين المازنٍ وعفيفي



### د. نعمات أَحمد فؤاد

كتابنا محمد عفيفي وقبليه المازنٍ وقبلهما البشري أعلام الآدُب الساخر وهو فنٌ مركبٌ أى يحتاج إلى قدراتٍ : قدرة الكتابة ، وقدرة النقاد إلى مواطن الحقيقة ومواطن السلوك ، وقدرة الفكاهة الطبيعية وليس سهلاً أن تكون الفكاهة نهراً مذرياً متتفقاً حلواً كاذانياً.

ويحسب الناس أن الفكاهة هي الخفة .. ويخلط آخرون بينها وبين الضحالة مع أن الفكاهة الراقية لا يديفهم إلا لثقافة راقية متنوعة عميقية لتكون الفكاهة فناً رائعاً وممتعاً .. ريقاً شيقاً .. أو ربيعاً دائماً الخضراء وبدون هذا تندو الفكاهة تسليمة، أو اقصاها تسريمة، إن لم تهبط إلى منحدر التهريج أو العبث.

وقد كان أعلامنا الثلاثة أصحاب أفلام تقول، لا ألسنة تدور.. أفلام تندد ولا تتقضي ، تمزج ولا تجرح ، مهيبة بالنفس مهوممة من إحساس راق ذكي بالمسؤولية.

وفكاهة من هذا المستوى الرفيع ، بعيدة الأثر في التفاصيل ، بما تمثل من جمال الصورة وجمال الفكر ، وجمال الصدق معاً.

والإنسان المصري منذ القدم أحب الحياة بعد أن زرع وعرف الشمس والماء والحيوان . أصطلح مع المكان وتحاب مع كل شيء فيه.

وحين أصطلح المصريون خاصية الأولئ مع الحياة ، أكسبهم التلاقي ، انتشار الصدر ، وافتتاح القلب وقراره وقرته فأعطيوه بسخاء من معين فياض.

وانشراح الصدر ، سر الوسامنة النفسية في التمثال المصري . وفي الروح المصرية التي نسميها خفة دم.

إن البشر سر من أسرار الشخصية المصرية فهو يغسل بحراً من الهموم ، الشعب المصري يطرب ويضحك ويتفكه فيحسبه الجاهل به ، سهلاد ، وهو صعب يستطيع حين يريد أن يأتي بالمعجزات ويركب

الصعب حين لا تسدل الدلائل من وجهة نظر إلى المراقبين عليها.  
ومن القدسية الفرج.. ومن البشر البشرية..  
إن انتشار الصدر ، عنان الحياة.

حتى المراة والألم يستعلى عليهما المصري بالضحكه والنكتة بلطف من حدة الموقف بوجه نقول ،  
النكتة لا تعنى أمرا سهلا فالنكتة المصرية ورها بديهية حاضرة ، وذكاء ملأ ، وقدرة على اصطناع  
التورية وتخدم الألفاظ ، في براعة وسرعة وفن وباقة أيضاً . لقد كانت النكتة المصرية وحدها ، ترعب  
الأقواء ، حتى حرم الرومان على المحامين المصريين ، المراوغة في محاكم الإسكندرية لأنهم كانوا يغضبون  
من هيبة القضاة الروماني بالمزاح والدعابة ، في أثناء الدفاع وشروع القضايا .  
لا أتكلم الآن عن إيجابيات وسلبيات النكتة المصرية التي تشكل عامل تعويق في أوقات عصبية يقف  
ويكف فيها الكلام لينطق العمل ، ولكنني أقول إن مثل هذا الشعب ، تكون ، فيه ، مهمة الكاتب الساخر  
والفنان الساخر مهمة صعبة .

ومن هنا يقل عدد أعلام الفكاهة بمقاييس التاريخ الأنبي مع أن رجل الشارع متفكه ، فكه يسمع النكتة  
ويقولها . يخف لها مرساً ، ويجهش لها مستقبلاً ويضحي منها في الحالين .  
وحيث كان يقصد «البشرى» النقد من السخرية أو التقدّمات اللاذنة للمجتمع في كتابه «المختار»  
«قطف» أو سورة الكاريكاتورية في كتابه «المرأة» كان المازنني يقصد «الاستخفاف» لوناً من الاستعلاء  
أو ترويجاً عن النفس . سخرية أقرب إلى الفكاهة منها إلى السخرية كمنصب ويتجلّي هذا خاصة في  
كتابه (رحلة الحجاز) الذي ينحو فيه منحى الكاتب الأمريكي «مارك توين» في كتاب *the Innocents Abroad*  
وإن كان «ندريا» كتوماس هاردي أى أن الإنسان لعبة في يد القدر وعلى هذه النظرة تقوم  
سخرية المازنني .

وهذه «القدرة» فيها لمسة من طبيعة النفس المصرية عامة حتى تتحد أحياناً من استشرافها إلى فوق  
وتعلّمها إلى أيام ، وإن كانت ترتفعها أحياناً أخرى برصيد كبير من السلوى ومدتها بالطاف من العزاء  
يقويها على المعاناة ويعملها على الصبر «ويصلها بعد القنوط برحمة الله» .  
كتب الأستاذ العقاد عن (السخرية عند برتراندشو) فاستوقفه قوله: (إني أتعب غاية في التعب في  
استبطاط ما ينبغي أن يقال ، ثم أقوله بعد ذلك بأيديني العبارات إلى الاستخفاف) .

وأحسب هذه المقوله تطبق على سخرية كاتبنا محمد عفيفي فقد كان واسع الثقافة .. جاداً على الرغم  
من أن أسلوبه الساخر وصورة الضاحكة ، نون أن يسيء دماً أو ينكأ جرحًا كما فعل كاتبه الآخر  
ـ أوسكار وايلدـ الذي ترجم له كتاب *The Importance of Being Ernest* أهمية أن تكون  
(أونست) ودون أن تبلغ السخرية عنده ، حد السخط والماراة كسويفت ، الذي كان ناقماً على جميع  
الأوضاع في عصره .. لقد كان محمد عفيفي «المازنني» يسخران ولكنهم في سخرية هم أقرب إلى  
ـ أناقول فرانسـ أى سخرية إنسانية عليها مسحة من حزن لا يحجب سعادتها بل ابتسامتها ..

يقول الأستاذ على أدهم في كتابه «ألوان من أدب الغرب» .. وأناقول فرانس ساخر بارع يتخذ  
سخرة قالب البساطة والتواضع ، فهو لا يذكر الأشياء في عنف ، ولا ينتقد أحداً في جفاء وشدة ، وإنما  
يبيسم ابتسامة خفية مهنية ويتحدث في رفق ولبن ، وهو واسع الاطلاع غزير المعرفة ، وكان لا يمل قراءة  
التاريخ ولا يكيل من الغوص في أعماقه) .

ولا أجد أبلغ من هذه العبارة ، وصفاً لكتابينا : المازنني .. ومحمد عفيفي .

## الساحر العظيم



محمود السعدنى

محمد عفيفي هو أعظم كاتب ساخر انجبت مصر في العصر الحديث . ولكن محمد عفيفي -الأعظم والأقوى- ليس الأشهر بالضرورة- وربما جاء- بالنسبة لشعب مصر- في ذيل قائمة الساخرين -والسبب أن سخريته ناعمة ، وقلمه شديد الحساسية وشديد التربة أيضا ، فهو لا يجرح ولا يدمى . ولا يترك أثرا في نفس من يتعرض لسخريته . إلا الآخر الذي تركه موجة خفيفة على شاطئ ساحر وجميل وهو أقرب الكتاب الساخرين إلى مارك توين الأمريكي ، وأوستكار وايلد البريطاني ، ولذلك كانت سخريته من النوع الراقى الذى يرسم ابتسامة على الشفاه ، وليس من النوع الذى يتزعزع الفضحة من الأعماق . ولو كان محمد عفيفي كتب فى بلد مثل لندن أو باريس ، لأقيمت له التماضيل فى الشوارع وبالتأكيد كان مصیره الدفن فى مقبرة العظام على شاطئ نهر السين ، فهو ساخر صاحب سخرية ناعمة فقط ، لكنه مثقف ثقافة واسعة ، وخبرير فى كل أنواع الفنون ، وسيستفيد قارئ محمد عفيفي دائما من إطلاعه الواسع على أسرار الفن التشكيلي وتقانى التأريخ الفرعونى ، والعلاقة بين أدب العرب وأداب الآخرين . أيضا لم يشتهر محمد عفيفي فى مصر وفي العالم العربى إلا فى محيط طبقة المثقفين . وهو وضع طبيعى فى مجتمع يعاني من الأمية مجتمع أعلم مدارسه الفنية هى مدرسة يوسف وهبى ! مجتمع لاتتعلق الضحكات بالمجلة فى جنباته إلا على أرصدة المقاهى وفى غرز الحشاشين ! ولم يكن يوسف وهبى زعيمًا

للفن في مصر بالقوة الجبرية أو بفرمان صادر من الباب العالي في استنبول ، ولكن يوسف وهبي وصل إلى هذه القمة وتربع عليها لأنه الوحيد بين الفنانين في زمانه الذي فهم نفسية شعبنا العربي ، وعرف خفاياها ، ووصل في أعماقها إلى قرار صحيح . وقد كانت موهبة عزيز عبد أضخم ألف مرة من موهبة يوسف وهبي . وكانت مواهب ذكي طليمات أضخم ألف مرة من مواهب يوسف وهبي . ولكن يوسف وهبي بموهبتها الضئيلة استطاع أن يهز عزيز عبد بموهبتها الكبيرة . واستطاع أن يأكل ذكي طليمات بالرغم من مواهبه الضخمة . وعاش يوسف وهبي فناناً لدى الجماهير حتى مات ، وعاش أكثر بعد الموت بينما مات عزيز عبد وزكي طليمات لحظة أن زارهما ملاك الموت ، وإن كان كل منها يعيش داخل المعاهد الأكاديمية وفي ذاكرة المتلقين . وهذا هو الذي حدث للكاتب الساخر الكبير محمد عفيفي . عاش بعد موته عند نقاد الأدب الرفيع وعاشت سطوره في ذاكرة المتلقين مع أنه كان أعظم من كتب الكلمة الساخرة في عصره ومع ذلك لم يستطع أن يصل إلى سطح الهرم الاجتماعي في تركيبة المجتمع العربي ، لم يصل إلى الأغلبية ، ولم تكتشف الأغلبية ، وهو سوء حظ محمد عفيفي ، وسوء حظ أكبر للقراء على وجه العموم . ولكن عفيفي الساخر العظيم ، كان يتحمل جزءاً من هذه المسئولية . فقد أثر محمد عفيفي المثقف أن ينزو في برجه العالى بعيداً عن مشكلات زمانه وناسى أهله . وكان ينظر للحياة بعين مفعضة وعين نصف مفتوحة ! واعتمد اعتماداً كاملاً على موهبته العظيمة ، وعلى سخريته الناعمة الرقيقة . ولذلك أيضاً جاءت سخريته ناعمة كالحرير مع أنه لو استخدماها في المعارك لجاعت ناعمة كالثعبان ، تلذغ وتقتلها ، ولكن أثر أن ينفرج على زمانه ، وأن يلمس ولا يجرح ولا يدمي .. وموهبة محمد عفيفي في الكتابة ، كانت أشبه بموهبة عبد المنعم إبراهيم في التمثيل موهبة عريبة مثل السمك البلطي ، وناعمة ورقية مثل حريم اليابان ، ومتعددة الألوان مثل يقطن الامارات ورغم ذلك ، فهو أقل الساخرين الكبار حظاً ، وأقلهم فرصة، وأقلهم شهرة ! والسبب كما قلت من قبل هو عيب جمهور القراء في العالم العربي فنحن ما زلنا أسرى مدرسة افترضت منذ قيامتها أن المواطن حمار ومسطول وغائب عن وعيه ! ولذلك أيضاً عاش المقلوطي كثيراً في وجдан الناس ، عاش أيضاً يوسف وهبي لأن صوته كان أكثر الأصوات رزيناً . وكانت حجرته أشد الحناجر صراخاً ، لقد كان من رأى يوسف وهبي مثلًا ، أنه لا يجب أن يموت الممثل على المسرح كما يموت الناس في الحياة ، بل يجب أن يموت على المسرح مرتين وثلاث مرات ومن هنا ستكرر كثيراً عبارة .

(أنت ذلك الوحش الزئيم ناهش الأعراض وخا رب البيوت الذي لعقت بلسانه في دم شرفى تلك الليلة الظلماء الحالكة السوداء ، جزاوك لا يكون إلا الموت ومحبتك الفنان ، خذ يا عدو الله ، خذ ، خذ .. عليك اللعنة) ومع كل خذ طعنة خنجر ، بينما القتيل يظل يصرخ بالصوت الحياني حتى يعد اسدل الستار ، بل



إنه سيظل يصرخ حتى بعد الموت؛ ومن هنا سيفيسيع محمد عفيفي ، لأنه لا يملك هذه الموهبة الجعورية نسبة للجاعورة ، لأن قلمه نائم مثل موهبته . وهو بذلك سيدخل الحلبة مجرداً من السلاح الذي فرضه يوسف وهبي والمنفلوطى وحتى شوقي وحافظ ابراهيم والشيخ عبد العزيز البشري ، وأصبح هذا الأسلوب الجعورى نفسه هو مزاج الناس! والسبب الآخر هو أن محمد عفيفي الساخر ابتعد عن مزاج القارئ العربى، واقترب من مزاج القارئ الخواجة . ولعل أعظم نموذج على فن الساخر محمد عفيفي عن سفريات قام بها مع أنه قليل الأسفار. أقرأ السطور التى قدمها محمد عفيفي نفسه لكتابه (قضيت سنتين طويلة من حياتي أكره السفر واتحاشأ بكل الطرب، وحتى الإسكندرية نفسها ما كنت لأسفر إليها فى الصيف لولا إلحاد الأولاد على، ولو لا ماينبش فى خيالى من خواطر صيف بحرية ذات نكهة بيكتينية خاصة. فاتان من الناحية النفسية أشبى بالأشجار التى تحب أن تجلس طول حياتها فى مكان واحد عمرك شفت شجرة ماشية وعلقنى لو لا ظروف السفر إلى الرزق ليقى فى المنزل لا أبırجه ولو ربما تناولت الطعام فى السرير كى لا أتجشم مشقة السفر إلى حجرة الماشدة. اللهم إلا فضلت أن أتأم فى المطبخ) وبعد، هذا هو كتاب محمد عفيفي سكة سفر أقدمه إليكم ، ليس كأستاذ يقدم تلميذاً ، ولكن على طريقة مهرج يرتدى ملابس مضحكة ويقف على باب السيرك يدق ناقوساً يدعو الجمهور إلى الدخول للفرجة على ألعاب السيرك وفنونه . ومهما كان حظ محمد عفيفي فى الكتابة وفي الحياة ، سيظل أكثر الساخرين إحتراماً ، وأعظمهم قدرأً ، وأرفعهم مكانة وخصوصاً لدى المثقفين وسيضحك من الأعمى لفترة العظيم هؤلاء الذين يضحكون من الأعماق لأوسكار وايلد ومارك توين.

# ياعفيفى .. تعال



يوسف مساطر

لا أعلم لماذا تصورت الكاتبة المبدعة الأستاذة فريدة النقاش أن الكتابة عن محمد عفيفي مسألة سهلة .. ولا أعلم لماذا اعتتقد أنها سهلة على واحد مثلى .. إن الكتابة تصعب ممكناً إذا كانت عن هؤلاء الذين يعيشون بيننا .. يتلقاون معنا .. وينتقلون معهم .. يكلموننا وتكلمنهم .. يأكلون مثلنا ويشربون وينزوجون ويفشلون وينجذون ولكن .. محمد عفيفي .. لم يكن عائشاً بيننا .. فهو ولد ساخرٌ .. عاش ساخراً .. ورحل عنا ومدى ضنكاه الساخرة لازال تتردد حتى كتابة هذه السطور .. كان يتقرّج علينا ويسخر ثم يتقرّج على نفسه ويسخر .. ثم يسخر من سخرية نفسه وعاش هكذا .. عقريأً لم يأخذ حقه .. ربما لأنه سخر من عقريته .. وسخر من حقه وظل هكذا على حد تعبيره "في علاقته بالآخرين يحب على العام أن يكونوا آخرين" وهذه الحالة الانعزالية جعلته يجلس على قمة عالية ينظر إليها منها نظرت الساخرة فيضحكنا ويكتشفنا أمام أنفسنا ولم تكن هذه القمة برجاً عاجياً وإنما كانت "أرضية فوق سطح"

قبل عفيفي كان الأدب الساخر يدور في إطار محل "حملتيشي" لا يخلو من "الاباحية" أحياناً والزجل كثيراً والأفظاع العามية التي كانت تمثل غالباً إلى السوقة ولكنه .. فاجأنا جميعاً بأدب ساخر في متنه الاناقة ونقلنا نقلة رائعة من قهوة بلدى إلى متحف اللوفر .. ومن أم سحلول .. إلى الموناليزا ..

وهذه الاناقة "العفيفية" هي التي جعلت "سويفر" مثل الآن محترماً في عيون الناس .. وقد حدث مرة أنتى من فرط هوسي به وأفتتنى بأدب الرقيق أن تجاسرت وحاولت .. أن .. استقرر الله العظيم بارب .. أن أرد عليه .. أن ألعب معه لعبه .. اتفق عباراته .. القتابل الساخرة "وارد عليها بصواريخى .. فكانت النتيجة أشبة بما يحدث في العراق الأن .. ملبعاً أنا العراق ..

يقول عفيفي إذا نظرت إلى القمر وتنهدت فانت عاشق وإذا نظرت إليه وتصعبت فانت فيلسوف .. وإذا نظرت إليه وتباهيت .. فانت أنا !!

هل هناك من رد بعد هذا ؟ ردوا أنتوا باء .. ويقول عفيفي .. لم أستمتع برحالة من الرحلات التي قمت بها لأننى كنت على الدوام .. أ أصحاب معى .. نفسى .. العجيب أنتى لم أستمتع برحالة من الرحلات إلا إذا كنت أصاحب معى .. عفيفي .. أعني كتبه وبمقالاته

البدعة .. لم يترك عفيفي طقساً إنسانياً إلا وتأمله وصوره بكميرته الخاصة .. فرأينا المشهد من خلاله .. وقد تحول إلى "مسخرة" عندك مثلاً .. وأنت تحلق نتقن أو ترتدي ملابسك .. أو تشتري حروف العيد .. أو تتمشى في الشارع ..

كان عفيفي يحقق .. هو ملك الكاميرات الخفية وأعني هنا : الصادقة " غير المفترضة " .. خذ عندك هذا التقليد اليومي حينما ترتدي ملابسك استعداداً للخروج .. كيف عبر عن عفيفي

وكنا .. حيث نتف مقتونين أيام المرأة .. نمد يداً فنضئها في جيب البنطلون .. لترى أنثى هذه الحركة على الجاكيتة ثم نمد يداً أخرى فنضئها في جيب الجاكيتة لنرمي أثراها على البنطلون واقفين أيام المرأة بوجهنا بمرارة بجنتنا ومرة بظهرنا وفي يدنا مرأة إضافية صغيرة نستعين بها علىأخذ فكرة واضحة في المراتين عن مشهتنا الخلفي من أين سور عفيفي هذا الشنديد ١٢ وكيف القحط هذه المركبات اللاثشعرية .. وعموماً استنا الأن بصدد تحليل أدب عفيفي .. لأن ذلك لا بد وأنه يزعجه إعاجباً كبيراً الآن .. وإنما السؤال الذي يطرح نفسه .. وبالمناسبة أغنى أنواع الأسئلة هي تلك التي تطرح نفسها السؤال .. إذا كان عفيفي كما وصفه نجيب محفوظ وكانت السخريّة هي محور حياته يتباهى قليلاً وذكر بها عقله وتحيرها بها إرادته وهي جلده وأحمه وبديه وأسلوبه عند الجد والهزل .. ولدى السرور والحزن .. وإذا كانوا يلقوه مولينير مصر - وهو عندي أكثر سخريّة وروعة - وأني لاسمي مولينير .. عفيفي فرنسا .. إحقاقاً للحق وإنصافاً لمولينير .. وإذا كان عفيفي في ١٣ مولفًا كتبها كسر النحس وقد لنا ١٣ تحفة أدبية لا أعلم مادا كان شكل الحياة سيمضم بدورها أكد كانت تبة منها سم .. إذا كان عفيف ساخراً بهذا الحجم .. وفيسبو بها العمق .. وأتيبياً بهذه المستوى الرفيع .. هنا يظهر السؤال الفبي الذي يطرح نفسه .. أين عفيفي ؟ أين هو من التقدير والجوائز وما يستحق من التكريم .. هل كان طيباً .. زيادة عن اللازم ؟ هل كان عزفنا .. لا يحب الهيبة والتأليل هل حقد بعضهم على موهبته .. الغدة .. فت管家هله ؟

لقد سعدت سعادة كبيرة حينما علمت أن المجلة الراقية "أدب ونقد" ستتصدر عدداً خاصاً عن عفيفي ..  
وأLCD فكرت كلثيرأ قبل أن أكتب عنه ووجدت أنه ليس المهم أن تقول إن محمد حسين عبد الوهاب عفيفي الذي ولد  
في بلبيس يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ في آخر الشهر كان أميراً الكتابة الساخرة وأنه بلغ قمة لم يصل إليها من  
بعد أنه كاتب ساخر .. والطريق أن عفيفي تزوج في يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٠ برضه .. كانه كان يسخر من يوم  
ميلاده ويوم زواجه في جملة واحدة ولم يسلم الموت نفسه من سخرية عفيفي .. واثنى لائل لكم رؤيته الساخرة  
البيعة للموت .. فهو الذي قال لا أريد أن أموت قبل أن أكمل رسالتي أو على الأقل قبل أن أعرف ماهي ..  
ولذا مت فلكون شاكراً لو نشرتم في اللعن كتابة محسانتي .. إن يكلمكم ذلك أكثر من ثمن سطرين هذا وعد مني  
بلاأس الشارع بسرادق ملائتي أو أربك مكير صوت يزعجك طول الليل .. الموت فى اعتقادى من الأشياء التي  
يجب أن يستحب المرء من إعلانها .. أرجوكم لا تسرفو فى الضجيج عند موتها .. زغروه واحدة تكتفى ..  
ويقول:

ثم .. بينما هم ينزلون جثمانى فى القبر يؤسفنى أتمنى لن أكون فى الحال الذى تسمح لي بأن أقول النكتة المناسبة الموقت !!

وبعد .. هذه القنابل الساخرة الفريدة .. الغارقة في المعمق .. والصدق .. والدشمة .. هي رؤية عفيفي المبهرة التي لاكلام بعدها وتطالبني الاستاذة فريدة النقاش أن أكتب عنه كيف ياسينتي ؟ لقد قال عفيف كل شيء ..  
وإذا كنت تربدين فعلًا أن يخرج العدد عن محمد عفيفي في أيديه صورة .. كلفي عفيفي نفسه أن يكتب .. وهو لن يتذكر .. أما أنا فأرجوكم .. أن تعفيفي من هذه المهمة الشائنة .. وتقبلي عذر

## عنيفي ومحفوظ والسخوية



**ياسر محمد إبراهيم**

يقول أرثر برجر في تعريفه للأدب الساخر إنه «أحد أشكال المقاومة أو قوة خاصة للمقاومة». والساخرية كما في قاموس الأخفش : س، خ (سخر) منه من ياب طرب، سخر منه وبه ضحك منه وبه وهزى منه وبه والساخرية في تناولنا لأدب محمد عنيفي ، ذلك الكاتب الساخر لاتعني في المقام الأخير مجرد الاستهرا ، والضحك على الشيء كما في لغة القواميس والمعاجم بل هي البديل للواقع الريدي المليء بالفساد إنها وهي حاد ناقد يقف في خصومة دائمة للواقع الفاسد ، هذا الواقع الزاخر بالتناقضات . إن السخرية هي الحكمة الخالصة هي خط الدفاع الأخير سلاحها البسمة الخافتة أو الضحكة المجلدة التي تجاهل بها الواقع بعنفه وقوسته وقهره ، هي الفاضحة الهاتكة أسرار هذا الواقع المليء بالأوهام والإدانة والتناقض .

وقد عرف قاموس ويستر الفكاهة بأنها « تلك الخاصية المتعلقة بحدث أو نشاط أو موقف أو بتعبير خاص عن فكرة ، والتي تستحضر الحس المضحك ، أو الحس الخاص المتعلق بإدراك التناقض في المعنى ، إنها تتعلق بالكلة العقلية الخاصة بالاكتشاف والتعبير والتطرق للأمور المضحكه أو العناصر المتناقضة ، اللامعقولة في الأنكار الواقع .»

وقد امتلك عنيفي حسًا فكاهياً عاليًا تجاه الحياة ومظاهر عدم اكتمالها وتناقضاتها الوجود . هذا الحس التأملي الذي امتلكه محمد عنيفي باقتدار لا يدانيه فيه أحد . وإذا كانت كتاباته تقلب عليها صفة الأدب الساخر فهو شكل من أشكال الفكاهة والحس الفكاهي ، هدفه مهاجمة الوضع الراهن في أخلاقه

وسياسته وسلوكه وتفكيره.

ويظهر إنتاج محمد عفيفي بسيطاً سهلاً، ذلك لأن يقرأ قراءة عادية ولا يتعاطى جرارات كبيرة من فنه الرائع ولكن القارئ الذي اعتاد قراءة محمد عفيفي يلمع العمق والدقة المتأتية في قطف واقتاصن اللحظة الشاملة التي تحوى بداخلها وفي رحمة الطبيعة وتناقضاتها وال فكرة التي يريد عفيفي أن تصل لقارئه. يجذبك وأنت تقرأ فرحاً غامراً عندما تمسك تعبيراً واستعمالاً لغويَاً كاشفاً الواقع المر الذي تحيا . إنها سخرية الحارقة التي تجعل القارئ في لذة مختلطة ، يضحك ثم يبكي ويتألم على حاله وحاله محبطه الاجتماعي والسياسي المعيش . سخرية مدفوعة الثمن غير مجانية يدفع القارئ فيها ألمه ودموعه قد تسقط رغم عنده . إن القراءة لكتابة محمد عفيفي تضيق في لحظة تأملية يصعب أن تجد نفسك فيها مع كتابة أخرى وهذا هو الفارق فيما كتبه عفيفي وما يكتبه آخرون . ذري ذلك بوضوح في مقطوعاته الفلسفية «في ظل ثماراً » حيث يصبح الوجود في وحدة واحدة ، النبات ، الحيوان ، الطائر الإنسان جميعهم في وحدة عضوية واحدة وفي حالة رجوع إلى الجذر الأصلي لهم جميعاً.

إن تكوينات وكتابات محمد عفيفي تقترب إلى حد كبير من القصة ، ذلك لارتفاع مستواها الفني في البناء وطريقة سردته التي تحمل نظرته العالم تقدماناً قاصماً ممكناً من كلأشكال ويني من القصة ويعامل عفيفي مع مادته بدرجة عالية من التكثيف لدرجة الوصول لفن خالص هو فن التكثيف . وقد قال «تشيكوف» «العقبالية بنت الإيجاز» ، وأماماناً الآن بعض من تكثيفه (\*) بقدر ما أحب الرجل الذي يكسب عيشه من عرق جبينه ، بقدر ما أكره الرجل الآخر الذي يكسبه بعرق جبيني .

\* موظف : أخذت علاوة كام؟.

زميله: رب كيلو سمك.

\* الفرق بين اللص الصغير ولص الكبير أن الأول يركب السيارة في حين أن الثاني يركب الموجة .  
رأى نظرتي الحادة إلى سيارته الفاخرة جداً فقال لي: إن تلك السيارة مشتراء بعرق الجبين . ويسرعة صعد إليها ودقق الباب خلفه وانطلق بها قبل أن أجد الفرصة لكي أسأله : جبين من؟ . إنها لغة جميلة مكثفة لا زوائد فيها ولا حواشي ، لغة بعيدة عن التقد والتعالي ، لغة البساطة والتأمل . عن علقة محمد عفيفي يتوجب محفظة ..

يقول محمد عفيفي عن نجيب محفوظ في مقابلة له نشرت بمجلة (أدب ونقد) «وحيث تتوقع مني أن انتزع منك ابتسامة من نوع ما، وحيث إن الكلام سيدور عن شخص أحبه وأجله هو صديقي الكاتب الكبير نجيب محفوظ فأشتغل أن خير موضوع الحديث هو تلك العلاقة الغريبة القائمة بيني وبين المسامة ، ساعة بهذه حالياً وساعية جيبيه عند بدء معرفتي به في ذلك العهد البعيد من أواسط الأربعينيات».  
المقال طويل تلمس فيه اختبار عفيفي لعلاقة نجيب محفوظ بالساعة ومدى حرصه على الوقت ودقته في مواعيده فوق المقال الرائع صورة كاريكاتورية بريشة فنان مبدع آخر هو (بهرج شتان) والذي ينظر لها يدرك مدى الصدقة والمحبة التي كانت تربط بين الرجلين . فهي عشرة عمر طويلة امتدت لقراءة النصف قرن ، لدرجة أنك تلحظ بوضوح تأثر كلّهما بالآخر وشدة التطابق في الهيئة والبناء الجسماني كائنة توأم يتأكد لك ذلك وأنت تمسك نفسك تضحك على تعليق ساخر لشخصية من شخصيات محفوظ الروائية لنرى . في (المرايا) يقول (عبد الرحمن شعبان)! .

«أنظر إلى هذا المنظر الغريب ، الكارو والجمل والسيارة في قافلة واحدة وتقولون الاستقلال التام أو الموت الزوج؟ وأقرأ تعريف عقify عن المواطن المصري . يقول «إنه الوحيد في العالم الذي يموت بين مجلات الكارو والكاديلاك» .. إنه التناقض الذي يفضح الواقع وبعربيه .

نموذج آخر ، يقول عقify عن الجوع «إذا مات رجل من شدة الجوع فهذا لا يرجع إلى شيء سوى أن رجالاً آخر قد مات في نفس اللحظة من فرب الشبع! .

\* في بداية ونهاية أثناء زيارة للأسرة يسأل حسن: أخبروني متى أكلتم اللحم آخر مرة؟ فقال حسنين ساخراً: .

الحق أنتا نسينا ، دعني أذكر قليلاً سمايل لعيني شريحة لحم في ظلام الذكريات ولكن لا أرى أين ولا متى.

\* يقول عقify عن اللحوم في مواجهة أزمة اللحوم أقسم أن المواشى لا تتكاثر بالسرعة أو الوفرة المطلوبة ، فلماذا لا تنسد الإشراف على تكاثرها إلى هيئة تنظيم الأسرة لكي نجد أمامنا عجلاً كل ثانية .

\* في فحصه للانتهازيين والمنافقين يقول: مجعوصاً على الكتبة الأوبيسون الفاخرة ، وغانصاً بحذائه الإسباني الشعير في السجاد الصيني التقى ونافخاً بخان الهافان نحو النجفة (الكريستال النادرة ، وأصل إملاء المحاضرة على سكرتيرته قاتلة؛ وأثنا بصفتي من أول دعوة الاشتراكية:-

\* في المرايا يقول محفوظ على لسان الرأوى الذى يسأل الوالدى القديم زهير كامل-كيف انقلب اشتراكياً بهذه السرعة المجنونة؟

يرد فيقول: الناس على دين أوطانهم.

يقول عقify «هل لك أن تخبرني من أين يحصل الناس على الفلوس بدون أن يكونوا نساء؟ .

\* في أفراح القبة لمحفوظ يقول كرم يوسف لزوجته: ما زال لديك بقية من استعداد للدعارة فلم لا تستثمرتها فيها في هذه الأيام الداعرة المجيدة؟

\* الفقرات السابقة من كتاب عقify «للكبار فقط المصادر عام ١٩٧٥ والذى اتخذ فيه عقify شكلاً جيداً لكتابية أقرب إلى قصيدة النثر المتاحفية الصغيرة أو الحكمة التي لا تتعدى سطرين ونلاحظ أن أبيبنا الكبير كتب في أصداء السيرة الذاتية بهذا الشكل نفسه.

وعن محمد عقify يقول تجيب محفوظ في مذاكريته التي كتبها الناقد رجاء النقاش إن معرفته به جاءت عن طريق المخرج الراحل صلاح أبو سيف وقد اكتشفت فيه شخصية إنسانية رائعة يقول: «لقد دعاني محمد عقify للانضمام لشلة العوامة وكما دعاني لشلة العوامة دعوه لشلة الحرافيش التي سرعان ما اندمج فيها وانتقلت اجتماعات الحرافيش وسهراتهم من المقهى إلى منزل محمد عقify في الهرم».

وفي النهاية نقول كما قال «توماس كارليل»

«إن جوهر الفكاهة هو الحساسية والدفء والرقة والصحبة الجميلة .. إن جوهر الفكاهة هو الحب».

# آخر مكتب



## حلمى التونى

هذا هو آخر ما كتب محمد عفيفي، قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر. لاشك أن عالم محمد عفيفي الآخر سيكون بمثابة وجمال وصفاء، وصدق عالمه الأول، عالم الأرضي .. بيته وحياته اللذين عاش بينهما حياته، خاصة آخر أيامها، يتأمل ما حوله بعين فنان وعين شاعر وعين فيلسوف.

إن أجمل ما في هذا الكتاب هو نكran النات الفنى - إذا جاز التعبير - فعفيفي يكتب عن العالم من حوله، وهو في وسطه ومحوره، ولكنك لا تشعر بملة برجوه، هو، أى الكاتب، إنه يحول نفسه إلى إطار أو نافذة سحرية متحركة، يوجهها نحو تفاصيل وعناصر الحياة العادلة فترى من خلالها العادى وقد تحول إلى شىء غير عادى، تحول إلى عمل فنى، كل الأشياء إذا رأيتها من خلال نافذة محمد عفيفي السحرية، كل الأشياء إذا رأيتها من خلال نافذة محمد عفيفي السحرية، كل الأشياء، تكتسى شفافية غريبة تبهر لك وتُظهر بوطنها وأسوارها، أسوارها الجميلة.. أو سر جمالها. كل الأشياء وأبسطها..

يقع الضوء على مقاعد المديقة، أزهار الياسمين على بساط الغرفة، الوجوه، والأشخاص فى زهارات المناسبة، القطط، الكلاب ، الحشرات.. العصافير .. الحياة.. المرض.. الموت.. كلها تحول إلى قاتيل، بملوحة شفافة، يرفرف حولها فراش أبيض يلمسها بأجنبية رقيقة من أسلوب محمد عفيفي، الذى ينتقل بيسر وسلامة وراحة تامة، بين العلم، أو التفسير العلمى لظواهر الحياة وبين التأمل الفلسفى الفنى الساخر لتلك الحياة.

هل كانت هذه السطور هي دعا، محمد عفيفي الأخير، هل كانت دعا، وتسبيح فنان يتقرب من رب عن طريق التأمل الفنى فى بديع خلقه هو .. الفنان الأعظم؟





## أنوار «محمد عفيفي» وضدكاته

### ضحكات صارخة

نعم تستطيع السيارة الخربة أن تظل سائرة ، إذا أنت وضعتها في أعلى طريق منحدر.  
لا يزعجني أن أرى رجلا دخله أكبر مندخله .  
بقدر ما يزعجني أن أرى رجلا دخله أكبر مندخله .

\*\*

لن تجد في آية معارضة لأن تستمتع بحياتك ، ما دام لا يدخل في باب ذلك آن تستمتع  
 بحياتي.

إذا سدت أنفك كلما شمتت رانحة كريهة فمعنى ذلك أنك سوف تقضي حياتك معتمداً في  
أعمالك على يد واحدة.

\*\*

منظار قانون النور المضى بالنهار يثير في ذهنى كثيراً من التوقعات المظلمة.

\*\*

الأكاداس اليومية للفقراء والمرضى حول أضরحة الأولياء توحى إلى بأن الحب الذى بين هؤلاء  
وأولئك حب من طرف واحد.

\*\*

قد لا يحول الجوع دون النهوض ، لكنه قطعاً وجزماً يحول دون النهضة.

\*\*

هل يوجد بين الأطباء أخصائى في الجبن ؟ فإنى أريد أن أكشف على جبينى لكى أعرف من  
ناحية أين يذهب عرقه ، ومن ناحية أخرى لماذا لم يعد يندى لآى نوع من القصص أو الأباء .  
فى مواجهة أزمة اللحوم أفهم أن المواشى لا تتکاثر بالسرعة أو الوفرة المطلوبة ؛ فلماذا لا نستند  
الإشراف على تکاثرها إلى هيئة تنظيم الأسرة لكي نجد أمامنا عجلأً كل ٢٧ ثانية.

\*\*

سر متاعبنا لا يكمن في أن الأشياء غير الموجودة بقدر ما يمكن في أنها موجودة في مكان  
آخر.

\*\*

لا زلازل ولا براكين ولا فيضانات ولا انهيارات ولا حر شديد أو برد قاتل ، ذلك هو المناخ الذى  
انبثق منه المزاج المصرى.

\*\*

بعض المصريين يفهمون في الطب ، وبعضهم في الهندسة ، وبعضهم في الأدب والفلسفة ،

ولكنهم جمِيعاً يفهمون في السياسة.

تعريف عابر للمواطن المصري ، إنه المواطن الوحيد في العالم الذي يمكن أن يموت في حادث تصادم بين الكاديلاك والكارو.

\*\*

يسألونك عن الفلاح ، قل هو ذلك الذي يشقى لترتاح أنت ، ويجوع أحياناً لتشبع ، ويتعري لتلبس ، ويصحو من النجمة لكي تنام أنت في الظفيرة ثم تصحو وتشرع - متناثباً - في البحث عن تعريف لل فلاح .

\*\*

وقفنا لنوع من المنطق يمكننا القول بأن الفلاح أسعد حظاً من ساكن العاصمة . فلست أذكر أنتي رأيت عشرين فلاحاً وقد تكسوا جميعاً فوق ظهر حمار واحد .  
الصاروخ الموجه ذو الرأس الذرية لا يخرج عن كونه تطويراً عصرياً لسلاح همجي آخر هو السهم المسموم .

الفرق بين الحروب السابقة وال الحرب القادمة أن الأخيرة قد لا تجد للأسف من يؤذن لها .

\*\*\*

أحياناً أميل إلى قراءة الكتابات الخرافية ، بالأمس عكت ساعة على قراءة ميثاق حقوق الإنسان .

\*\*

الذين يصررون على الفصل بين الشاب والفتاة مخافة أن يكون الشيطان ثالثهما ، ماذا أعدوا يا ترى للشيطان حين يزور كل منهما على انفراد .

\*\*

طبعاً هناك فرق بين الخطيبة والخطأ . الخطيبة هي أن تعاشر بنت الجيران والخطأ هو أن تتزوجها .

يؤكد صديق لي أنه لم يعرف طعم الحياة إلا بعد الأربعين - أربعين زوجته .

\*\*

الفرق بين الحب الفاشل والحب الناجح أن الأول يؤمل شهراً ، في حين أن الثاني يؤمل مدى الحياة .

\*\*

رب أنشى تتزوجها طلباً للاستقرار ، وأخرى تطلقها لنفس السبب .

\*\*

نعم يا انسى أنا لا أمانع في ركوب الصعب ، ولكن ليس إلى الدرجة التي تجعلنى أنزوجك.

\*\*

ربما كان الشورت الساخن ، أحب إلى عيون الذكر في الأوقات العادمة ، لكننى لا أشك في أن الميكرو يفضله في أن الميكرو يفضله في الأيام العاصفة.

\*\*

تدنب البنت بين البنطلون المحرق والميكروجيب هو تعبير عن حيرتها بين التلميح والتصريح.

\*\*

الحب اسم وفعل في وقت واحد ، هو عند العاجز اسم وعند القادر فعل.

\*\*

هناك طريقة واحدة تضمن بها أن تحفظ بحب حبيبتك مدى الحياة ألا تتزوجها! .

\*\*

تسألني ما هي السن المفضلة للزواج ، أقول لك فيما يتعلق بالزواج والموت لا توجد سن مفضلة.

\*\*

تسألني من هي الزوجة المثالية ؟ أقول لك هي الجميلة المثقفة الغنية التي تقيم في بيت آخر! .

\*\*

من الصعب على الرجل أن يضحك من نكتة سمعها ثلاثين مرة ولذلك يبدأ . الفتور بعد شهر المسل.

\*\*

غضبت زوجة صديق لنا منه لمجرد أنه نظر إليها نظرة طويلة ، إذ صاح رجل في الطريق يقول بيكي!

\*\*

إذا قبل الرجل زوجته بعد عشرين عاماً من الزواج فهذا دليل على ما يمكن للخمر أن تصنع بعقل الإنسان.

\*\*

لا تلم زوجتك على رداءة ذوقها ، أليست هي التي اختارتك ذات يوم؟.

\*\*

ليس صحيحاً ما يلخصون به الحياة من أن الإنسان يولد ويتعذب ويموت، فبعض الناس كما تعلم لا يتزوجون.

\*\*

المرأة أسعد حظاً من الرجل ، فمن المستحيل أن تربى طفلًا ليست هي أمه.

\*\*

رجل غريب جداً - تقول سوسو لفيفي عن زوجها ، فهو لا يريد أن يكون الرجل الأخير في حياتها فحسب ، بل يريد أن يكون - هل سيني - الأول أيضاً.

\*\*

حين تنتظر إلى وجوه الجالسين على المقهى أثناء مرور أثني جميلة تدرك أن قراءة الأفكار ليست من الأمور المستحبة.

\*\*

سيظل الناس يتزوجون إلى الأبد ، ما دام الرجل يتواهم أن حظه سيكون أحسن من حظ الآخرين.

\*\*

لاتحزن إذا فاتك قطار الزواج ، فلأن يفوتك القطار خير من أن يدهشك.

\*\*

كان كابوساً فظيعاً رأيت نفسي فيه كما أنا تماماً.

\*\*

بدأ بيكاسو حياته الفنية بما يسمونه بالمرحلة الزرقاء ثم المرحلة الوردية وهكذا . وفي علاقتي بفن الرسم يبدو أنني سأعيش وأموت في المرحلة البيضاء.

\*\*

تعلمت عبر السنين أن أفهم أشياء كثيرة ليس من بينها نفسي.

\*\*

في أربعة أبوار المحل التجارى لم يقع بصرى على شئٍ رخيص إلا وأننا أمر أمام المرأة.

\*\*

الناس تشعر بالحزن عند الغروب أنسفاً على يوم راح ، ونفس هذا الحزن يساورنى أنا عند الشرق.

\*\*

في علاقتى بالبحر أحب أن أنظر إليه من بعيد دون أن أغوص فيه وكذلك الحال في علاقتى بالناس.

\*\*

يبدو أننى سأعيش وأموت فقيراً ، فمن الصعب على رجل فى الخمسين أن يشرع فى تعلم أصول السرقة.

\*\*

فى علاقتى بالآخرين أحب على الدوام أن يظلو آخرين .

\*\*

إذا كان التصوف نسبة إلى ليس الصوف ، فائناً أفضل التحرر نسبة إلى ليس الحرير.

\*\*

بينما هم ينزلون جسمانى إلى القبر ، يؤسفنى باتنى لن أكون فى الحال التى تسمح لي بأن أقول النكتة المناسبة للموقف.

طبعاً هناك فرق هام بين الكاتب الكبير والكاتب الشهير الأول يكتب للتاريخ أما الثاني فيكتب للجغرافيا.

\*\*

بعض الأشياء لم يطرأ عليها تغيير منذ ألفى سنة : الحب والشعر العربى.

\*\*

من الممكن جداً أن يكون عملك الفنى ناجحاً وفاشلاً في نفس الوقت ، إذا أنت فصلته على نوق الجماهير تماماً.

\*\*

هناك مؤلفات كثيرة يجب أن تترجم إلى اللغة العربية ومن بينها مجلة المجمع اللغوى.

\*\*

ماهى الدعاية ؟ هى ذلك الشئ الذى يجعلك تتغنى بشكسبير دون أن تكون قد قرأت له أى شئ.

\*\*

لأن تصبح الدعاية فنا كما يحدث فى بعض المسرحيات الأوروبية ، خير من أن يصبح الفن دعاية كما يحدث فى بعض مسرحياتنا.

\*\*

لو أنصت بامعنان إلى أغاني بعض مطرباتنا لوجدت أنها لا تخرج عن كونها مجموعة من التأوهات المنضمة، مع تنوعات مناسبة على حرف الحاء.

\*\*

فى بعض الأحيان تكون أكبر خدمة يسديها الفنان لفنه هي أن يعتزله.

\*\*

سبب سرعة الطلاق بين الممثلين والممثلات ذلك أنهم وقد تعبوا من التمثيل في المسارح والاستديوهات لا يطيقون مزيداً من التمثيل في البيت.

\*\*

لاشك في أنه فنان كبير ، لا يمكن أن يقل بحال من الأحوال عن سبعين سنة.

\*\*

إذا كنت لا تعرف الفرق بين السذاجة والساخافة ، فيبدو أنه ليس عندك لا راديو ولا تلفزيون . عندما أرى تكالب الجماهير على الأفلام الرديئة أدرك مدى العبرية اللغوية الكامنة في فعل ينکالب.

\*\*

الحمار حيوان سيني الحظ ، فعلى العكس من البقرة والثور والكش والثعبان والتمساح لم يجد المسكين آية جماعة من الناس تقدسه.

\*\*

قد يكون صوت الحمار قبيحاً ، لكنه هو الآخر يحتاج إلى أن يعبر عن نفسه.

\*\*

كرهت زقة العصافير بعد أن اكتشفت أن معظمها شتائم متداولة.

\*\*

لاشك أن الثور أكثر حكمة من الرجل في علاقاته العاطفية فهو سمعت عن ثور ينتحر من أجل بقرة.

\*\*

كل الحيوانات تقتل بانفعال ، ولكن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يقتل ببرود.

\*\*

يقولون أن الحوت حيوان زهق من الأرض فهجرها إلى البحر وياما نفسى أعرف عملها إزاي؟.

\*\*

لو عرفت الحيوانات أنها سوف تموت لظهر فيها فلاسفة وحكماء.

\*\*

في حديقة الحيوان أشعر بأمن أكبر بكثير من ذلك الذي أشعر به في الشارع فحيوانات الحديقة كما تعلم محبوبة.

\*\*

إذا رأك الناس تفرق في البحر مدوا لانتشالك الف يد ، أما إذا رأوك تغرق على البر فما من  
يد واحدة تمتد إليك.

\*\*

إذا صدقنا علم الفلك فيما يقول عن ملائين الشموس الملنسبة في السماء فالكون لا يخرج عن  
كونه مجموعة من الحرائق.

\*\*

هناك درجات من الحرية الإنسانية ، لكن الحرية الكاملة لن تتحقق ما دامت هناك جاذبية  
أرضية.

\*\*

أليس غريباً أن الرجل الوحيد الذي نجع دائماً في أنه يجعلني أعبر طريقاً لا أريد عبوره كان  
على الدوام رجلاً أعمى؟.

\*\*

لابد أن إنسان زمان كان مختلفاً عن إنسان الآن ، وألا فلماذا وصفه أرسطو بأنه حيوان  
عقل؟.

\*\*

افتراض وجود كائنات عاقلة على المريخ لا يفترق كثيراً عن افتراض وجود تلك الكائنات على  
الأرض.

\*\*

لاتكثر من ترديد كلمة أنا ، حاول أن تكون منكراً لذاتك مثلي أنا.

\*\*

لو رأى كل إنسان نفسه على حقيقتها لاضطررت الدولة إلى إنشاء هيئة خاصة لمكافحة  
الانتحار.

\*\*

لو أنتي عملت بنصيحة الشاعر وامتنعت عن إجابة السفيه إذا نطق ، فمعنى ذلك أنتي ساقضي  
معظم حياتي ساكتاً.

\*\*

من الطريقة التي يتصرف بها بعض حملة الشهادات العليا يبدو بوضوح أنهم ينزوون بحملها  
جداً.

\*\*

قال القط مشمش القط سمسس

-مش ربنا خلق العصافير علشان نتكلها؟.

فلمـا أجاـهـهـ سـمـسـمـ بـالـإـيـجـابـ قالـ:

-طـيـبـ لـيهـ بـقـىـ خـلـقـهـ بـتـطـيرـ؟.

\*\*

ظـريفـ ذـكـرـ الـرـجـلـ الذـىـ أـلـقـىـ بـزـوـجـتـهـ وـحـمـاتـهـ مـنـ النـافـذـةـ ،ـ وـبـسـؤـالـهـ عـنـ السـبـبـ فـيـ ذـكـرـ قـالـ إـنـهـ  
أـرـادـ أـنـ يـسـتوـقـ منـ صـحـةـ نـظـرـيـةـ جـالـيلـيـوـ بـشـأنـ وـصـولـ الـأـجـسـامـ السـاقـطـةـ إـلـىـ الـأـرـضـ فـيـ وقتـ  
واحدـ.

\*\*\*

مسـطـولـ ١ـ -ـ أـنـ مـتـهـيـأـلـ أـنـ زـرـافـةـ

مسـطـولـ ٢ـ -ـ أـمـالـ اـنـتـ إـيـهـ ؟

\*\*

بيـدـوـ أـنـ التـزـعـةـ العـبـشـيـةـ قدـ بدـأـتـ تـتـسـرـبـ إـلـىـ أـذـهـانـ الـأـطـفـالـ ،ـ إـذـ سـمـعـتـ طـفـلـاـ يـتـرـنـمـ بـالـأـغـنـيـةـ  
الـمـوـرـفـةـ قـائـلـاـ:

-ـ ذـهـبـ الـفـجرـ ..ـ طـلـعـ الـلـيـلـ ..ـ وـالـعـصـفـورـ نـونـوـ ..ـ شـافـ الـوـزـهـ قـالـ لهاـ بـسـبـسـ ،ـ قـالـتـ لـهـ هـوـهـ !

\*\*\*

لاـيـسـتـطـيعـ الـأـنـسـانـ أـنـ يـقـولـ إـنـهـ قدـ تـحـضـرـ حـقاـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ يـكـفـ عـنـ اـسـتـخـدـمـ الـأـقـالـ وـالـمـفـاتـيـخـ.

\*\*\* يـعـجـبـنـيـ اـسـمـ ثـرـيـاـ لـمـ فـيـهـ مـنـ شـمـولـ ،ـ فـيـهـ ثـرـيـاـ فـيـهـ الثـرـاءـ وـفـيـهـ الثـرـىـ.

\*\*\*

أـوـ لـيـسـ مـحـزـنـاـ أـنـ أـجـمـلـ الـأـشـيـاءـ فـيـ حـيـاتـنـاـ هـىـ تـلـكـ الـتـىـ لـاـنـسـطـطـعـ أـنـ نـحـكـيـ لـلـنـاسـ عـنـهـ ؟

\*\*

لـاتـنـكـرـ ،ـ ماـ مـنـ أـحـدـ مـنـاـ يـنـجـوـ مـنـ ذـلـكـ الشـعـورـ بـخـبـيـةـ الـأـمـلـ عـنـدـمـاـ يـنـتـهـيـ مـنـ صـفـحةـ الـوـفـيـاتـ  
وـلـايـدـ فـيـهـ أـحـدـ يـعـرـفـهـ.

\*\*\*

بعـضـ النـاسـ يـحـبـونـ أـنـ يـتـسـاعـلـواـ هـلـ هـنـاكـ حـيـاةـ بـعـدـ الـمـوـتـ ؟

وـأـحـبـ مـنـ جـاتـبـيـ أـنـ أـضـيـفـ هـذـاـ السـؤـالـ ،ـ تـرـىـ هـلـ هـنـاكـ حـيـاةـ قـبـلـهـ ؟

\*\*\*

قدـ يـكـونـ الـانـتـهـارـ عـيـباـ فـيـ عـوـمـهـ ،ـ لـكـنـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـاـنـ يـكـونـ مـنـ أـسـمـيـ أـنـوـاـعـ الـخـدـمـةـ  
الـعـامـةـ.

\*\*\*

الرجل الذى يقول إن الحياة تبدأ بعد الخمسين ، لابد أنه خارج لتوه من تأبidea.

\*\*\*

لا أنسحك بأن تلقى بنفسك من الطابق الثالث عشر ، أفليس من الممكن - وفقاً لهذا الرقم المشئوم - أن تصل إلى الأرض سليماً؟

\*\*\*

تعريف آخر للحياة : حلم بالإعدام مؤجل النفاذ.

\*\*

للباء والأم اللذين يوجهان إلى طفليهما ذلك السؤال الخالد " بتحب بابا ولا ماما أكثر ؟ أقول إنهم بها هذا السؤال يلقنون الولد أول درس في الكذب.

\*\*\*

ربما أجد الرغبة ذات يوم في أن أتفرج على سباق الخيول ، وذلك بعد أن أكون قد استنفدت متعة الفرجة على سباق الحمير.

\*\*\*

مائسة الإنسان الكبri أنه يجب أن يموت في الوقت الذي يبلغ فيه للمرة الأولى سن النضج.

\*\*\*

لامانع من أن تتقى شر من أحسنت إليه ، ولكنك في الوقت نفسه يجب أن تذكر أنك باحسانك إليه لم تشره.

\*\*\*

أستطيع أن أجزم بأن غالبية الناس سوف يدخلون الجنة ، فدخول جهنم قد صار أغلى بكثير مما يطيقه الرجل العادى.

\*\*\*

بحرف الميم تبدأ أسماؤهم ، أمم ستة أشخاص في حياة كل منها : الولد ، والمريض ، والمدرس ، والملتون .. ثم المغسل ومأمور ضرائب الترکات من كتاب : الكبار فقط

عن الشمس والقصب !

كتبت كثيراً عن الشمس ، ولا أظنني سازها من الكتابة عنها أبداً . شمس الشتاء العظيمة حين تستطع بعد غياب يومين وراء الغيوم ، فيلقى الرجل البرداً بذاته في أحضانها وهو يوشك

آن بذوب من فرط الشوق . الشمس الساخنة التي تتسدل إلى جوف العروق ، ونسرى فيها حتى يصبح دم الإنسان أشبه بفنجان كاكاو دافئ تحاطله لمسة صغيرة غير مس克دة من نبيذ عمر الخيام . ثم تنفذ إلى النخاع الذي في جوف العظام ، وتتغلغل في أعماق كل خلية من بلايين الخلايا التي يتكون منها الجسم ، فيشعر الإنسان كأنه سمكة سعيدة تقلى على نار هادئة في زيت التموين المدعم .

ومن عادة بعض الناس إذا جلسوا تحت هذه الشمس أن يصموا القصب ، وذات يوم كنت واحداً منهم عندما كانت أسنانى تسمع بهذا النوع من المقامرة . وبالطبع لولا وجود الشمس مكان يمكن أن يوجد القصب أصلاً لا هو ولا أي نبات آخر على وجه الأرض . وياله من عالم ، ذلك الذى ليس فيه أى نوع من النبات ، لا بسلة فيه ولا بامية ، ولاتين ولا زيتون ، ولا بانجوان ولا كوسوة وإن كنا لانجد مائعاً من الاستغناء عن تلك الأخيرة . ولا خيار ولا فقوس ولا قطة ، ولا بطاطس ولا قفاص ، ولا بطاطة بليدى يالى شموى . ولا خس ولا جرجير ولا بقدونس يفرش لك تحت كيلو الكتاب الذى أصبح ثمنه أربعة جنيهات . ولا يصل أحضر أو أبيض ، ولا ثوم تعلقه على حائط البلكونة لكتي تغطيته به من ليس عندهم ثوم ..

عالم ليس فيه - سترك يارب ! - ملوخية ولا طماطم ، فتحرم إلى الأبد من ذلك المنظر الفاتح ، منظر التناقض اللوني المبهج بين الخبرة العميقية الورق في صحن الملوخية ، والحرمة الضاحكة اللعوب في صحن الدمعة .

عالم ليس فيه والعياذ بالله ليعون بنزهير ، مامن ليمونة واحدة تعصرها على صحن البامية الذى هو باللحمة ، أو صحن الفول الذى هو بالزيت ، أو تصنع منها كوب لوناته تشربه هنيئاً مريئاً وتقول الحمد لله ، تتزود منه بفيتامين سى الذى يقيك شر الزكام فى هذا الوقت الذى أصبح المتذليل فيه بالشئ الفلانى - أو تصرها - الليمونة - فى فمك بدون ماء أو سكر لكتى تصلح بها ما فسد من معدتك بعد مشاهدتك أحد مسلسلات التليفزيون .

عالم ليس فيه - رحمتك يارب - بطيخة حمراء اللون فاقعة ، تتناول الشقة العظيمة منها باليدين وتنهشها حتى يسيل عصيرها على عنقك وينتسب إلى صدرك من خلال جاكيت بيجامتك البولين ، ثم تجمع بنورها السوداء - اللب ولا مواجهة - وتضعها فى الشمس حتى تجف ، ثم تملحها وتضعها على النار حتى تستوى وتصبح لها صالح للقرفة ، واللب تجمعه وتودعه فى قرطاس كبير من ورق إحدى المجالات الأنبياء ، وتنوجه به إلى حيث تشاهد - على صوت القرفة المطرب - مسرحية هادفة في المسرح القومى .

عالم ليس فيه - وهذه داهية الواهمى - قمح ولا زرة ، أى ليس فيه خبز ولا دقيق ، مامن رغيف زسود اللون بقراش تعريفة تسد به

## صورة سيدة نظيفة

كرجل عادي اعترف باتنى أحب منظر الأنثى وهى تمارس أوجه نشاطها ، حتى ولو كان ذلك النشاط مجرد انحصارها لكي تلتقط شيئاً ساقطاً على الأرض . لكن هناك منظراً خاصاً يستهوينى بشدة ولسبب لا أفهمه ، وذلك منظر الأنثى وهى تنشر الغسيل هناك في بلكونتها . ربما كان ذلك بسبب ما يثيره المنظر في نفسى من إحساس عام بالنظافة ، مضافاً إلى شعورى بقداسة العمل اليدوى الذى تقوم به تلك الأنثى هى بدلاً من أن تصبى الوقت فى الرغى التليفونى الفارغ دخلت إلى الحمام لرغى الصابون ، بيديها الرقيقين دعكت الغسيل ومرطته وأضافت إليه الزهرة ثم شطفته وعصرته وخرجت به إلى البلكونة - بورك في بيها - لتنتشره أمامى . وقد كان فى امكانها أن تكل هذه المهمة إلى خادمة ولكنها لم تفعل ، أى أنها ليست نظيفة فحسب ، وإنما تذكر استقلال الآخرين أيضاً .

ولعله مما يحبب إلى منظر الأنثى ناشرة الغسيل .. إن شعرها يكون فى معظم الأحيان منكوشًا متهدلاً ، وأنت تعرف ضعفى نحو ذلك الشعر المنكوش . وفي بعض الأحيان يكون ملفوفاً بايشارب ، وأنا أحب الشعر الملفوف فى الإيشارب . فى كافة الحالات أحب شعر الأنثى ماعدا حالة واحدة ربما تستغرقها ، تلك الحالة الصناعية المزعجة لحظة خروجها من محل الكوافير .

هي تتحنى فى بلكونتها على صنية أو قروانة الغسيل وقد تهطل شعرها ، تلتقط قطعة منه ثم تعدل لتجرب بها الهواء قبل أن تنشرها على الجبل . نحو الجبل تمذذ زراعتين ناعمتين تثبت قطعة الغسيل عليه ، إذ أن معظم الإناث يفضلن - سبب لا أفهمه - نشر الغسيل وهن فى قميسن نوم بمية وذى حمالات . يخيل إلى وهى تثبت القطعة على الجبل أنها تعرف على البيانو لا تنشر الغسيل ، بورك من جديد فى بيها العاملتين . وحملة القميص تنزلق عن كتفيها وتتدلى على ذراعها ، تعجز بالطبع عن اصلاحها بسبب انشغال اليدين جيمعاً فى ذلك العمل المقدس ، ويسبب علمها أنها قد تمسك قطعة الغسيل بيد واحدة لكي تعدل الحمالة فتخامر بسقوط تلك القطعة إلى الشارع معرضة إياها للبهيمة أو للضياع . كتف عارية لمدة دقيقة لن تضر أحداً ، وهاهى ذى تنتهى من تثبيت المشبك فى الجبل فسرعان ما ترفع يداً رقيقة ترد الحمالة إلى وضعها الأصلى .

ومرة أخرى تتحنى وتحتفى وراء الملاعة التى نشرتها ، ثم تظهر بقطعة جديدة من الغسيل وقد قبضت بين أسنانها على مشبك من الخشب أو من البلاستيك ، ذلك المنظر الذى لا أدرى كيف تستقبله أنت والذى بالاختصار يقتني أنا ، وبصعوبة بالغة امنع نفسى من أن أقف وأصفق وأقول ياسلام سلم .

عشرات من المرات تتحنى وتبرز بعشرات من قطع الغسيل ذات المائة لون ، مفتوناً أرقبها



كائنى ولد صغير فى يوم المولد ، وكان ذلك الغسيل تلك الاعلام المحببة التى يسحبها الحاوى من فمه مشبوبة فى ذلك الخيط الطويل.

أنا لا أرى الا تصفها العلوى لكننى اتخيل رقصة العضلات المتوربة فى ساقيها وهى تشب على أطراف أصابعها لكي تصل بتلك الفانلة إلى الحبل البعيد . وبالنسبة لقدميها فاعتقد أنها أما حافية وأما تلبس شبشبًا خاصا بالحمام الذى سوف تهرب إليه عقب انتهاءها من نشر الغسيل ، تلك الفكرة التى تضيق في نفسى ذلك الإحساس المنعش بالنظافة العامة.

وبامتلاء كافة المجال بالغسيل تقف الأثنى لتلقى عليه نظرة استعراض آخرية وفى تلك النظرة لمسة زهو مبررة لما أدى من عمل يدوى مقدس ، ذلك الزهو الذى لا تتتبه فى غمرته إلى أن حمالة القميص متبدلة منذ دقيقتين.

ثم ذلك الإحساس المرير بأن الحفل قد انتهى ، عندما تتحنى الانثنى لتلتقط الصينية أو القروانة وتخرج بها من الملاكتونة ، وفي أغلب الأحيان - وأسفاه - تلتقط الشيش ، ستار الختم الذى كان مقدرا له أن يهبط على تلك السرحة القصيرة الممتعة وعملا أنه لا مفر لها - كسيدة نظيفة - من أن تنتبه إلى الحمام لتأخذ دشًا ، أرهف سمعي لكى أسمع صوت الماء المنسكب ، ولكننى لا أنجح طبعا فاكتفى بالخيال مدى لحظة أحافظ فيها على ذلك الإحساس المنعش بالنظافة العامة ، توطئة لأن انتهت فى استسلام فلسفى صامت وأنا أردد فى نفسى قول الفرنسيين فى مثل تلك الأحوال : سى لافى !

\* إبتسام من فضلك / أخبار اليوم.



## أنوار

هذه ليست قصة حياة صديقتي أنوار، ولا هي قصة زواجهما ولكنها تسجيل أمين لنواح صغيرة من حياتها وزواجهما ، استطاعت أن أحيط بها في اللقاءات القليلة التي أتيحت لنا خلال العشر سنوات الماضية . إذ أن الفترة الوحيدة التي قضيتها في صلة دائمة بانوار كانت قبل ، أيام الدراسة، وفي ذلك العهد لم تكن حياة أنوار الجدية قد بدأت بعد . وقد افترقنا بعد المدرسة وياحدت بيننا ظروف الحياة وإن لم تقد صداقتنا ، فاقتصرت صلتنا على لقاءات متباudeة ، ورسائل جعلتها نادرة كثرة مشاغلي ، وطبيعة أنوار الخاصة التي تنفرها من إكثار الكلام حتى في الرسائل.

ولقد لقيت "أنوار" آخر مرة منذ أيام قلائل ، إذ ذهبت لزيارتها عقب عودتي من بغداد إلى القاهرة ، مدفوعة بالشوق إليها حقا ، ولكن بالفضول أيضا ، والرغبة في معرفة ماذا آل إليه أمرها . ولست أدرى متى سألقاها ثانية ، لأنني سأغادر القاهرة إلى دمياط بعد أيام وهي لم تبد أنها سوف ترد زيارتي قريبا . وقد خرجت من عندها في حالة من الرثاء الشديد لها ، والسطح على ما يمكن أن يلحق الإنسان من قسوة الأيام ، ولما كنت لا أظن أن أي لقاء آخر بيننا سيضيف جديدا إلى ما أريد أن أقول ، فسوف أجعل هذه الزيارة خاتمة للقصة التي أنا بسبيل روایتها .

(١)

أنوار التي عرفتها في المدرسة الابتدائية ، بنت في العاشرة من عمرها ، هزيلة تتحرك على

ساقين كجذوع الزهر ، ذات وجه صغير دقيق القسمات وجبين عريض ناصع البياض . وائف مستقيم مدبر إلا أنه محمر في أغلب الأحيان. أما عيناهما فمغليتان قصيرتان الاهدا . ننظران إلى الدنيا في هيبة كعيون الجرا . ويسهل شئ على الإنسان أن يجعلهما ترمشان بشدة وسرعة، وأن يرسل إلى شفتيها الحساستين تلك الابتسامة الحبية الوديعة التي تصدر تعليقا على كل قول وقد كنت أنا أكبر منها بعامين ، ولكنني أقوى منها باغوار ، فكنت أحبتها وأجد لذة في تبينها والمدافعة عنها ضد شقيقات التلميذات. وكانت أحب الشخص إليها حصة فلاحة البستين ، إذ ينتقل الفصل في الأصبهة المصححة إلى الحديقة الصغيرة خلف بناه المدرسة . فتروح أنوار تتلف حولها إلى الورود الحمراء يعلوها الندى ، والفل العاجي الشاحب، والستانير ذات الآلوان الزاهية البراقة، والجهنمية الكثيفة التي ترتصعها زهورها صبيانية شاذة، فيحمر وجهها كورود الحديقة . وتستنشق الهواء المشبع بترج الفل والياسمين ملء صدرها الهزيل ، وتبدي كأنها نقلت إلى مكان مسحور . وقد عهدت أن ألحظ عليها هذا الواقع الشديد بالطبيعة ، فكانت أتبسم نحوها رغمما مني في سرور ، وهي لا تحظظ ذلك في غمرة حماستها المرتعشة . وكانت أوزع وقتى في الفسح بين كبيرات التلميذات وبين أنوار ، التي تترزو بغيري في ركن بعيد تحت شجرة وتشرد بعينيها العسليتين الخائفتين في كتاب . وكنا إذا جلسنا سويا نروح نتكلم في موضوعات صبيانية تستصغرها سائر البنات في سننا ، ولكنها تروق لأنوار ، ولعله مما يصح ذكره أن أنوار كانت بعيدة كل البعد عن طباع الأنوثة العابثة، التي كانت تدفع صغار التلميذات مثلـاـ وـأـنـهـنـ إلى تزيين صدورهن حديثة التكوين بالشارات والتماثيل الدقيقة ، الاستدراج أنظار الفتیان الذين يتلکون عند باب المدرسة ساعة خروجنا ، أو يتصدون لنا في الطريق . فهذه أشياء لم تكن تميل إليها أنوارـ بلـ لم تكن تتنبه إليهاـ وـكـأـنـ روـحـهاـ لاـ تـزالـ مـعلـقةـ حولـ جـسـدهـاـ ،ـ لمـ تـختـلطـ بـهـ بـعـدـ وـتـنـکـسـ لـطـالـبـهـ حتىـ عندماـ بـتـ لهاـ نـهـدانـ صـغـيرـانـ ،ـ لمـ يـبـدـ عـلـيـهاـ شـيـءـ مـنـ الفـرـحـ وـالـزـهـوـ ،ـ ولمـ تـحـاـولـ أـنـ تـشـدـ حـزـامـهاـ الأـحـمـرـ أـعـلاـ لـيـضـيقـ الشـوبـ وـيـرـتفـعـ النـهـدانـ ،ـ بلـ كـانـتـ لـاـ تـكـادـ تـحسـ بـهـذاـ الـذـيـ جـدـ عـلـيـهاـ أوـ تـقـيمـ لهـ وزـنـناـ .

وقد كان هذان النهدان سبباً في فرقتنا بعد أن قطعنا شوطاً لا باس به في المدرسة الثانوية ، إذ لم تك تقرب نهاية السنة الثالثة حتى انقطعت أنوار عن المدرسة فجأة بدون انذار سابق . ولم نكن نقيم في حى واحد ، فلم أعلم من أمرها شيئاً إلا بعد أيام ، إذ كنت أخرج من باب المدرسة عصرأ مع التلميذات كالعاده ، فقابلتني بين المتظررين عينان مضطربتان تبحثان عنى في لهة بين الخارجات . فما كدت أنفرد بأنوار حتى شرحت لي بسرعة وهى تلهث كيف أنها قد أتت خصيصا

لتقابلينى ، ولتخبرنى بأنها لن تأتى إلى المدرسة ثانية أبداً . بل لن تزاني ثانية أبداً - لأن أنها قد فقر وقف تعليمها ، لسبب ذكرته لى والدم يكاد يتب من وجهها أنها قد كبرت ونبت ثدياتها . وقد صحت نبوة أنوار ، فافترقنا بعد ذلك سنوات طويلة كادت تتقطع فيها صلتنا . باستثناء رسالتين تبادرناهما ، وثالثة بعثت بها إليها فلم أتلق عليها ردأ . وكل ذلك لأن عقل أبيها لا يهضم خروج ابنته التي أشرف على النضج من المنزل ، واحتياكتها بالحياة . ولذلك لم تبدأ القصة إلا بعد سنوات عديدة من الفراق ، حين التقينا مصادفة وكل منا امرأة ناضجة .

كان ذلك سنة ١٩٣٦ ، في ذات صباح وضاء من شهر سبتمبر ، وأنا حديثة العهد بمهمة التدريس التي اختذلتها لنفسي بعد أن تخرجت في كلية الآداب ، وكانت أسير في شارع قصر النيل أمام البنك الأهلي ، إذ طالعني وسط الزحام وجه لا تصعب على معرفته رغم أثر السنين عليه ، وجه لا يزال نحيفاً دقيقاً ، وأنف لا يزال مدبوباً حساساً - وإن لم يعد محمراً - ووجبين عريضاً أبيضاً . وعينان عسليتان قد طالت رموزهما إلا أنهما لا تزالان تقلبان هنا وهناك في استطلاع صبياني حائر . وقد كانت مفاجأة لي أن أرى هذا الوجه فجأة على جسم امرأة ناضجة ، ولكنني ذكرت أن لأنوار هي الأخرى حقاً في أن تكبر وتتضخم ، فسرعان ما كنت انقضت عليها لأعانقها واقبلها ، وهي ترتد في ذعر - حتى بعد أن عرفتني - مستنكرة لهذا الإسراف في إعلان العواطف . لذلك لم أظفر منها بأكثر من ضمة سريعة ، وقبلاً على خدها الذي كان أحمر متقدماً من نسمات الخريف الباردة وحماسة اللقاء وكانت لا تبرح تختلس النظر إلى سيدة كبيرة غارقة في السواد واقفة بالقرب مما تبتسم في سرور ، وهي محملة بنصف اللقائف والربطات التي تحمل أنوار نصفها الآخر . وقد علمت ساعتى أن هذه أم أنوار ، وأننى لو تركت البنات لخجلها وارتباكتها الواصلت السير مع أنها ، وافترقنا أعواماً أخرى . لذلك توجهت إلى المرأة فوراً وحدثتها بأمرنا ، راجية إياها أن تتخلى عن ابنتها ساعة تقضيها وحدنا . الحال ما وافت السيدة الطيبة بسهولة لم أتوقعها (لأنها أنوار كان قد مات منذ ستين كما علمت فيما بعد ) ، ثم انصرفت عنا حاملة كافة اللقائف .

أخذت بذراع أنوار وتحركنا ناحية ميدان سليمان باشا ، وهي تخترق الزحام بمشيتها الهادئة المتسللة ، راغفة رأسها الصغير إلى أعلى وقد انتصب ظهرها ، لا تنظر يميناً أو شمالاً ، ووجهها لا يزال محمراً من تأثيرها باللقاء المفاجئ . وكانت تلبس تايوراً أبيضاً واسعاً الأكمام يكشف عن فستان خفيف الربوة ، وساقاها مخفقيتان في جورب ثقيل ، وشعرها الكستنائي القاتم لا يغطيه شيء ، وهو بين الخشونة والنعومة قد وضع على رأسها في غير عناية ، تمسكه فريكة سوداء في كل جانب . فأنوار الكبيرة إذن هي أنوار الصغيرة ، التي - مكتفية بالقدر الذي عندها من الأنوثة - لا تزيد أن تفرض تلك الأنوثة على الناس فرضاً ، والتي تجد شجاعة على أن تجتاز شارع قصر النيل

في الأصبهة الزاعية وليس بها اي اثر للروج او حتى البويرة . وانا ايضا لا اسرف في التزيين ، وإن كنت أطل على شقتي أحبابا بروج خفي ، ولا أكره قليلا من البويرة . لأنني أقرب من أنوار إلى السمرة . على أنني لم أكن استنصر أنوار لأنها لا تزيين ، ولا كانت هي تحقنني لأنني أفعول .  
 وفي ميدان سليمان يasha وقفنا نتساءل أين نذهب ، فاقتربت أنا الهرم ، لمعرفتي أن هذا يسر أنوار ، ولأنني أريد أن انفرد بها بعيدا عن الزحام الذي يزعجها ويربكها . فلم ثبت أن كنا في تاكسي يترافقون بنا على ذلك الشريط الأسود النافذ إلى آخر البصر ، بأعمدته وسلوكيه اللامعة وأشجار الكافور على حافتيه ، وتلك الحقول الخضراء المتموجة التي تمتد إلى الأفق في كل جانب . وسرعان ما بلغنا ميناهاوس ، وصعدت السيارة بنا ذلك الطريق الذي ترافق معه قمة الهرم الأكبر ، ولا تزال تكبر شيئا حتى تطلع عليك كثرة الهيئة الداكنة ، راسخة على الأرض الصخرية وقد نفذت ضلعوها الشائكة القاسية في زرقة السماء ، وفي صدرها ذلك الحجر المظلم الذي يخرج الناس منه ويدخلون كأئمهم التمل في الأعشاش . لم تطل أنوار النظر إلى الهرم ، إذ لم تكن تحب الفراعنة بما سمعت من سحرهم ولعناتهم ، فماولته ظهرها ووقفنا على حافة ذلك المنحدر الصخري الذي تقع عند أقدامه سهول الجولف الخضراء ، وقد أحاطت أشجار الجوزرينا الهيئة التي تبدو من هذا الارتفاع كأنها لعب رشقتها في الرمال الصفراء يدا عملاق . وعلى هذا السفح تهب رياح قوية لها في الأذن حفيظ كأنه صوت ألف طاحون ، وهي باردة قوية تحمل كل الرطوبة المنشطة التي تلمع في الفضاء الأزرق الشفاف . ووراء المباني القليلة القريبة ، كانت تتبعس أماما خضرة متراصة لانهاية لها ، تمتزج عند الأفق بزقة السماء فتبعد العين كأنها ضباب أزرق لين . وفي نقط متباعدة من المنظر ، تتكاثف أشجار الجوزرينا وتكون غابات مسورة الخضراء وسط حقول القطن والبرسيم الزاهي .

نظرت أنوار إلى كل ذلك ثم قالت الله! ممدودة عميقة صنارة من قلبها ، ووقفت مذهولة تدم وجهها وتفتح صدرها للريح ، تزيد أن تفني في المنظر فناء ، ثم التفتت إلى تقول في غير مرارة : -أهوا الواحد لو كان يسكن في حنة زى دي ماكانش عمره يزهق أبدا ..مش زى العباسية اللي تقرف . الواحد يبص حواليه مايشوفش إلا بيوت في بيوت ..مافيش إلا بيوت في بيوت .. مايفيش جنس حاجة خضرة الواحد يبص لها .. حتى كان فيه ورا بيستنا نخلة ناشفه وتتركت ، قطعواها من جمعه! .

وسكتت إذا لحظت إنها اسرفت في الكلام ، وهمت بأن تخوض ثانيا من نوبتها التأملية ، ولكنني جذبتها من ذراعها سريعا وقدتها نحو الهرم ، إذ أنني كنت أعرف أين نذهب : هناك وراء الأهرام الثلاثة وأبي الهول ، إلى ذلك التل الرملي المرتفع الذي ترسم الرياح عليه خطوطا جميلة

ناعمة . وتبعد فيه ثقوب صغيرة من أثر أقدام مجهمة صعدت إلى قمته مريضة ثم اختفت . وكانت كثيراً ما تذهب إلى هذا التل حينما أحنت إلى الوحدة والبدو وإحساس المغامرة .  
درنا حول البرم الكبير ، واخترقنا الحفائر وقبور القرية القريبة . ورحنا نقفز على الصخر نحو ذلك التل حتى يلغناه ، فحضرنا بآقادمانا وأيديينا في رماله الناعمة الدافئة ، وانتهينا إلى آخره الذي تبسط ورائه أرض مرتفعة تصير صخرية بعد قليل ، مؤدية إلى فسحة الصحراء . وهناك وقفت أنوار تتنعم من جديد باستقبال الرياح الباردة المنعشة ، ثم هتفت :  
ـلو كان الواحد يعرف يطير!

وأشارت بذراعها إلى سهول الرمال الصفراء البسيطة كأنها ملاعب الجن ، وفيها اطلاق الحفائر ، ورأس أبي الهول ، والأهرام الثلاثة العمالقة تعلق في صبر قديم تحت حرارة الشمس ، نافذة بقمعها المتكللة في زرقة السماء .

قدت أنوار إلى سفح ظليل هناك ، وجلسنا على الرمال الناعمة وشرعنا نتحدث ، فعلمت منها أنها لم تدخل أيام مدرسة أخرى بعد افتراقنا ، وأنها رغم ذلك - ورغم سخرية أبيها - كانت تكثر من القراءة والإطلاع . ثم إنني سألتها مداعبة عن السبب الذي منعها من الزواج حتى الآن ، فأخمر وجهها وابتسمت ، ولم نفه بالكلمات التي تراوحت على شفتيها . فهمت بأن أسألالها أن كان لها أقارب يصلحون للزواج ، ولكنها قاطعتي قاتلة بصوت منخفض كمن يذيع سراً :

ـما خلاص !

ـخلاص إيه !

ـفازداد أحمرار وجهها وقالت ضاحكة :

ـبعد جمعتين اتنين حاجوز .

ـجمعتين ! بالذمة صحيح ؟ أمال مش لابسه خاتم الخطوبة ليه؟.

ـلازم يعني كل الناس تعرف أتني مخطوبية؟.

ـأما أنتي ! ده فيه بنات بتتجوز مخصوص عشان الناس تعرف وصنعة خطيبك ليه؟.

ـموظفي ابظر فين .

ـكبير ولا صغير؟ حلو ووحش؟.

ـإلا كده !

ـإلا كده ليه؟.

ـهو أنا شفتك !.

ـشفتك ! أمال حاتتجوزيه ازاى؟.

فابتسمت أنوار وقالت وهي تنخل الرمل بين أصابعها في خيوط رفيعة

-اهو جه كلم خالي وخلاصن.

-طب مش خالك خذ رأيك؟.

-ايوه.

-ووافتني من غير ماتشوفيه؟.

فلم تجب أنوار ، ولكنها ضحكت فجأة ضحكة طويلة منخفضة متهافتة ، والقت برأسها إلى الوراء وقد ذكرتني هذه الضحكة بأتوار التي عرفتها في المدرسة ، ففاضت محبتى لها ، ولكننى وجدت في تلك الضحكة من الاستسلام والسلبية ما لم يسرنى ، فعدت أقول:

-طب ما شفتيش صورته؟.

-شفتها.

. ٤٥-

-اهو راجل زى بقىمه الرجال.

ولوحت بيدها في استخفاف . وكانت أنا في ذلك الوقت حديثة العهد بالحرية والاستقلال فخورة بعصريتها ، فرحبت الوالها على قبول الزواج من قبل لم تره ، وأشارت لها أرائى في مساواة المرأة والرجل ووجوب استكمالها كافة حقوقها المسلوبة. غير أتنى خفت من غلواتي ورأيت أن أستوثق أولا هل لا يزال زواجهما مشروعًا يمكن تداركه ، أم قد صار امرأً قد انتهى ، فهناكها ورجوت لها السعادة . وكانتما أحسست هي بما يساورنى في شأن زوجها المقرب ، فراح تذكر لي من طريق غير مباشر شيئاً من محاسنه ، كيف انه في وظيفة أنه لم يتدخل في عملية اختيار الجهاز كما يفعل بعض ثقالاء الأزواج ، وأنه رضى بأن يسكننا في العباسية لتكون انوار قريبة من امها رغم أن في هذا مشقة عليه لبعد العباسية عن مقر عمله ، وهكذا . وكانت تتكلم في تحفظ كعدها ، ووجهها محمر ، وصوتها متوجع يتكلس أحياناً من جهد الرواية حتى أنهت ما عندها فسكت ويدها تتقبض على الرمال في عصبية ، وتاهت أعيننا في الإياد الصفراء حيث تنفجر صخور الأطلال بعيداً عن ثغرات سود كأنها عيون الدهور الغابرة.

لقد كنت أحب أنوار حباً شديداً ، وأخاف أن تقع بين يدي حيوان غبي يذوى روحها الشفافة بقلقه ، ويختنق حماستها الصبيانية الساذجة . لذلك لم أتمالك رغم ما سمعت من أن أقبض فجأة على معصمها الملقي على حجرها وأقول في صوت خطير.

-اسمعي يا أنوار .. إوعى تتجوزى واحد مش عاجبك .. افتكري أتنك مش حاتقدردى معاد يوم ولا اتنين .. دى عشرة العمر كله .

فضحكت أنوار من انفها ضحكة صغيرة كاتتها زفرا ، ثم هزت كتفها قائلة، يا شيخة ! ولم تزد . ولكنني علمت أن المخاوف التي تساورنى فى أمرها قد ساورتها هي الأخرى ، إذ رأيت الضحك يغىض من وجهها رويدا ، ولا يبقى منه أثر إلا فى ابتسامة صغيرة نرتعش بها شفتاها الحساستان فى هيئة لاتخلو من الألم.

قلت لها :

ـ أهلك ميسوطين منه طبعا؟.

فأتجابنى بابتسامة من فوق كتفها ووجدت لزاما على أن أكبح جماح ثورة كبيرة تضطرم فى نفسى وتريد أن تنصب على نظام بأسره . وكانما لحظات أنوار ما بنفسى فإذا بها تهتز فجأة وتضحك ضحكتها الطويلة المتهافة حتى يبدو لحم أسنانها ، ثم تقول ورأسها مائل إلى الوراء :ـ انتى باینك فاكراه مفيش اوخش منه أبدا!.

فسرتني هذه الضحكة المرحة ، ورأيت الفرصة قد ستحت لاستدرارك ما أنسأت به إلى هذه الفتاة التي لا حق لي في تشبيبها . قلت :

ـ أيوه قولى كده .. أنتى عجبتك صورته يالثيمه وعشان كده رضيتي به ..

وحديث نفسى بأننى مخططة فى تطبيق أرائى على أنوار ، وانها لن تجد صعوبة فى الملامة بين نفسها الوديعة وبين جوها الجديد ، بل ولن تجد ضيرا فى التخلى إذا دعا الأمر عن أحلام صبيانية لم يتحقق لها أن تتحقق . وهكذا دخل الحديث فى نوبة مرحة ، فسألتها هل سيقيمون فرحا أم لا ، فاجابت بالنقى وبأنها هي ذاتها تكره الأفراح فلما صورت لها مباريج الزفة وكيف أنها ستجلس فى كوشة جميلة والشمعون حولها والبرد ينتشر عند أقدامها وكيف ستحيط بها النظارات الحاسدة إذ تسير متابطة نزاع زوجها على دقات الطبل ورنين الزغاريد نحو غرفة الزوجيةـ لم تحب على كل هذا الا بقولها «اخسن» وهي تنظر إلى عينيها العسليتين من فوق كتفها نظرة استثنكار غير مصطنع.

ولم يطل جلوستنا بعد ذلك، إذا ارتفع قرص الشمس ملتهبا قاسيا وكشف السفح الذى كان نجلس فى ظله ، فقمنا لنعود . وبينما نزلت أنا أغوص فى رمال التل اللينة الساخنة، تخلفت أنوار لتتملى بنظراتأخيرة من المنظر . ومن مكانى فى أسفل السفح رأيتها بجسمها الصغير منطبع على زرقة السماء ، والرياح تنفع التايرور الأبيض وتلمسق الثوب بيديها وتظير شعرها ، وتوشك أن تطيرها كلها . فبيمنا أنا أنظر إليها هكذا أردت أن أضحك . لأن أنوارـ كما خيل إلى فى تلكلحظةـ لم تخلق لكي تتزوج . أنها مخلوق رائع يستطيع أن يجد متعته على قمم التلال حيث الواقع هناكـ كما أخبرتني بنفسها مرةـ فى مواجهة الريح يستطيع أن يدعها تصر عليه دون أن

يسمع صوتها ، وذلك بان يقابلها بجانبه وباتن واحدة فـى حين ان من يقابلها يجمع وجهه وبأذنها تمر عليه بصوت كقصص الرعد ولكنها لم تخلق لکي تتزوج ، وأن الرجل الذى يستطيع أن يغفر لها دقة جسمها الأبيض الرخو . ونظرتها المسائلة الهيابة التى ستؤمن بكل ما يقول فى سبيل روحها الشفافة ، لم يخلق بعد.

وأخيراً تحركت أنوار لتهبـط من علـيـانـها . نـاقـلةـ خطـوـاتـ بطـيـنةـ عـلـىـ الرـمـالـ الـلـيـنـةـ الـتـىـ تـشـفـطـ الـأـقـدـامـ ، ولـكـنـهـاـ لمـ تـسـتـطـعـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ بـطـنـهـاـ وـاضـطـرـتـ لـأـنـ تـنـتـلـقـ فـىـ جـرـىـ مـتـعـثـرـ وهـىـ تـلـوحـ بـذـرـاعـهـاـ فـىـ الـهـوـاءـ ، غـيرـ حـافـلـةـ بـمـاـ يـصـبـبـ حـذـاءـهـاـ وـثـيـابـهـاـ مـنـ التـلـفـ ، وهـىـ تـنـتـظـرـ فـوـقـ كـنـفـهـاـ نـحـوىـ لـتـرـىـ أـثـرـ عـلـمـلـهـاـ عـلـىـ ، وـكـنـتـ آـثـمـ أـضـحـكـ وـأـسـفـقـ لـهـاـ .

وفـىـ ذـلـكـ الـيـوـمـ اـفـتـرـقـنـاـ عـلـىـ آـنـ آـزـورـهـاـ مـرـةـ قـبـلـ أـسـافـرـ إـلـىـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ حـيـثـ كـنـتـ أـعـمـلـ ، وـكـانـ مـقـرـأـ أـنـ أـسـافـرـ بـعـدـ ثـلـاثـةـ أـسـابـيعـ .

فـىـ أـوـاـخـرـ سـبـتمـبرـ ، حـينـ لـمـ يـقـعـ إـلـاـ يـوـمـانـ عـلـىـ سـفـرـىـ ، ذـهـبـتـ لـأـزـوـعـ أـنـوـارـ وـكـانـتـ قدـ اـعـطـتـنـىـ عنـواـنـ بـيـتـ أـمـهـاـ فـىـ الـعـبـاسـيـةـ . فـمـاـ كـدـ أـطـرـقـ الـبـابـ حتـىـ فـتـحـتـ لـىـ اـمـرـأـ كـبـيرـةـ عـرـفـتـ فـيـهـاـ آـمـ ، أـنـوـارـ ، الـتـىـ قـاـبـلـتـنـىـ فـىـ الطـرـيقـ مـعـهـاـ ، وـكـانـتـ تـلـبـسـ ثـوـبـاـ أـسـوـدـ طـوـيـلاـ وـحـولـ كـنـفـهـاـ شـالـ صـغـيرـ ، فـلـامـ عـرـفـتـهـاـ بـغـايـيـتـيـ قـالـتـ:

ـدـىـ رـاحـتـ بـيـتـ جـوـزـهـاـ مـنـ جـمـعـةـ يـاـ حـبـيـبـتـىـ . عـقـبـالـ عـنـدـ حـضـرـتـكـ ! وـدـعـتـنـىـ لـأـنـ آـدـخـلـ وـاستـرـيـجـ ، وـأـلـحـتـ فـىـ ذـلـكـ ، وـلـكـنـىـ شـكـرـتـهـاـ وـأـخـذـتـ مـنـهـاـ عنـواـنـ أـنـوـارـ ، وـكـانـ فـىـ شـارـعـ قـرـيبـ .

لـمـ أـسـأـلـ عـنـ مـوـقـعـ شـقـقـ أـنـوـارـ مـنـ الـعـمـارـةـ رقمـهـاـ فـىـ ذـلـكـ الشـارـعـ ، إـذـاـ لـمـ أـرـ فـىـ بـلـكـونـاتـ المـنـزـلـ كـلـ قـصـارـىـ زـرـعـ إـلـاـ فـىـ الطـابـقـ الـأـوـلـ ، فـقـصـدـتـ إـلـيـهـ مـنـ فـوـرـىـ .

فـتـحـتـ لـىـ الـبـابـ خـادـمـةـ صـغـيرـةـ ، سـأـلـتـهـاـ عـنـ سـيـنـتـهـاـ فـقـالـتـ أـنـهـاـ مـوـجـودـةـ ، وـأـرـادـتـ أـنـ تـلـعـمـ مـنـ أـنـاـ حـتـىـ تـخـبـرـهـاـ ، وـلـكـنـىـ كـنـتـ أـعـرـفـ أـنـ زـوـجـهـاـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ مـوـجـودـاـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ ، فـأـنـجـيـتـ الـخـادـمـةـ عـنـ الطـرـيقـ وـدـخـلـتـ مـنـ فـوـرـىـ اـجـتـازـ الصـالـةـ ، حتـىـ وـجـدـتـ عـنـ يـسـارـيـ غـرـفـةـ مـنـيـرـةـ ، وـرـأـيـتـ رـأـسـ أـنـوـارـ يـمـيلـ لـيـسـتـطـلـعـ الـخـبـرـ ، فـدـخـلـتـ عـلـيـهـاـ . كـانـتـ تـجلـسـ عـلـىـ شـيـزـلـوـنـجـ مـنـخـفـضـ بـنـىـ اللـوـنـ وـهـىـ تـلـبـسـ قـمـيـصـ نـوـمـ وـرـديـاـ فـضـفـاضـاـ ، وـقـدـ بـرـزـ ذـرـاعـهـاـ أـبـيـضـنـ نـحـيفـينـ ، وـأـنـقـشـ شـعـرـهـاـ حولـ وجـهـ شـاحـبـ قـلـمـ تـكـدـ تـرـانـىـ حتـىـ بـدـتـ فـيـ عـيـنـيـهاـ نـظـرـةـ فـزـعـ مـنـ المـفـاجـأـةـ ، وـأـحـمـرـ وجـهـهـاـ إـلـىـ جـذـورـ شـعـرـهـاـ .. وـلـكـنـهاـ سـرـعـانـ مـاـ بـسـطـ سـاقـهـاـ الـمـثـيـةـ تـحـتـهـاـ وـأـقـبـلـتـ نـحـوىـ تـعـثـرـ لـتـصـافـحـنـىـ .

فـتـجـاهـلـتـ يـدـهـاـ وـأـنـبـقـتـ عـلـيـهـاـ أـوـعـانـقـهـاـ وـأـقـبـلـهـاـ صـانـحةـ :

ـصـبـاحـ الـخـيـرـ عـلـيـكـيـ يـاـ أـنـوـارـ ، أـلـفـ مـبـرـوكـ يـاـ حـبـيـبـتـىـ !

فـأـقـعـهـاـ هـذـهـ الـحـمـاسـةـ فـىـ اـرـتـبـاكـ حتـىـ لـمـ تـدرـ مـاـذـاـ تـصـنـعـ بـىـ ، ثـمـ دـعـتـنـىـ لـلـذـهـابـ إـلـىـ غـرـفـةـ

الجلوس فرفضت ، وجلست بجانبها على الشيرزلونج ، انقل بصرى بينها وبين أثاث غرفتها . وكان وراء الشيرزلونج سرير عريض منخفض من الخشب ، وفي ناحية من الغرفة دولاب كبير بمرأة . وفي ركن آخر تسريرحة صغيرة يامع على مرأتها الآن شماع رفيع من الشمس . لم يكن جهاز أنوار شديد البذخ ، ولكنني أحببت الغرفة الوديعة كلها كما أحببت صاحبها .  
غير أنني خفت من حماسى عندما نظرت إلى أنوار فوجدت شاحبة هزيلة ، تحيط بعينيها العسليتين هالتان زرقاوان ، وقد غار خداها وأعتبرت شفتها السفلية رعدة خفيفة . أنها ليست على ما يرام ، وقد أخطأت بالتهمج عليها هكذا .  
رويت لها كيف ذهبت إلى بيت أمها أولا ، وكيف عرفت شقتها بعد ذلك من قصارى الزرع ، ثم قلت :

-احمدى ربنا بقى ياستي ، أدى جنب بيتك نخلتين مش نخلة واحدة وكانت هي تصفى صامدة باتسامة كبيرة ، فلم أكدر أقول هذا القول حتى صاحت فجأة .  
-قرف قرف ! ده نخل ده؟ .  
وكان سخطها على النخلتين أكثر مما يبرره الحال ، كأنها انتهت الفرصة لتصب غضبها على شيء ، فارتقطعت أنا في جلستي لاري فناء صغيرا بين مبانى منخفضة تقوم به النخلتان التعستان ، ثم عدت أوجه إلى أنوار نظرة فاحصة متسائلة .. إن حال العرائس لا يكون هكذا بعد أسبوع من الزواج ، فماذا حدث لها ؟ لقد عرفت مقدما أنها ستتجدد مفاجأة في الزواج ، وقد تكون صدمة ، ولكن لماذا هذان الخidan الغائران والنظر المذررة؟ .

قلت لها مستترجة :  
-أظن دلوقت بقى بتخرجى على كيفك وتعوضى اللي فات . نفسك فى الهرم تروحى ساحبة جوزك على هناك..

فقالت في حمية وعياتها مقلوبتان إلى داخلها :  
-هرم ؟ هو ده بتاع هرم .  
وتقلصت شفتها في احتقار ، وأحسست أنها أن الأمر أخطر مما توقعت فقلت وأنا أدفعها برفق :

-قومى وربينى صورته قومى .  
فابتسمت دون أن تتحرك ، كأنها لا تتوى أن تلبى طلبى . فلما رأت إلحادى ، نهضت متثاقلة وهي تقول بضمكة عصبية مزدرية .  
-يعنى حاتشوفى فيها إيه كده ؟ .

وقصدت إلى الدولاب تفتحه وتغور بصورة كارت بوسطال بنية اللون ناولتنى إياها في تردد، وهي تتحقق في وجهي بشدة لترى ماذا سيبدو على الحق أنتي ما كدت أرى الصورة حتى خاب أهل وثقل قلبي ، إذ كان الرجل أنسخ بكثير مما نصورت . . رجل أسمر كبير الرأس لا يقل بحال عن الأربعين ، ذو شفتين غليظتين وشارب أسود مربع ، وهو يلبس طربوشًا مستقيما فوق رأسه فيقطى نصف جبينه ، وفي إحدى عينيه نظره غبية مفروزة ، وفي الأخرى حول خفيق .. إنه مثال الزوج الذي تخونه زوجته كل يوم - إذا كانت من يخن.

عملت على إخفاء خيتي ، وجاهدت حتى قلت في ابتهاج:

ـ يا روحى يا روحى ! والتبى باين عليه راجل طيب .. وشكله طريف كمان !

ولكن أنوار مخلوقة شديدة الحساسية ، وقد عرفت أنها قرأت مما بنفسي في الحال ، فنتشتت الصورة من يدي في دعابة مصطنعة ، وعادت بها إلى الدولاب تمشي متثاقلة على شبشبها الوردي ذى الكعب العالى وعند الدولاب غابت أكثر مما يحتاج الأمر.

أحسست بالغيط يتملكنى فجأة . فائى شيطان جعل أنوار تتزوج هذا الرجل ؟ تتزوجه لتقضى معه حياتها ؟ أنه لا يبدو مؤذيا ، ولكنه ممل ملاقا قاتلا . وقد لا يكون الذنب ذنبه فى شيء من ذلك ، ولكن ما ذنب أنوار ؟ أنتي لأنظر إلى النختين الجافتين المفترتين اللتين تشترف عليهما هذه الحجرة المنعزلة ، فأفهم السر فيما أصاب أنوار ، وأشعر بشيء من الاحتقار لها على خضوعها المشينة غيرها في الزواج بهذا الرجل ، قلت لها من حيث لا أدرى ، كاتنى اتشفى .

ـ أمال إياك تجدعنى وتجببى لنا دغرى عيل حلو كده زى أبوبه ! .

ولم أدر لماذا قلت ذلك ، فنظرت بعده إلى ظهر أنوار الثالثة في قميصها الفضفاض ، وفاض بنفسى شعور بالندم والرثاء . ولأول مرة لم ترد أنوار على كلامى بشئ ، بل ظلت صامتة تولينى ظهرها ، وتعبث بيدها في الدولاب المفتوح . فنهضت أريد أن أقصد إليها وألسها ، ولكن الخادمة

الصغيرة أقبلت في تلك اللحظة تقول:

ـ ستي .. خلاص قطعت اللحة ...

فأغلقت أنوار الدولاب وانشأ لتخرج ، محاولة الا تعطينى وجهها ولكننى لحظت رغم ذلك ما أصاب شفتها السفلية ونقنها من رعدة متواترة ، ولتحت في عينيها العسليتين العاجزتين - لشدة الملى - دموعا مكبوبة ثم خرجت أنوار مسرعة وراء الخادمة ، وكعب الشيش بش العالى يلتوى تحت قدميها .

(٢)

لمدة عام كامل لم أتصال بانوار ، لأننى كنت في الإسكندرية ، ولم أكتب إليها لأننى لم أدر ماذا

أقول لها . فلما كانت اجازة الصيف لم أسافر إلى القاهرة . بل قصدت إلى رأس البر لتمضية الصيف . عند ذلك قررت أن أكتب لها ، وطللت زمّنا لا أتلقى منها ردا على رسالتي . ثم وصلتني كلمة صغيرة حية كصاحتها تقول إنه لم يجد عليها أكثر مما أعلم ، ولا ينتظر أن يجد . ثم أنقضى عام آخر . فلما كانت اجازة الصيف التالية سافرت إلى القاهرة ولكنني لم أمكث بها إلا أياماً قليلة ، وكسلت عن زيارة أنوار ، فلما عدت إلى الإسكندرية ندمت على تصويري ، ولكن لحسن الحظ لم يطلب ندمي ، إذ لقيتها هناك .

ذهبت مرة إلى بلاج جليم لأمضي اليوم في كابينة بعض الأصدقاء ، فيبينما أنا أخوض الرمال وسط المظلات المتزاحمة التي يرتمي تحتها المستحبون بضمحهم وضجيجهم والواتهم الزاهية ، وجدتني وجهها لوحة مع أنوار ، وكانت تجلس على الرمل تحت مظلة بنية اللون في فستان أزرق كعادتها ، وحول رأسها «إشارب» وردٍ فاتح ، وقد استندت إلى كرسٍ قماشٍ مفروضٍ في الرمال ، باستطعة ساقيها وعاءدة ذراعيها على صدرها ، تنظر في شرود إلى البحر . لم ترني أول الأمر ، ولكن حساسيتها الشديدة دلتها إلى أن هناك من ينظر إليها فالتفتت نحوه ورأته ، فففرت إلى عينيها تلك النظرة الفزعية التي تعرف في عيون الخجولين حين يفاجئهم الناس . ولكنني لم أمهلها ، بل قصدت إليها أخرجها كعادتي بالعنق والتقبيل ، ثم صافحت أنها التي كانت تجلس بجانبها في ثوب أسود كعادتها ، وعلى رأسها طرحة سوداء أيضاً . وقد عرفت أنهم في الإسكندرية منذ ثلاثة أسابيع ، وأنهم لن يمكثوا إلا أسبوعاً آخر . ثم سألتها عن زوجها فأشارت إلى البحر قائلة أنه يستحم . قلت لها :

ـ وانتي ما بستحميش ليه؟

ـ فقالت تظهر الاستسلام:

ـ معرفش أعمّـ

ـ وهو الواحد عشان ينزل البحر لازم يكون يعرف يوم؟ـ

ـ فابتسمت أنوار ولم تجب ، ولكنني ألحقت عليها فقالت:

ـ يعني عايزاني أطلع عرياته قدام كل الناس دي؟ـ

ـ فلما أكدت لها أن هؤلاء الناس لن يتذكروا كافة مشاغلهم ويترغبون للنظر إليها إذا قلعت ، قالت لي غيط:

ـ ما بستحمساش وخلاص!

ـ وزغردت لى وأحمر وجهها ، فقلت لها «بابا» وتظاهرت بالغيط أنا الأخرى ، فقالت لى في صوت منخفض:

- أصله هو ما يحبش آني استحمرى فى البحر.

ولكن أنها سمعت قولها فابتربت متهدية:

مانصدقيش يختى .. بنتى كدابة!

فانطلقت من أنوار تلك الضاحكة المتهاقة إذ أحست أنها ضبطة ترتكب إثما ، واسترسلت  
أمهما:

- لسه قبل ماحضرتك تيجي كنا فى الحكاية. سى إبراهيم افندي نفسى غلب يقول لها تنزل  
معاه وهى اللي مش راضية .. انكرى كدها.

وكانت أنوار فى نهاية ضحكتها وقد تعرى لحم أسنانها واجتمع الدم فى وجهها وبدت جميلة  
في شعورها بالذنب ، فاستمرت أمها:

- أصلها يا ستي متمشيخه شوية اليومين دول!  
- ازاي بقى؟.

- صلا إيه وصيام إيه.. وتسبيح إيه! وده حرام وده حلال .. حتى الكلام بطلته آل مايصحش  
تجيب سيرة الناس وهم غابيين . ولوقت تقولى لها استحمرى تقول لك حرام..

وكانت السيدة إذ تتكلم تلوح بيدها فى غيط ، ورأسها يتمايل استهزاء فى طرحها السوداء  
وتحاججها يهتزان كعادتها زيادة فى التعبير. قالت أنوار وقد بدا أنها فخورة بما سمعت:  
- أنا طول عمرى بصلى وأصوم.

فقالت أمها:

- أيوه لكن مانتيش تصبحى م الفجر تقرى دلائل الخيرات !حاكم يابنتى عيلتنا فيها عرق  
مشيخة.. الله يرحمه أبوها كان راخر مايعرفش إلا السبحة والسباحة والجامع.

ودراحت تروى لي طرائف عن الأدب ، ثم عن البيت ، وأنوار تصفعى بابتسام صامت ، وأنا أنتظر  
إلى ما ييدو عليها من اقتناع بحالها دون أن أدرك ما أدركت فيما بعد من خطورة نظرتها إلى  
الموضوع.

وفي ذلك الصباح أطلت الجلوس معها عمدأً لكي أرى زوج أنوار عندما يعود من البحر ، ولكنه  
لم يعد سريعاً ، وأتى بعض أصدقائى يستعجلون عودتى ، فتركت أنوار بعد أن اتفقت معها على  
القاء عصرأ.

كانت الساعة بعد السادسة بقليل عندما التقينا فى محطة الرمل أمام التريانون حيث تلتقي  
ترامات المدينة الزرقاء بضجيجها ، فيتجه بعضها إلى شارع المسلة ويغوص فى قلب البلد ،  
وينعطف البعض الآخر ناحية تمثال سعد زغلول الذى يقف بكلتله السوداء اللامعة فى ضوء

الأصيل . شامخا نحو قلعة قايتباى حديثة الترميم ، التى تتوجل فى بحر المينا الشرقية الهدى فوق رصيف صخرى مستطيل.

وقفنا نتسائل أين نذهب ، وأنوار ترفض كل ما أعرض من مشروعات الذهاب إلى كازينو الشاطئى أو أى كازينو آخر من التى تكثر فى الإسكندرية ويكثر فيها الناس . إذن أين نذهب ؟ أمسكت أنوار بذراعى تضغط عليه فى اعتذار عما سبق ، ثم نطق :

أنا عارفة حتا حلوة قوى !

وكانت صحبتى لأنوار قد علمتى أن نبيب تلك «الحطة الحلوة» التى يشرط فيها أول كل شى أن تكون مفقرة جراء ، ينبع اليوم فى شقوتها ، وتلتقط وطاويتها الوجه . ولتكن استسلامت لأنوار ، فركبتا تراما وقع اختيارها عليه ، وسرعان ماكنا تتراءج فى شارع التتويج بين صفين من العمارات الكبيرة التى تنفرج جهة اليمين عن ثغرات صغيرة يبدو منها البحر مسدوأً بسوره الصخرى المرتفع . وأخيرا ملاك خياشيمنا رائحة غنة نفاذة ، وانعطاف الترام بنا نحو الانفوشى ، ليسيركين صف من بيوت عتيقة مهدمة ، وبحر هادئ فسيح رصت على ساحله الضيق هيكل سفن كبيرة فى مرحلة البناء ، وأولاد البلد رجالا ونساء وأطفالا يتربعون على سوره الصخرى المنخفض هناك يأكلون الترمس وينتحتون أكواز النرة المشوى .

انتهينا أخيرا إلى ميدان رأس التين الفسيح الذى تتصدره حديقة خضراء زاهية ، وتنتشر فيه أشجار النخيل الفاخرة التى يلفحها هواء البحر القوى ، فيتضارب سعفها ويلمع فى ضوء الأصيل الذى صار ذابلًا شفافا . وهناك نزلنا ، واتجهنا إلى البحر الذى يحده فى ذلك المكان سور حديدى مصدى ، ففى طريق مرتفع تشرف عليه بناء هائلة رفع عليها العلم المصرى وشد حولها سياج من الأسلاك الشائكة . ولم يكن فى هذا الجزء من البحر أى أثر لبلاد رملى ، والشاطئ يتكون من صخور خضراء زلقة يقف عليها بعض الصيادين يحملون سناراتهم وقد رفعوا نيلولهم وعقدوها على خصورهم ، والأمواج الضعيفة تضرب أقدامهم وتبل سيقانهم حتى الركك . فلما أوغلنا فى الطريق المرتفع أخذ الشاطئ يضيق ، حتى اقتربنا من نهاية الطريق إذ ينبع إلى اليسار ويختفي وراء البناء الكبيرة فى اتجاه المينا ، فانقطع الشاطئ كليا وصارت الأمواج ترتطم مباشرة بالجدار الصخرى الذى يكون جانب الطريق ، وهى كبيرة قوية متلاحدة ، تفوح تحت أقدامنا ثم تنسحب كاشفة عن غابة كثيفة من الأعشاب تضطرب فى الواقع المظلم مخيفة كأنضاجات الأحلام . وكان البحر كله هذا المكان وعرا رهيبا على حال الطبيعة ، لم يؤسر كما أسر فى سائر البلاجات المنظمة ، ينبعض حتى الأفق متوجها ممزوجا ، وقد بربت على سطحه البعيد صخور كبيرة سوداء تتكسر عليها الأمواج برشاش أبيض مرتفع وتهب منه الرياح قوية باردة مشبعة

بالرطوبة والبلل.

وكانت الشمس قد هبطت قرب الافق مرتعشة الحواشى فى حريتها الأخيرة . وقد غشينها سحب خفيفة تجعل ضوحاها فاترا ذابلأ لا يؤذى العين . فوقفتنا نتنظر اليها وأنوار مبوبته كعهدها حتى قدمتها إلى صخرة كبيرة مستوية قد وضعت لتسد ثغرة طرأت بحاجة ما على السور الحبيدي ، فجلسنا عليها وأندلينا أقدامنا فى الخارج ، وأنوار تنتظر فى حماسة صبيانية إلى المياه تحت أقدامنا ، التى لو دفعتها دفعه واحدة لتردت فيها وغاصت بين الحشائش الكثيفة الملينة بالكائنات المفرزة .

وكنا قد اشترينا في طريقنا كوزى نزة من رجل يجلس على الأرض مستندًا إلى سور البحر ، وأمامه جمرات فحم حمراء ملتهبة يقلب فوقها الأكواز الكهرمانية التي ترتفع حباتها كلما بردت . في بينما نحن ننتحن الحياة الناشرة الساخنة ، قلت لأنوار وأنا أكلّها في جنبها :

**فضحكت وقالت:**

-مش أحسن م القهوة اللي كنتي حاتقعدينا فيها؟.

ورحنا نتكلّم في أمور تافهة مختلفة ، وأنا أسأّلها عن حالها مع زوجها فتجيب إجابات قد لا تدل على أن الرجل يحتل من نفسها موقعا هاما ، ولكنها على أي حال تخلو من اليأس والمرارة اللذين لستهما فيها يوم رأيتها منذ عامين . ثم أنتي انتقلت إلى موضوع الأطفال ظاهرة عجيبة من أنها تلد حتى الآن ، وسألتها أن كانت تتعمد ذلك ، فلم تزد عن ان ابتسامة صغيرة مذئنة وأحمر وجهها فقلت:

-افتکر اونک لو جيتن، عيل كان يشغالك ويسلايكى.

فأصرت على الصمت وإن كان أحمرار وجهها وامتلاء نظرتها يدل على أن كلامي قد أصاب  
موضوعاً يشغل بها، فلما قلت أنتي أعتقد أنها تحب الأطفال قالت كأنها تبوج بسر عظيم:  
ـ مالخصار !

وهي لغة أنوار تعنى أنها تجيب بالإيجاب عن كل الأسئلة الموجهة إليها . ولكنني طلبت زيادة الأفصاح بفالات فى خجل واحمرار أكثر مما يستحق موضوع الحمل- بالنسبة لامرأة متزوجة على الأقل:

-قررت أحب عيل .. بقى لي شهرين!

فنظرت إلى بطنها ولحظت أن تايرورا الأبيض الذي كنت أعهده دائمًا مفتوحاً متطايرًا - محكم الأزرار يلتصق الهواء بجسمها فيبدو تحت ارتفاع بسيط لا يمكن للمرء أن يلحظه دون أن يتبهّبه.

فهنتها على ذلك وسألتها ماذا سوف تسميه . فهزت كتفها في استخفاف ولم تجب، وبدا لي من حالها أنها لم تدل بسرها كاملاً . وأنه لا زال عندها ما يقول قلت استدرجهما: «جوك فرمان طعماً».

فضحكت ضحكة صغيرة ظافرة وقالت

- هو عارف حاجة؟

-الله ! انت ماقلتي لو ش . ولا ايه ؟.

11

طلب ولیہ کڑھ

فازداد روحکها و قالب

1416 *et al.*

وراح بدنها يهتز ويرتعش وسط الرياح التي تطير شعرها وترعد ثيابها ، ويدت كأنها تتعمق في قراراتها بسعادة خفية مختلفة . ثم أخذ الضحك يتلاشى من وجهها رويدا حتى لم يبق منه إلا خطوط رقيقة حول فمها وعينيها ، واكتسح وجهها بجد بلين لا يخلو كل نوباتها من شعور بالذات وخجل صبياني . وكان قرص الشمس قد انتهى أخيرا إلى الأفق البعيد ، وغاص نصفه في الماء ، فبدأ مثل بالون هائل قاني الحمرة، يذيب الماء بريقه فلا يozى النظر ، وتهب من ناحيته ريح باردة قوية ، فكأنه صيغ من نحاس لامع بارد . وكان هذا المكان مهجورا رهيبا بطبيعة ، فتضاد هذه الغروب إلى رهبة ، ونحن ننظر إلى كتلة الماء الرصاصية المتلاطم ، ونتصور أن في هذه الأعماق الباردة حياة لا تبرح تضطرب حتى بعد أن يلفها الظلام. ولكن أنوار كانت تبدو سعيدة في هذا المكان ، إذ تنتظر مفتونة إلى الفضاء الذي بدأ يصير رماديا ، و تستقبل الريح بوجهها وصدرها في استسلام هادئ لا يخلو من مظهر الاحساس بالتضحيه.

أحسست أن ثم أمراً خطيراً يشغل بالها، وأنها لم تحدثني بعد بكل سرها، فهممت بأن أعاود استدراجها ، ولكنها أغتنى عن ذلك إذ قالت فجأة وهي تلheet وعيناها مقلوبتان إلى داخل نفسها:

-إلا أنت تصدق في الأحلام؟

فكان الصدق أن أقول لا، ولكنها لا تزيد أن تعرف رأيي حقيقة، فاجبته إجابة ملتوية، حتى  
عادت تقول ودأسها بيتش، على، كتفها وابتسمت، ثم قالت:

عادت تقول ورأسها يثنى على كتفها وابتسمت، ثم قالت:

دھ حلم ہایف کدھ..

ولكنها كانت تحملق بشدة في المياه المازجحة التي بدأت تظلم تحت أقدامنا ، فعلمت أن

حلمها لم يكن تافها . قلت لاطمئنها

أنا بردء ساعات تصادقني أحلام بالشكل ده . وبتحقق .. لكن إيه حلمك انتي؟.

فياحت أنوار بالسر

من مدة تلت شهر كده .. ولا يمكن حتى أكثر مش عارفه . قبل معرف انى كده - أصلى كنت باستعجب أنا أتأخرت كده ليه- جيت فى ليلة حلمت انى رحت فى حنة ، والله يا فاطمة عمرى ماشقت أحلى منها أبدا .. غيطان خضره مايلاش اخر ..

وأشجر كتير .. وطول الوقت تطلع م الغيطان عصافير كبيرة وبيضه زى البحج .. تطير فى الهوا وتعوم فى البحر .. وأنا كمان كنت زى ما أكون طايره مش ماشي .. والعصافير دى تبعن ناحيتي . وتنكلم على، وتتكلـى.

وسكتت أنوار لتسجع انفاسها ، ونظرت إلى بحدة فى الضوء الرمادى لترى كيف وقع منى كلامها ، كانها خبطة من البوح لي بخيبة نفسها . قلت لها مشجعة:

-يظهر انهم خدوكي رحلة للجهة!

فضحكت فى سعادة وقالت:

-اما بعد شوية قابلت ناس وقالوا لي كده.

واحكمت أنوار تايورها الخفيف لتحمي عنقها وصدرها من الهواء الليل البارد ، ثم واصلت رواية الحلم بصوتها المترعش المتكسر ، كيف أنها قابلت جماعة من الأشخاص يلبسون ثياباً بيضاء لم تعرف إن كانوا من الناس أم من الملائكة ، فاقفهها أحدهم أنها في الجنة وطلب منها أن تسير معهم: ففعلت وظلوا سائرين خلال أبدع ما رأت من المناظر حتى انتهوا إلى «كشك» جميل وسط الخضراء يجلس فيه رجل ، وعند ذلك احتفى الناس الذين كانوا برفقتها ، وببقى شخص واحد نظرت إليه فإذا به ... أنا! وقد ظهر لها بعد ذلك أنتي موقدة من الرجل تزيل الكشك لأنقل إليها رسالة منه . وهي لا تدرك لماذا لم تقترب منه بنفسها لتسمع ما عنده ، ولا لماذا لم يدعها هو ليدي إليها بالرسالة ، ولكنها نظرت إليه عن بعد فوجده يبتسم لها فى رفق ، وهو جذاب مهيب ، وجهه جميل نوراني ، وشعره أسود مرسلاً زى الناس بتوع زمان اللي بشوفهم فى الصور» . فيما كانت ترى ابتسامته ولين نظراته حتى سرت فى نفسها سعادة طاغية ، وخفق قلبها سريعاً ، ولكنها لم تجرؤ على أن ترد ابتسامته . فلما سألتني عن الرجل من يكون قلت لها إنه «الشغراني» . وهـ هو رأسه فى الكشك تصسيقاً على كلامي ، فخطر لها عند ذلك أن تقترب منه ولكنـى منعـتها

وسكتت أنوار لتسجع انفاسها ، فقلـت لها .

- والله يختى أنا مظلومه فى الحكاية دى.. اللي حتى ما أعرف الشعرانى دى بيقى مين.  
فقالت أنوار .

-إزاى ؟ مش فيه شىء فى مصر اسمه الشعرانى ؟ وأنتى راكبه ترموى تلاتة وجايده العباسية  
تلaci الجامع بتاعه على ما يميت...  
أه .. سيدك الشعراوى!

طيب عال .. لكن انتى ماقليش كان باعنتى أقول إيه لحضرتك ؟ فضحتك أنوار فجاءه  
فضحكتها الطويلة المتهافة ، وبدأ عليها الترد فقلت لها:  
-قولى قولى .. مش حازعل!

فقالت تطمئننى :  
-وانتى ذنبك إيه..

وسكتت ثانية فى شرود ، ولكنى ألححت عليها حتى قالت متضااحكة.  
-أصلها حاجة بايخة كده ..

وكلت قد عرفت من صحبتى لأنوار أن الحاجات الباixa هي عادة أهم الحاجات وأخطرها في  
حياتها ، فلم أزل بها حتى حملتها على الأفضاء بما عندها ، فراح تقول متعلمة لامته .كيف أن  
الشعرانى قد أرسلنى إليها لأبشرها بأنها ستتحمل عن قريب بولد ، وأن ذلك لا يتحقق إلا بشروط  
معينة منها أن تؤدى الصلاة بانتظام ، وأن تتصدق على الفقراء ، وأن تزور ضريحه بالقاهرة كل  
 أسبوع . وقد انتهى الحلم على ذلك فى تلك الليلة ، ولكن له بقية ، إذا لم يمض على ذلك شهر  
 واحد حتى أتتها الرجل فى الحلم ثانية ، ولم يكن هذه المرة فى الكشك الجميل ، بل لم يكن فى أى  
 مكان معين ، وكل ما هنالك أنه وقف أمامها بثيابه البيضاء الملائكة ، وشعره المرسل الفاحم ،  
 فنظر إليها طويلاً بعينيه النورانيتين المهيبيتين ، ثم ابتسם لها دون أن ينطق بحرف . ولكنها فهمت  
 من نظرته وابتسمت أنها قد حملت فعلاً ، فاجترأت هذه المرة حتى ردت له الابتسام ، بل وتقدمت  
 نحوه فقبلت حاشية ثوبه الأبيض وتركته يمسح شعرها بيده ، مرسلاً فى نفسها تلك السعادة  
 الطاغية التي عهدت أن تمارسها دائمًا فى محضره . ولم يمض على ذلك الحلم أسبوع حتى عرفت  
 أنها حامل بدلائل مؤكدة فقصدت إلى ضريح الشعرانى تقرأ له عشرة فواتح ، وتوزع على الفقراء  
 جنبيها كاملاً.

ما كانت أنوار تصل من كلامها إلى هذا الحد حتى دهمتها فجأة رزانة خطيرة ، فأعطت  
 وجهها للبحر والريح ولاذت بالصمت . وكانت السماء قد بدأت تظلم ، والبحر يسود ، وصرت لا أكاد  
 أرى من أنوار سوى شبها الأبيض.

لم أدر ماذا أقول تعليقاً على قصة أنوار ، وكانت هي تنتظر ذلك التعليق . وإن بدت على العموم نادمة على إهانة سرها بالفضاء به . ولكن هل كان هذا سراً حقاً ؟ هكذا سالت نفسى إنها بالغ السننجة كتبت أتعنى لا أسمعه من أنوار .. ولكن يظهر أنها لن تزال تقاجحت من أسرارها وأحوالها بما يجعلنى فى خوف دائم عليها من نزوات روحها العنيفة السانجة . فلو اخترت أن أكون صريحة فى الرد عليها ، لقضيت ساعة أشرح لها ما تعلمت من النظريات فى شأن الأحلام ، وما تعود عقلى العلمى أن يردد فى صدد المشائخ والأولئك .. ولكنى لم أجرب على الصراحة ، لأن أنوار كانت تبدو جادة كل الجد فى تلك الأمور ، ولأننى قلت لنفسى أنه لا بأس بأن يتدخل الشعرانى فى شتون حملها وولادتها ، ما دام الذى ستدل كفياً بأن ينسىها الشعرانى وأمثاله . لذلك لم أزد عن أن لفقت ذراعى حول كفيها اضطجعهما قاتلة فى إخلاص :

ـ مبروك يا حبيبى .. تعيشى وتجيبي لنا عشر عيال .

فاهتركتها فى ذراعى إذ ضحكت من انفها فى استخفاف .

وكان الهواء قد صار بارداً موجعاً ينفذ فى العظام وهو محمل برطوبة ثقيلة تتكاثف على السور الحديدى بجانبنا وتصير ماء . فقمنا عن الصخرة تتحسس ثيابنا التى ابتلت هى الأخرى ، وانحدرنا فى الطريق الموحش نقصد إلى المصايب التى بدأت ككرات معلقة فى الفضاء الأسود . وفي الترام لم نعد إلى الكلام فى هذا الموضوع ، كان أنوار مجدة فى ذممها على الأفضاء بالأمر ، تزيد أن تنسى أنها فعلت فلما صرنا فى محطة الرمل ، افترقنا على ميعاد بعد أيام . ولست أذكر ما السبب فى ذلك ، ولكننا لم تلتقي فى ذلك الميعاد ، وسافرت أنوار إلى القاهرة دون أن أراها .

(٢)

لمدة ست سنوات لم يتع لى أن أتصل بأنوار بآية طرقه ، إذ كنت فى هذه الأثناء قد نقلت من الاسكندرية إلى طنطا ، ثم إلى دمياط ولم أحضر إلى القاهرة إلا مرة واحدة . ولكننى كتبت إليها فردت تقول أنها قد وضعت طفلها ذكرأ ، وأنه قد تعلم المشى أخيراً . فلما كانت سنة ١٩٤٣ قررت أن أقضى جزءاً من أجازة الصيف فى القاهرة وذهبت ذات يوم لزيارة أنوار قد صارت إلى بيتها الذى زرتها فيه منذ سنوات بالعباسية ، والذى يطل على التخلتين العتيقتين ، ولكننى ما كدت أطرق الباب حتى فتحت لي فتاة غريبة ، أخبرتني بأنها تسكن هناك منذ عام ، وأنها لا تعرف إنساناً يدعى أنوار . قلت لها عزلاً ، فألمست الفتاة على قولى ، وذهبت أنا إلى المنزل الآخر الذى أعرفه ، بيت أمها .

فتتحت لي ست سنين ، وهى كعهدنا فى الثوب الأسود والطحة السوداء ، فرفعت حاجبها

تتأملني حينا دون أن تعرفني . فلما أشرق ذهابها بالذكرى صاحت ترحب بي وتدعوني للدخول ، لاتنة إباهى على الانقطاع عنهم كل هذا الزمن ، وذاكرة آن أنوار غاضبة على بسبب هذا الهجر . وبينما قادتنى المرأة إلى غرفة الاستقبال المظلمة تفتح نافذتها وتلقى الضوء . على طقم فوتي أزرق عتيق حدثتها أنا بما كان من ظروفى المانعة ، ورويت لها ما كان من ذهابي إلى بيت آنوار القديم منذ لحظات .

ثم جلسنا متواجهتين وأنا أتأملها لأول مرة منذ تعارفنا ، فنجدها سمرا ، الوجه ذات انف كبير ، وشفتين غليظتين ، وجبين ضيق ، لا تشبه أنوار في شيء ، وليس فيها أي أثر لحياة أنوار وشعورها بذاتها .

سألتها أين بيت أنوار الجديد ، فترددت هنيهة ثم قالت:-  
ـ، قاعدة معابا هنا يق لها شوبة.

ولم أكن أسمع صوت حركة في البيت فسألتها أين هي إذن ، فقالت :

-خرجت مع ابنتها من مده وزمانها راجعة.

-ابنها ! هي .. آه بحق دی كتبت لى جواب وقالت لى ..

لکن ماجابتش غیر ولد واحد طول المده دي؟.

-**كفاية يختى ، احنا حنوديهم فين؟.**

-ياخى كويس الله جه ولد . هي كان نفسها تجيب ولد قوى.

فقالت سنتية وهي تتمايل في جلستها وترفع حاجبها ساخرة:

—هي كان بس نفسها تجيّب ولد؟ دي كانت عارفة أنها حتجيّب ولد.

-ازای بقی یا تیزه؟.

-آل حلمت.

ولم تزد ست سنين ، وسكتنا حيناً وهي تنظر إلى السجاد الأحمر ذي النقوش الخضراء ،  
ويبدو أنها تريد أن تقول شيئاً ولكنها تترادد . وأخيراً رفعت إلى بصرها فجأة وقالت:

-انتی يختى مادرتىش؟.

-خیر ، بایه یا تیزه؟.

باللى عملته أنوار؟.

أثار عملت حاجة؟

فقالت وهي تقلب راحتيلها في عجز يانس :

مش سابت جوزها؟.

أنوار.<sup>١</sup>

أنوار .جتها إيه بقى.

وكانت هذه مفاجأة ، فقلت باززعاج حقيقي:

-إزاى يا تيرة ؟ عشان إيه ؟ أمتى؟.

-من سنة كده يا بنتى .

-سنة !.

-تقريباً .

-ليه ؟ حصل إيه ؟ جوزها زعلها ف حاجة؟.

أبداً .

-أعمال إيه ؟.

-الراجل لازعلها ولا عملها .هي مش بنتى ومن دمى ، لكن الحق ما يلاش عليه، وجوزها  
الراجل ما فيش أطيب ولا أكمل منه ..هي اللي جابت راهيיתה بايدها ..

-لكن عشان ايه سابتة ؟ مش لازم فيه سبب ؟.

-أهي قسمتها كده والسلام..

. وسكتت المرأة تظهر الاستسلام . مراوحة وإن كانت تزيد الكلام . وقد غاظني سكوتها، ولكننى  
رأيت ألا أثقل عليها بالالحاد . وأخيراً تكلمت هي من نفسها فقالت:

-أتنى مش فاكره لما اتفابلنا من كام سنة في اسكندرية ؟ مش اشتكيت لك يومها من مطلع  
المشيخة اللي طلعت فيه جديد؟. أهي يختى بدار ما تعقل وترجع زى ما كانت ، فضلت تزيد شوية  
شوية لحد ما أقول لك الحق أتوغشت عليها ..كل يوم تصحي من الفجر تستحمي في عز الشتا ،  
وتصللى الفجر ، وتقدر تسبح لطعة الشمس، وبعد كل فرض لازم تقدر تسبح بالنص ساعة  
والساعة ، وساعات أصحى في نص الليل أسمع حسها بتقرأ قرآن، وأول لازم لها يوم في الجمعة  
تسحب عده ساعة المغرب ، وتسيب جوزها في البيت ، وتتروح تزور الشعراوي.  
-يعنى كل الحكاية..

-واللى زاد وعاد يابنتى أنها تصوم كل يوم اتنين وخميس ، ورأسها وألف سيف ما تخرج في  
السكة إلا بفستان طويل مدلل لا كعباتها وبالطوط ملافتتها ، وعلى وشكها بيشه سودة زى غما

الحسان .. وكل ده لحسن بسلامته ياخذ على خاطره.

-جوزها؟.

جوزها مين .. الشعراوى ؟ ده جوزها اذا كان على كيفه تلبس وتزوق ولا ييقاش احسن منها .. هو مسكنين ضج من شوية .

قلت لها

ـ لكن هو ايه يضايقه من صلاتها وصيامها ؟ بقى عشان كده زعلوا من بعض؟.

ـ مش بس كده يا حبيبتي . لو كانت هي على كل ده بتديله وش كان يستحملها . لكن دى بتكلمه بالتهلة ، ولا تبلعوش هفوة ، ومبعد عن الواد زى ما يكون مش ابته .  
ـ عشان كده طلقها؟.

ـ آبدا وحياتك الرجال فضيل صابر لحد ما هي سابتة بنفسها وجابت ابنتها آل تقدع عندى .  
ـ صن شوية وجه صالحها وخدتها تانى على بيتها . وكلها شهرين بصيت لقيتها داخلة على تانى .  
ـ تحلف عمرها ما هي راجعة له يعمل ايه هو بقى ؟ طلقها؟.

ـ فهممت بأن أتكلم ، ولكن ست سنبه أسرعت تقول في غيظاً

ـ ما هو ابوها بدار ما يسيب لها حاجة عدلة تستدها ، راح وساب لها الورثة المحببة دى ..  
القصد ، وما يجوزش عاليت إلا الرحمة!.

ـ وهمت ست سنبه بأن تواصل حملتها على زوجها الميت ، ولكنها سكتت إذ رن جرس الباب في تلك اللحظة وسمعنا صوت الخادمة تسرع لفتحه . وتلا ذلك صوت أقدام خفيفة طرق بلاط الصالة مسرعة نحونا ، ثم اندفع من باب الغرفة صبي صغير يلبس قميصاً أبيض وبنطلوناً ، قصيراً ،  
ـ يصبح

ـ نينه .. نينه ..

ـ ولكنه سكت فجأة حين وقع بصره على ، فجمد في مكانه وأحمر وجهه وراح ينظر نحوى في خجل وبيتسـم . كان طفلًا ظريفاً لكل الأطفال ، عرفت فيه عينى أنوار العسليتين وأنفها المدبـ،  
ـ وإن كان أميل إلى السمرة منها ، وشعره أسود فاحم بعكس شعرها الكستنائي .

ـ قالت ست سنبه :

ـ تعالى سلم على خالتك يا عبدـه ..

ـ فتقدم الصبي بيـطـ وهو يثنـي رأسـه على كتفـه من الخجل ، ومدـ لـ يـدا صـغـيرة متـرـدـدة ، فـرـحتـ  
ـ أـدـاعـهـ بـكـلـمـاتـ لمـ تـقـلـحـ فـيـ إـرـاـلـةـ حـيـائـهـ ، وـعـنـدـمـاـ سـائـلـهـ جـدـتـ عـماـ كانـ يـنـوـىـ أـنـ يـقـولـ سـاعـةـ دـخـولـهـ ،  
ـ قالـ «ـماـفـيـشـ حاجـةـ»ـ ، وـمضـىـ يـخـرـجـ مـنـ الغـرـفـةـ . أـبـنـ أـنـوارـ .

ـ ولـبـدـ أـنـ الخـادـمـ أـعـلـمـ أـنـوارـ بـوـجـوـدـ ، لـأـنـهاـ دـخـلـتـ باـسـمـ وـوجـهـاـ مـحـمـرـ ، وـهـىـ تـسـيرـ كـعـهـدـهاـ  
ـ رـافـعـةـ الرـاسـ وـقـدـ اـنـتـصـبـ جـسـمـهاـ النـحـيفـ الصـغـيرـ . كـانـ تـلـبـسـ بـدـلـ التـايـورـ الـأـبـيـضـ الـذـىـ عـهـدـتـهاـ

بهـ مانتو» أسود طويلا مقفل الصدر من طراز عنيق ، وفوق رأسها قبعة صغيرة سودا . عتيقة أيضا ، وفي يدها بيضة مطوية من شاش أسود . أما ساقاها فاختفيتان في جورب بني من قطن نقيل.

كعادتها ، لم تسرف في إظهار عواطفها ، وتهربت أمام حماستي للقاء وإن كانت مسرورة برؤيتها . ثم جلسنا وأنا أتأمل ملابسها في عجب ، وأرى أنها تتبع نظرتى وتوجه إليها هي الأخرى نظرة موتورة في استسلام ، ثم تختلف إلى مستشهدة كاتها تقول «شايقة صاحبت؟». وقد رأيت أنا أن أجاهل ما سمعت من أمر طلاقها ، وأننا ارجئنا الكلام في أمر مشيختها ، فرحنا بتكلم في الأمور العادية التي يتكلم فيها من يتلاقون بعد الفراق . ثم نهضت لأنصرف إذ كان الوقت قد جاوز الظهر . فدعتنى للغدا ، والحتا ، ولكننى كنت مرتبطة بموعد فاعتذر قائلة لأنوار أنتى سانتظرها في منزلى عصر اليوم لكي نتحدث حديثا طويلا . ولكن ست سنين قاطعتنى بلهجة ساخرة

ـ لا يختى أنوار مش فاضية لك الليلة .. النهاردة الجمعة ، ليلة السبت . يا دهوتى من ليلة السبت !.

فانفرجت شفتاً أنوار عن ابتسامة مغيبة ، واهم وجهها في اشتماز من ابتدال أنها ، فقلت أنا.

ـ ليه يا تيزه؟ فيه ايه ليلة السبت؟.

ـ النهاردة يا ضنايا معاد سيدها الشعراوى .. لازم تروح المغرب تقرأه الفاتحة وتفرق ريال عالشحاتين !.

فهممت بأن أجاريها في التهكم ، ولكننى رأيت أنوار مشيبة بوجهها بابتسامتها المرتعشة المتلة ، فقلت لها :

ـ طيب بلاش النهاردة . استناكى بكرة؟.

ـ فاؤمات بالموافقة ، واتفقنا على أن انتظرها في تمام الساعة السادسة.

ـ فبينما أنا أخرج ، صادفت ابن أنوار وراء الباب يمد رأسه مستطلا ، فامسك به أصافحة وأقول مداعبة:

ـ أنت ماقلتنيش ليه على اسمك؟.

ـ فابقى في خجل ، ونظر إلى أمه كأنه يستأذنها ، ثم قال وهو يلهث :  
ـ اسمى عبدة .

ـ عبده حاف كده ؟ عبده إيه؟.

فقال الصبي وهو يحاول استخلاص يده من يدي

عبد الوهاب.

وعاد ينظر إلى أمه ليستطيع رأيها ، فتابعت نظرته إلى أنوار ورأيتها تغدر بصرها وقد أصطبغ وجهها بلون الدماء..

كانت الساعة بعد السادسة عند وصلت أنوار إلى بيت عمتى حيث كنت آقيم في ذلك الوقت وهو شقة في الطابق الثالث من عمارة بميدان الاسماعيلية .وكنت قد أوصيت عمتى آلا جلس معنا حين تأتي أنوار ، لما أعرف من ارتباكها وانزواتها في حضور الأغراب . وبالرغم من ذلك فقدار ارتبتكت أنوار وانزوت ، وعرفت ذلك فيها حالما أطلت من النافذة على ميدان الاسماعيلية بزحامه وضجيجه، ثم إذ جلست أمامي بثيابها السوداء تعجب بالبيضة الثقيلة المكورة في يدها ، وتحاشى النظر إلى أفراد أسرتنا العديدين الذين يطلون عليها من براويزهم في الجدران.

لذلك لم نك نجرع الشربات الذي قدم إلينا بعد حين ، حتى ابتسمت لأنوار أسالتها أن كانت تفضل الفروج ، فتعلقت بالفرصة وما كدت ألبس ثيابي حتى غادرنا المنزل . وقبل أن نخرج من باب العمارة رأيت أنوار ترفع البيضة السوداء تلقينها على رأسها وتغطي وجهها ، مختلة النظر إلى لترى أثر حركتها على ، ومتوجهة الابتسامة التي بدلت على وجهها . ولكننا عندما اقتربنا من كويري قصر النيل ، وجدت أن هذه البيضة ستفسد التزهه على أنوار ، وعلى أيضا بسبب عجزي عن رؤية وجهها كلما حادتها ، فطلبت منها أن تخلعها بوعندما متعنت ، مددت يدي فافتزعتها بالقوة وهي تضحك وتتلفت حولها خوفا من أن يراها الناس.

وكان الوقت قبيل الغروب ونحن نعبر الكويري والشمس قرص كبير يت弟兄 وراء أشجار النخيل المتناثرة التي تبدو على البعد كأنها زهور عملاقة طبوعة على صفة حمراء ملتهبة من الشفق . وكأن تمثال سعد زغلول أيضا غارق في بركة من الدماء ، وهو يرفع نراعه ويبسط أصابعه السوداء كأنما يستغيث ، والنيل حولنا شريط طويل متوج ، قاتم الفيضان ، كانه أحد زواحف ما قبل التاريخ الهائلة ، يتمسح في نعومة بالخضرة الكثيفة التي تكون صفات الحدائق عن يساره ، والتي تدلل أشجاره الأغصان في مياهه كانه طيور هائلة تشرب.

فيما ترى من المناظر وهي مفتونة مذهولة كعهدها ، ثم أشارت إلى ثكنات قصر النيل ورعاها حيث الجنود الحمر يبنشون بقضبان التواذن كالقرود ، وقالت إنه لو ترك لها اختيار سكنتها في القاهرة لاختارت هذا المكان ، ولكن هذا كان أمرا بعيد الواقع . ولذلك لم التفت إليها بل شرعت في حملتي مباشرة ، سائلة إياها أولاً ماذا تعنى بهذه الملابس العجيبة ، فقالت في جد أصحاب المبادئ وهي تغالب الابتسام.

مالها هدومي».

فلما شرحت لها كيف أنه لا باس بالملابس في ذاتها على شرط أن تكون على جدتها أو أم جديها ، إذ أنها اعتق من أن تليق لامها ، قالت «عاجباني» !، فلما ذكرتها بالمثل القائل بنـ الإنسان يجب أن يلبـس بما يعجب الناس قالت في سخرية واثقة

أصلـى ما بقيـش أهـتمـاد كـده برـآى النـاسـ .

قصدـكـ يعني النـاسـ الصـاحـيـنـ .

فأـحـمـرـ وجهـهاـ وـلـمـ تـجـبـ . وـكـنـاـ قدـ عـبـرـناـ الـكـوـبـرـىـ وـانـعـطـفـتـاـ إـلـىـ الـيـسـارـ ،ـ فـيـ ذـكـ الشـارـعـ الذـىـ يـحـاذـىـ النـيلـ وـتـلـاقـىـ فـوـقـهـ أـغـصـانـ الشـجـرـ وـالـنـخـيلـ الشـاهـقـ المـزـوـعـ عـلـىـ جـانـبـيهـ . وـكـانـ عـنـ يـمـينـاـ حـدـيقـةـ الـخـدـيـوـيـ إـسـمـاعـيلـ وـهـىـ غـاصـبةـ بـالـخـيـامـ التـىـ ضـرـبـتـ فـيـهـاـ مـنـ أـوـلـ الـحـربـ وـعـنـ يـسـارـنـاـ النـيلـ يـقـومـ عـلـىـ شـاطـئـهـ الـمـقـابـلـ فـنـدقـ سـمـيرـامـيسـ الشـامـخـ ،ـ وـقـدـ أـضـاءـ سـكـانـهـ الـانـجـلـيـزـ الـكـهـرـيـاءـ بـنـواـذهـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ مـنـ النـهـارـ . وـفـيـ هـذـاـ الـطـرـيقـ الـهـادـيـ توـغلـنـاـ وـنـحـنـ نـسـتـشـقـ النـسـيمـ الـخـفـيفـ الـمـحـمـلـ بـرـانـحـ النـبـاتـ ،ـ حـتـىـ درـنـاـ حـولـ الـجـزـيـرـةـ وـانـتـهـيـنـاـ إـلـىـ رـأـسـهـ أـمـامـ حـمـامـ الـجـنـةـ الـأـهـلـيـةـ ،ـ حـيـثـ شـاطـئـ الـجـيـزةـ بـمـبـانـيـهـ الـفـاخـرـةـ وـعـوـامـاتـ الـتـجـيـفـ الرـأـسـيـةـ عـلـيـهـ . وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ مـبـانـيـ الـقـصـرـ الـعـيـنىـ الصـغـرـاءـ الـمـتـمـاثـلـةـ ،ـ وـفـيـ صـدـرـهـاـ خـطـ بـعـيدـ مـعـلـقـ فـيـ الـفـضـاءـ تـنـزـلـ عـلـيـهـ نـقـطـ صـغـيرـةـ سـوـدـاءـ .

كـانـهـ النـملـ ،ـ هـوـ كـوـبـرـىـ عـبـاسـ .

هـنـاكـ دـعـوتـ أـنـوارـ لـلـجـلوـسـ عـلـىـ السـورـ الـحـجـرـىـ الـمـنـخـفـضـ ،ـ الـذـىـ تـنـحدـرـ أـمامـهـ الـأـرـضـ حـتـىـ تـنـتـهـىـ إـلـىـ مـيـاهـ النـيلـ ،ـ وـالـذـىـ يـنـتـشـرـ عـلـيـهـ آزـوـاجـ العـشـاقـ عـنـدـمـاـ يـهـبـطـ اللـيلـ ،ـ وـتـحـانـيـهـ السـيـارـاتـ عـامـرـةـ بـهـمـ وـقـدـ غـرـقـتـ فـيـ الـظـلـامـ . فـمـاـ كـدـنـاـ نـتـهـىـ مـنـ تـبـيـنـ الـمـنـاظـرـ حـولـنـاـ حـتـىـ طـرـقـتـ الـمـوـضـوعـ مـبـاشـرـةـ ،ـ وـسـأـلـتـ أـنـوارـ عنـ الـإـسـبـابـ التـىـ أـتـىـ إـلـىـ اـنـفـصـالـهـاـ مـنـ زـوـجـهـاـ ،ـ فـقـالـتـ لـىـ بـاـبـتـسـامـةـ سـلـاحـرـةـ :

ـيـعـنـىـ هـىـ نـيـنـةـ خـلـتـ حـاجـةـ مـاـحـكـلـكـيـشـ عـلـيـهـ؟ـ

ـفـلـمـاـ قـلـتـ لـهـاـ أـنـهـاـ لـمـ تـحـدـثـيـ إـلـىـ بـنـقـطـ تـافـهـ ،ـ قـالـتـ وـهـىـ تـضـحـكـ مـنـ أـنـفـهاـ:

ـوـهـوـ فـيـهـ إـيـهـ يـنـحـكـ ..ـ اـنـطـلـقـنـاـ وـخـلاـصـ!ـ

ـوـلـكـنـ هـذـاـ الـإـيجـازـ لـمـ يـكـنـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ نـفـورـهـاـ مـنـ الـرـوـاـيـةـ ،ـ إـذـ لـمـ تـلـبـثـ أـنـ تـبـسـطـتـ فـيـ الـكـلـامـ مـنـ تـلـقـاءـ نـفـسـهـاـ .ـ قـالـتـ:

ـأـبـنـتـيـ مـشـ فـاكـرـةـ يـوـمـ مـاجـيـتـيـ تـزـورـيـنـىـ بـعـدـمـاـ اـجـوزـتـ بـجـمـعـةـ؟ـ

ـفـاكـرـهـ يـوـمـهـاـ كـنـتـ عـالـمـةـ إـزـاـيـ؟ـ

ـيـوـمـهـاـ سـبـتـ بـتـعـيـطـيـ.



هو يومها ويس، والله يا فاطمة أنا من يوم ما اجوزت ماشت يوم واحد كويس.

لكن ليه؟ نينتك وانتي بتقولوا أنه راجل طيب وابن حلال.

هي: اماتا عارفة أنه طيب وابن حلال .. لكن حمار!.

وأحمر وجهها من شدة جرأتها ، ثم استرسلت بابتسامة ازدراء صفيرة مرتعشة:

-اتصورى ان عمره فى حياته ماقرأ كتاب ؟ عمره ما يقول يالله نخرج تنفسخ فى حنة حلوة ؟  
عمره ما يحب الضحك ولا الهزار؟ أهو من الصبح للضهر فى الديوان ، وييجى عالدنا يأكل وبينام  
للعصر وبعدين يخرج تانى يقعد على قهوة تعرف جنب البيت مع واحد صاحب أحمر منه شوية  
واسمه حمدان أفندي ، يشربوا شيشة ويلعبوا ضومنه.

لحد ما تيجى الساعة تسعه أبيص آلاقيه داخل بسبحته الى عمره ما قال عليها حتى بسم الله  
الرحمن الرحيم؛ يقلع هدومه ويقعد يتعشى ، وبعد العشا يينده عبده ويفضل يلاعبه ويكلمه كلام  
بايخ وهو زهقان ، لحد ما الساعة تقرب على عشرة يخش أوذته وينقلب الصبح؟.  
وكانت أنوار تتكلم بطلقة وجرأة لم أعهدهما فيها ، ووجهها متقد من الاهتمام وهى تشير  
بيديها مع الكلام ، شأن كافة الخجولين حين تلخ الحمامسة مرة فى إخراجهم من قواعدهم . وقد  
رثيت لها كما أرادت ،

ولكن ذلك لم يعنعنى من آن أضحك ، لأنها هي ترى حالها مضحكا . وقد خطر لي أن أصبح  
بها» بقى عايزه تلبسى الهدوم دى، وتصحي م الفجر تقرى قرآن «وجوزك مايفضلش عليكي  
حمدان أفندي» ، ولكننى أمسكت حتى لا أسى إليها.

قلت وأنا أحبط كتفيها بذراعى وأضمنها إلى:

ـيا حبيتى يا أنوار .. وبعدين؟.

وقد أخطأت بهذه الحركة ، لأنها ربت إليها شيئا من شعورها بذاتها وتحفظها ، فقالت وهى  
تلوح بيدها فى استهزاء ساخط:  
ـلا بعدين ولا قبلين .. مخلص!.

وسكتت ، وتأه بصيرها فى الفضاء أمامها ، وقد بدأ النيل يبييض ، وعلاد فى السماء سحاب  
ضعيف ب بنفسجي اللون ، انطلقت أسراب «أبو قردان» تضرب صفحاته بأجنحتها البيضاء فى  
صفوف بيضاء منتظمة تقصد شجرتها المفضلة عند كويرى الزمالك ، حيث تصير كلها بصوت  
واحد وتتخبط الشجرة بلونها الأبيض حتى تبدو كأنها طيرأ.

ـقلت لها :

ـلكن ما انتي صبرتى على كده سنين طويلة اللي خلاكى مرة واحد تعملى ثوردة؟.

قالت بغيظ.

-يعنى عايزانى أفضل طول عمرى فى القرف ده؟.

فأفهمتها أتنى لم أقصد هذا ، وذكرتها كيف أتنى عندما لقيتها قبل زواجها حذرناها ، من الزواج برجل لا تعرفه ، ثم أضفت.

-أنا مش بالومك عشان سبتي جوزك .. مدام زهقانه م العيشة معاه خلاص. لكن بس أنا شايفة أن السبب المباشر اللي خلاكم تفترقم، غريب شوية.

فاحمر وجه أنوار وقالت بابتسامة مغيبة في تسامح:

-أنا مش بقول أن نية حكت لك على كل حاجة؟.

فهممت بأن أروى لها ما سمعت من أمها ، ولكنها لم تصغ إلى، وإذا اقتربت منها في تلك اللحظة سيارة سوداء كبيرة ، تمهلت ووقفت خلفنا مباشرة، فنظرت إليها منزعجة . ونظرت أنا إلى

سانقها -وكان رجلاً بجانبه امرأة- نظرة قاسية لأنبهه إلى سوء اختياره للمكان ، ولكنه لم يلتفت إلى واستقر هناك ، فلم تمض دقيقة حتى قالت أنوار هامسة:

-يالله نقوم من هنا!.

فقمت ، وتابعنا اتجاهنا الأول بمحاذة رأس الجزيرة حيث بدأ أزواج العشاق ينتاثرون على السور الحجرى ، حتى وصلنا إلى الكوير الأعمى فعبرناه وانعطينا إلى اليسار لنظل بجوار النيل ، في شارع فاروق الأول الذى يمتد بطوله شريط طويل من الحشائش التى تشدقها أحواض الزهر ، ويستلقى عليها جماعات المتزهين باطفالهم وماكلاتهم وبقربهم باعة الكازوزة والسميط يملئون المكان بندائهم وضجيجهم . ولكن الشارع استحال إلى الهدوء بعد قليل ، فتوغلنا على الرصيف العريض وسعف النخيل المنخفض يضرب وجواننا بعن يسارنا في النيل صفوف القلابيك ذات المجايف والقلوع ، وبينها تلك العوامات الكبيرة التي تستعمل نوادي التجديف بقى حين واجهتنا عبر النهر الأبيض الفسيح مبانى قصر العيني الصفراء المشابهة ، وخلفها قمة المقطم العريضة تبدو دائكة غامضة في الجو الرمادى الساكن.

وبعد قليل انقطعت جماعات المتزهين ، وانقطع صوت النخيل المنخفض الذى يضرب سعفه الوجه ، تاركاً إيانا تحت سماء فسيحة بيضاء ، بدت الحشائش الخضراء عن يسارنا فى ضوئها الشاحب جذابة داعية قصدنا إلى جزء كثيف منها يكشف النيل مباشرة ، فسوينا ثيابنا جلسنا ولم نكد نفعل حتى قالت أنوار تواصل حديثاً منقطعاً:

-تقىدى تقولى لي هو ليه يزهق من صلايا وتبسيحي؟ مش الصلاة والتسبيح أحسن على الأقل من شرب الشيشة ولعب الضومنة؟ هو لو ما كانش حمار وعقله وسخ مش كان عرف انه هو

اللى حمار وعقله وسخ!.

ففهمت ما تعنى أنوار ، وقلت لها أن الصلاة والتسبيح والدين بأسره تحتاج حقا إلى قدر كبير من الخيال والحس المرهف ، ولكن الأشياء كلها تتقلب إلى عكسها عندما تزيد عن الحد . وقد رأيتها لا ترحب بهذه العبارة ، ولكننى كنت أريد أن أصارحها برأيي ، عسى أن أصبح أراها ، فاضفت .

-يعنى مثلاً تقدرى تقولى لى إيه معننى زيارتك للشعراء كل جمعة؟.

فقالت وقد ساءها أن أجادلها فى شئ هي التى أفضت به إلى :  
-طب والشعرانى ماله؟.

-ولا حاجه .. كل ما فى الأمر انه ميت!.

فضحكت أنوار فى سرور كأنى قلت شيئاً مغرقاً فى السخافة ، ولم تقل شيئاً فلما سألتها إن كانت تجادل فى موته قالت ورأسمها يتعاطى على كتفيها استهزاء :  
-لا، لكن ربنا قال إن الواحد بعد ما يموت بفضل منه حاجة اسمها روح يا ست فاطمة؟.  
وداست على ست فاطمة فى انتصار ساخر دامغ ، فقالت لها :

-طب وبعدين؟.

-وبعدين الشعرانى مات لكن روحه موجودة.

-وقد اعدت فى الجامع بتاعه؟.

-معرفش قاعدة فى، لكن موجودة وخلاص!.

-عال ، لكن تفتكرى إن الشعرانى حاسس بكل الناس اللي بيزيوروه فى الجامع دول؟.  
طبعاً.

-وما عندوش شغل أبداً لدرجة أنه يرد لهم الزيارة كلهم فى الأحلام.  
فوجهت أنوار إلى من فوق كتفها فى نظرة مغيظة مدى لحظة ، ثم قالت متضاحكة لفتئاً  
غيطها :

-الحق على أنا اللي بقول لك عالجاجات.

فأفهمتها أتنى لا أرمى إلى السخرية منها ، وأننى قد صدرت فى سؤالى عن نزعة علمية  
محضة ، ولذلك أرجوه أن تجيب عليه فتردلت برهة، ثم قال :

-الشعرانى وكل الناس تقدر تزور بعض فى الطم، أنا حتى قريبت فى كتاب .. لكن مش  
قابلة!.

وسكتت فجأة وهى ترسل ضحكتها الطويلة المتهافتة وهي الساعة تبدو مذنبة ، فلما علمت أنها

لن تتكلم ، قلت لها:

ـ أناما بقولوش اذك غلطانة فى كل تصرفاتك دى ، لكن بس أحب أنك ماتاخديش الموضوع جد قوى.

فسكتت هنئه ثم قالت وهي تلوح باصبعها فى حزم:

ـ ترجع لكلامنا .. انتى مش بتقولى أن الواحدة مايصحش يغصب نفسها على القعاد مع حد؟.. خلاص..

ـ فقلت لها إنتى لا أناقش المبدأ وإنما الأسباب ، ولكنها قالت وهي توجه الكلأ إلى نفسها أكثر منها إلى:

ـ أنا لو كنت عارفة أنه يعني بيحبنني وحايىز عل لما أسيببه كان معلهش ، لكن ما دام الحكاية بقى..

ـ وأنهت العبارة في عقلها ، ولانت بالصمت.

ـ وكان الجو حولنا ساكننا لا تخلله أية حركة ، لاسيما حين تطول المدة بين مرور سيارة وأخرى في الطريق خلفنا . وكان التليل قد صار من البياض كأنه نهر من اللبن ، وهو هادئ ساكن يهب من ناحيته نسيم تر متهاافت ، لا يقوى على تحريك ورقة من الأشجار التي تجمّع خلفنا أمام صف الفيلات الفاخرة ، جامدة نائمة في الليل المقترب . وفي الدائقق التالية ظل الصمت مخيما علينا ، فلم تقل أنوار إلا عبارة واحدة عن حسدنا لسكن تلك الفيلات خلفناـ كأن أنوار تقدر على أن تحسد إنساناـ ثم صمتت وهي تنتظر إلى التليل أمانا . ولكنني قد عرفت أن صمتها أمر ظاهري فقط ، وأن وراء هذه الملامح الدقيقة الحساسة ، وفي هذا الصدر المغطى بملابس قبيحة تصلح لأن تكون كفناً نفساً تختصر بثورة جامحة .. جامحة إلا أنها جاهلة غريزة تتخطى في سذاجة حيث لا تعلم .. وقد أخفقت أنا بعد كل هذه المناقشة في تغيير شئ من آرائها ، بل قد زدتتها عناداً وجومحاً ، وغوصاً في أعماق ذاتيتها.

ـ وهذا هي بجانبى تدب عنقها النحيل إلى أعلى ، وتحملق في الفضاء الآبيض سعيدة بفنائها في النسيم الخافت الذى يحمل إليها رسالة الأبعاد .. ترتجف شفتاها الحساسستان في رفق كاتهما ترددان صلاة أو دعاء لا أسمعه مخاطبة بروحها مالاترى.

ـ وهكذا جلسنا صامتتين حتى تسل الظلام بين ذرات الفضاء ويدا التليل شبراً رماديآ ساكنآ ، في حين أضاءت عن بعد فوق كويرى عباس كرات صغيرة من ضوء مرتعش ذابل ، وفي الناحية المقابلة عن يسارنا بدا رأس الجزيرة يأشجاره الكثيفة كتلة كبيرة جائمة من الظلام ، وعن يمينها فندق سميرامس شعلة من النار ، تعلوه سحب كثيفة من دخان المدينة.

وأخيراً لمست كتف أنوار مقتربة الانصراف ، فابتسمت إلى موافقة ، وقمنا نعود من حيث أتينا.

في خلال الشهر الذي قضيته بالقاهرة، لم يطرأ على حياة أنوار جديد سوى رسالتين تلقتهما من زوجها السابق يطالب فيها بذن يعطي له ابنه لكي يشرف على تربيته بنفسه ، وبالفعل النظر في الأخيرة منها إلى أنه سيتخذ الاجراءات القانونية الالزامية إذا لم يرسلوا إليه الولد . وقد أوقع هذان الخطابين أنوار في غم شديد -لاسيما الأخير- رغم أنتي أكدت لها أن الرجل يهوشها ، وأنه لا حق له في انتزاع ابنها منها قبل أن يبلغ التاسعة . فكان أنوار حزنت مجرد تفكيرها في أنه يتأخ لطليقها أخذ ولدها في أي سن ولو كان ذلك بعد أربع سنوات وفي أن يكون له الحق إطلاقا في تصريف أمور هذا الولد مما أضاف إلى هموم أنوار مسلك أمها ، التي فسرت هذين الخطابين بأنهما «جر شكل» من ناحية الزوج يرمي به إلى رد زوجته التي أتعبه غيا بها ، وأنه يجب على أنوار بنا على ذلك ألا ترفض اليد الممدودة والفرصة السانحة بل تبادر بإنتهاها . وقد قالت لأنوار توبيخها أمامي ذات يوم وهي تلوح بيديها في غضب:

ـ دى ندامة إيه يختى دى؟ احنا كنا مجوزينك عشان كده! إن كنتي قاعدة معايا النهاردة تتكلّي وتشربى ، بكره أما أموت تبقى تصلى إيه؟ تدورى تشحتى على كل باب لقمة؟ بطلي نشفية الراس دى أحسن ..أنتي فاكرة نفسك إيه؟ وارتة؟ الله يرحمه أبوكى .. مات ما ساب لك خيط فى أيرة ..غير جذبة السبج والمشابيخ ماساب شيلاه يا سيدى يا شعراوى! .  
القول الذى استمعت إليه أنوار بابتسامة مرتعشة متالة ، وهى غاضبة البصر لا ترد على ابتداها .

ولكن فيما عدا ذلك كانت أنوار راضية هادئة ، تواصل حياتها الجديدة ولا تشكوا . وقد أتيت لي في الشهر الذي قضيته في القاهرة أن أعرف شيئاً عن تلك الحياة ، وأتيت لي أكثر من مرة أن أرى أنوار تمسك سبحة ذات حب ببني اللون تدمدم عليها باسماء الله الحسنى ، أو تمسك كتاباً صغيراً في حجم الكف قالت لي أنها هامسته من وراء أنوار «قطيعة يختى .. ده ورد» . وكذلك أتيت لي أن أرى جانباً من مكتبة أنوار الجديدة وهي مكونة من كتب كبيرة صفراء اللون مطبوع على هواشمها كتب أخرى ، ومعظمها من تأليف الشعراوى أو غيره من المتصوفين ومنها كتب عن الأرواح والجن قدية وحديثة، بينما كتاب أو اثنان عن الشعراوى كتبهما كاف من المحدثين الذين يضع الشيطان الألفاظ في أفواههم لكي يشوهوا بها سيرة السلف من الأولياء والصالحين . وقد عجبت كيف استطاعت أنوار أن تتغول في هذه الكتب الصفراء الكبيرة ذات اللغة والمعنى المعقدة ، التي تعبت أنا من مجرد تقليل صفحاتها ، فلم يعجبني منها إلا كتاب واحد هو ديوان ابن

الفارض ، الذى رأيت أنوار قد رسمت بالقلم الأحمر خطوطا تحت كثير من أبياته الصوفية والالهة.

وقد ورثت أنوار كل هذه الكتب عن أبيها ، الذى كان صوفيا ملخصاً ، والذى روت لي سنتين عنه كيف أنه دخل «الخلوة» ذات مرة ليصير ولينا ، فخرج منها بعد شرة أيام غانز الخدين جاحظ العينين ، يصبح بعلن صوته مردداً «يا منتقم يا جبار» كانه مجنون ، فلم يثبت إلى عقله إلا بعد شهر قضاه طريح الفراش ، وهو يهب كل حين من السرير صانحاً «النار!» ولا يعود إلى النوم إلا بمعاونة حنته من المورفين أمر بها الطبيب.

وقد حرصت من أول الأمر ألا ظهرت أنتى وأم أنوار حزب عليها ، بل كففت عن السخرية منها ومهاجمتها كلية ، حتى عادت تطلعنى على أسرارها الصغيرة الخطيرة دون أن أطلبها منها ، إذ كان لابد لأنوار أن تحدث بهذه الأشياء أحداً ، وأنا الشخص الوحيد الذى تعرفه ويستطيع أن يفهمها إن كان لا يوافق عليها . فكان يسرنى أن أرى انبثاقاتها الفجائية بقصد الدفاع عن معتقداتها ضد مهاجم وهمى ، إذ تروج تجاهد فى سبيل البرهنة المنطقية على نظرياتها الصوفية ، لاسيما آرائها فى الأحلام وتتاجى الأرواح . وكانت كثيراً ما تحدثنى بصوتها المرتعش ووجهها المورد من التاثر ، عن عالم الروح الأثيرى الذى ليس له بدء ولا إنتهاء ، كيف تلتقي الأرواح فيه قبل الميلاد وتحاسب ، وكيف يفصل بينها الزمان والمكان عندما تولد وتلبس الأبدان ، حتى إذا ما كان الموت عادت لها حريتها والتقت من جديد عالمها الأثيري وهى أشد لهفة واستعداداً لملعة الامتزاج .

أما الأحلام فقد كانت تتضرر إليها بحد أخطر من هذا ، معتقدة أن كل من تراهم فى أحلامها إنما تراهم حقاً ، وقد أنها لزياراتها أو انطلقت روحها لزيارتهم أثناء نومها وكانت كثيراً تروىلى أحلامها-أو على الأقل ما ترى أنه هام ورمزي منها- مثل ذلك الحلم الذى روتة لي ذات يوم بحماسة كبيرة إذ كان بطله الشعراوى ذاته . فقد رأت نفسها تسير فى حديقة فسيحة خضراء خاصة بالأشجار المرتفعة المحملة بالفاكهه والثمار ، ومعها عبد الوهاب ممسكاً بيدها مشدوها من روعة ما يرى . فما زالا فى تلك الحديقة حتى إنطهيا إلى جامع صغير له مئذنة صغيرة إلا أنها تعلو على قمم الأشجار ، وبجانبه عين يتتجزء منها ماء صاف قراح . عند ذلك سمعت أنوار صوتاً جميلاً يناديها من حيث لا ترى ، ويهتف بها أن توضى ووضى ابنك ثم إدخلا لتصليها فى هذا الجامع . فسرعان ملئت حذاماً وشمرت ، وتوضأت من ماء العين ووضأت ولدها ، ثم دخلتا الجامع فصليا . ثم إنهما التقى بعد الصلاة نحو باب صغير يؤدى إلى سلم المئذنة الحازوني الضيق ، فجرى عبد الوهاب نحوه يريد أن يرتقي ولكن أنوار منعته ، وعند ذلك طرق سمعها ذلك الصوت من جديد يأمرها بتركه ونظرت فإذا الشعراوى ذاته وقف عند باب المئذنة بثياب البيضاء

وشعره الاسود المرسل ينظر إليها بوجهه الوضاء، ويبتسم في سكون عاده .  
وكتبت بقى لى تلت أربع شهور عاشرفوس ولا في حلم ، عشان كده . استعجبت قوى لما شفته  
، وبعدين بصيت اقفيته مسلك ايد عبد الوهاب وطلع به المدنة بشوش ، وانا عاشية وراهم من  
سكات لحد ما وصلنا لأخر المدنة، وبصبت من حاجة زى بلكونة لقيت قدامي خضره ف خضره ،  
والهاوا بيميل الشجر الطويل حايوقعه ، وورا الخضره من بعيد كبير شايفه فيه ناس بيعوموا  
ويطيروا ..مرة واحدة بصيت لقيت الشعرانى شال عبده على دراعاه وطار بيه فى الهوا بهدوهه  
البيضة دى ما يكون بجنحة وجيت أنا أطير وراهم ماعرفتش ، قمت وقفت ابص لهم وأعيط لحد  
ماوصلوا البحر واستخبو عنى : وبعدين بصيت لقيت واحد معرفوش قرب مني وقال لي «تعطيلى  
ليه» حد يخاف على الولد من أبوه؟ قمت أنا بطلت عياط ، وصحبته من النوم لقيت المخدة غرقانة  
دموع.

فى يوم جمعة ، قبل أن أسافر باليام قلائل ، اتفقت مع أنوار على أن نزور الشعرانى سوياً . لم  
يلق عرضي ترحيباً كبيراً من ناحيتها أول الأمر ، ولكنها لم ترفض طبعاً ، وكانت أنا أريد أن أراها  
فى الشعرانى . فلما كانت الساعة السابعة من ذلك اليوم لقيتني في ميدان باب الشعراية ومعها  
ابنها ، فتقدمنا إلى شارع الخليج الضيق المظلم ، حيث لا يوجد إلا رصيف ضيق اضطررت أن  
نسير نحو ثلاثة علىه في صف واحد حتى نتفادى الترام رقم ٧ الذي أتى في تلك اللحظة يسير  
على مهل والناس مكسون على سلمه يصادمونا باكتافهم ، فلم نزل نسير بين صفين من المنازل  
المهدمة حتى انتهينا إلى باب جهة اليسار يعترض مدخله ذلك الحاجز الخشبي المنخفض الذى  
يسد أبواب المساجد ، فتوقفت أنوار وشرعت تخلع حذاءها .. وبعد أن أسلمتنا أحذيتنا إلى كهل  
مقوس مغضن ، تقدمنا باتقادم عارية على حصیر الجامع ، وأنوار تقدمنا بثيابها السوداء مرفرفة  
الرأس متتصبة الظهر تشعر بمسئوليّة قيادتنا ، وقد تعلق ابنها بيدها واتسعت عيناه وهو  
يحملق في المناظر حوله.

كانت صالة فسيحة مليئة بأعمدة حجرية بيضاء مصقوله ، يتتصدرها منبر خشبي مرتفع ذو  
سلم خشبي حرج ، وتتدلى من سقفها نجفة كبيرة مضباء . وفي جهة اليسار من المنبر «مقام»  
صغير تحيط به قضبان عالية كأنه قفص ، عرفت من أنوار فيما بعد قبر سيدى على نور الدين .  
وكان الوقت بين المغرب والعشاء وقد تفرق على الحصیر رجال أغليهم من لابسى الجلاليب ،  
بعضهم متوجه نحو القبلة يصلى ركعات تطوعية وبعضهم متربع يسند ظهره إلى الحائط أو أحد  
العوايد البيضاء ، يتمتم بالصلوات على سبحة يحركها وهو يتعامل من الشحوش . وفوق كل هؤلاء  
أربعة رجال قد تربعوا بجوار المنبر ، ونشر كل منهم على حجره كتاباً ، وراحوا بقرعون بصوت

مرتفع وفي نفس واحد . قرأت أنوار بعلمها الذى لا يخوب إنها اسماء . الله الحسنى يرتلونها من دلائل الخيرات . وكانوا احشانا بسكنون ليصنفو إلى واحد منهم . ثم بلحقون به بعد قليل ، وكتم يهتزون شمالاً وبسبعينا بعثانهم وطوابقهم وكتبهم إذ أن هذا اليوم هو حضرة ، الشعراوى .

اجتازت أنوار كل ذلك سريعاً ، وهى لاتتظر حولها ، ودلفت بنا خلال باب صغير فى الحاطن اليمين ، ترتفع أرضه درجة عن أرض الجامع ، وقد وضعت وراءه شلتة عليها سبحة تركها هناك صاحبها وذلك فى بهو صغير على يمينه باب يؤدى إلى الميضة ، وعلى يساره باب آخر هبطت أنوار خالله درجة ، فإذا بنا أمام ضريح الشعراوى .

التفتت أنوار نحوى وهمت بأن تقول شيئاً ، ولكنها رأت أمامها أناساً غيرنا فسكتت . وكان هناك رجل عجوز فى جلباب أبيض ، مقوس الظهر ثابت اللحية ، يقف ناظراً إلى الضريح فى خشوع ، وهو يقرأ الفاتحة ، وأمرأة متوسطة العمر فى ملة لافت تسير على مهل حول الضريح وهى تمسح سوره بيدها فى ضراعة ولا تبرح تهمس بصوت مرتعش «يا سيدى يا شعراوى نظرة.. يا سيدى ياشعراوى نظرة...» . وفي الركن الأيسر من الضريح تربع رجل غريب الشكل على رأسه عمامة مخروطية كالطرطور ، له الحية طولية يحرك حباتها فى سرعة متمنجة ، وهو يتمتم بالفاظ غامضة وينظر إلينا بعيينين مفرعتين .

لم تنتظر أنوار ، بل دارت عن يمين الضريح وراء صندوق التذور واختفت بابنها ، فى حين وفقت أنا أتأمل المكان كانت حجرة ضيقه صنعت جدرانها من صخر أبيض عار ، سقفها مرتفع هيكله من خشب بنى حللى ب نقط بيضاء من الصدف ، تكسوه شبكة من السلك واسعة الخروق وله باب من نفس مادته مغلق بقفل صغير ، ووراء هذا السور يبدوا «قام» كبير مستطيل يبلغ ارتفاعه رأس الإنسان وهو مكسو بقمash عديد الألوان نقشت عليه آيات قرانية بخط متداخل تصعب القراءة .

انتبهت فجأة إلى أن أحداً ينظر إلى عن يمينى ، فنظرت وإذا برأس این أنوار بارز من وراء زاوية الضريح ، بجانب صندوق التذور ، وهو ينظر نحوى بعيينين واسعتين خائفتين . فلم يك يعرف انتى رأيته حتى ابتسم ابتسامة كبيرة خجول ولوى رأسه على كتفه ، وارتدى سريعاً سمع صوت أنوار يقول ( وما له ؟ ما تحط )) ومررت برهة قبيل أن أرى رأس الصبي يبرز ثانياً وهو لا يزال يبتسم ، فيرفع يده إلى ثقب صندوق فى تردد ويدس فيه قطعتين فضيتين تسقطان على أكdas النقود فيه بصوت مرتفع . ثم عاد من حيث أتى .

وكان الرجل والمرأة قد دارا حول الضريح دورة وخرجوا . وكذلك استجمع الرجل ذو الطرطور

نفسه وخرج بسيجته الطويلة مدببة إلى الأرض، وهو منحن بتشكيل غريب ولا ييرجع ينظر إلى عينيه البراقة المجنونة. وكانت أنوار لا تزال مختفية عن، فتحركت عن سمار الضريح وأنا لا أزال أسمع صوت الرجال الأربع يقررون دلائل الخبرات بمحضهم المنوج الغريب . خلال نافذة عربية عليها غطا، خشبي متقدب تطل على صحن الجامع حيث يجلس المصلون. وفي الحاط آخر أمامي، وجدت نافذة متألها تطل على شارع ضيق منخفض تبدو دكاكينه الصغيرة المتساورة بالكلويات خلال ثقوب التلفافة ، ويهب من ناحيتها هواء بارد متقل برائحة العطور والبخور . ولست أدرى لماذا وأنا أستمتع إلى أولئك القراء وأشم تلك الرائحة ، خيل إلى أنني في كنيسة ، وداخلتني الرهبة رغم أنني كنت مدركة حتى تلك اللحظة أنني لم أنزل هذا الجامع إلا مدفوعة بالفضول المجرد.

لم أكد أنظر في الممر الضيق خلف الضريح هناك ، حتى رأيت أنوار بثيابها السوداء تمشي بجنبها ببطء وهي تحرك شفتيها بما لا أسمع ، وتمد يدها لتأمسس سور الضريح كما رأيت المرأة الأخرى تفعلمنذ قليل ، ولكن لم تك تلمسن مقلبة عليها حتى جذبت يدها سريعا ، وأسرعت في سيرها نحو بابتسامة صغيرة ، ثم مرت خلفي وهي لا تزال تتمتم واختفت من حيث اتيت ، فواصلت أنا السير مارة تحت قمقم كبير متدل من السقف يعلوه الغبار ، ودررت حول الضريح حتى التقى بأنوار ثانية بجانب صندوق النزور ، وابنها لا يزال متعلقا بيدها ينظر حوله فاغر الفم جاحظ العين في رهبة .

رأتنى أنوار أقف أمام الباب ناظرة إلى كتابة منقوشة فى أعلىه بخط غريب بالصف الأبيض

فقالت لى وهى تجذبنى من نراعى:

-تعالى .. مش حاتعرفى تقرِّبها.

فلم رأته لا أطواعها ، مضت وحدها تختفي عن يمين الضريح ثانية بابنها: أما أنا فرحت  
أتمل الكلمات المنقوشة بالصدف وأرى من تداخل الحروف ما يغيبنى ويرغبنى فى فك رموزها .  
ميزت أول كلمات (دخل حمى القلب) ، ثم انتقلت إلى (من ضاء) .. ولم أفهم لها معنى، حتى عثرت  
أخيرا على همسة تائهة وحدها وعرفت أنها (من ضاء) ، وبذلك سهل على أن استنتاج الكلمتين  
التاليتين وهما (الزمان به) . ولم يعسر على بعد ذلك أن أقرأ كلامتين آخرتين وهما (عبد الوهاب) ثم  
قرأت الجملة كلها وهي:

(أدخل حمى القطب من ضاء الزمان به عبد الوهاب ترى الأنوار مشهورة).

وكان تحتها جملة أخرى قرأت في أولها (بدا به الأمن والتاريخ) وهمت بأن أواصل حل غواصتها ولكنني كففت عن ذلك إذ انتبهت فجأة إلى شيءٍ غريب في الجملة الأولى .. صحت باتوار

التي لا آرها

- الله .. أنوار ! ده اسم ابنك مكتوب هنا .. اسم ابنك واسطع !

فسمعت في الحال وراء الضريح صوت شهقات منلاحة مكتومة ، ووينت لانظر فانا بانوار  
واقفة في آخر المر المعم وبابها في يدها تتبع يدها على صدرها مهتزة بضحكها المتهافة  
، وهي الساعة متقطعة لاهثة متثنجة . وقد أتى ضحكتها عقب نداني إياها مباشرة ، قبل أن أنهى  
جملتي كأنها تعرف اتنى سأتجه في قراءة الكتابة بعد حين وادهش .

عدت أقول لها :

- أيوه قولى لي كده .. بقى الشعرانى اسمه عبد الوهاب وأنا مش واخده بالى ! لكن اسمك  
انتى .

ولكن أنوار رفعت اصبعها إلى فمها محذرة إبى وهى تشير خلفي فنظرت ورأيت رجالين  
بالجلاليب يدخلان إلى الضريح وكل يحمل حذاءه في يده ويقيمه ، وسرعان ما اختفت أنوار وراء  
الضريح ، وغابت بابتها حينا ثم ظهرتا من الناحية الأخرى منه ، فتحركتنا تغادر المسجد . وقد  
فكرت أنا فيما رأيت ، فذكرت كيف أن أبا أنوار كان متصوفاً فلابد أنه قد قرأ كلمة ( الأنوار )  
على ضريح ليلزم لها مثل هذا الآب الذي يملأ رأسها من ذفولتها باسم الشعرانى ، لكي يزورها  
الرجل في الأحلام وهي امرأة ناضجة . فلما حدثت أنوار بذلك ونحن من جديد في شارع الخليج  
الضيق المعم ، قالت لي ضاحكة :

ـ يعني عمرك ماشتفتني كلمة أنوار إلا هنا ؟ افتحي أى كتاب يعجبك تلاقي الكلمة فيه عشرين  
مرة . دنا حتى عندي كتاب للشعرانى نفسه اسمه الأنوار القدسية .  
وسكتت أنوار بعد دفاعها وكنا قد وصلنا إلى ميدان باب الشعريه بضؤئه وضجيجه ،  
فواجهتها أنوار بابتسمة خجول متطلعة كأنها تريد أن تعرف أثر الليلة على . وكتن سافر إلى  
رأس البر بعد أيام لتخصيبة باقى الإجازة عند بعض أقاربى ، فافتقتنا على أن نلتقي مرة بعد ذلك  
يكون فيها الوداع .

لقيت أنوار بعد ذلك مرة واحدة ولدة قصيرة . فلما كان بعد شهر من ذلك - وأنا في رأس البر  
حيث ذهبنا لقضاء باقى الإجازة - كتبت لها أسألها عما تم بينها وبين زوجها ، فردت على برسالة  
شككية تحمل فيها على الدنيا بما فيها ، ذاكراً أن زوجها قد أرسل خطابين آخرین يطالب بابته ،  
وأن أمها لم تزال تويختها وتعذبها لنفورها عن زوجها ، في حين أنها لا تريد أن ترى وجه هذا  
الزوج ، وتفضل أن يموت ابنتها عن أن يأخذه أبوه ليربيه كما يشاء وينشئه « حماراً » مثله . هكذا  
قالت أنوار بلهجة تدل على أنها متذنب حقا .

ولكنني لم يتع لى الاتصال بانوار بعد ذلك لمدة عامين كاملاين لاننى فضلت هذين العامين فى العراق ، حيث انتدببتى الوزارة بنا . على طلب منى ومساعى سابقة . لأن أتولى تدريس التربية والأخلاق فى احدى مدارس بغداد الثانوية ، ولم أحضر إلى مصر خلال هذين العامين . حتى انتهت مدة الانتداب فعدت إلى القاهرة منذ شهرين ، وكانت زيارة انوار من الاعمال التى رأيت أن تأثير بالقيام بها .

ذهب ذات صباح إلى ذلك المنزل الذي كانت تقيم فيه مع أنها بالعباسية ، ففتحت لها الباب امرأة لا تعرفها ، قالت عندما سالتها عن أنوار أو ست سنية أنها لم تسمع بها ، وأننى لابد قد أخطأت في العنوان لأنها تقيم في الشقة منذ عامين ، فيبينما أنا أغادر العمارة متوجهة من هؤلاء الناس الذين لا يستقررون في منزل أبداً ، واجهني بباب سوداني عجوز خطر لي أن أسأله لعله يذكر أنوار ويعرف أين ذهبـت . وقد صرحت ظنـي إذ نكش الرجل البالى في أطلال ذاكرته حينـا ثم وصف لي عنوانـا في شارع قرـيب قال إنه هو الذي انتقلـت إليه ست سنـية وابتـتها منذ أكثر من عامـ.

كانت عمارة في شارع من تلك الشوارع التي لا يرى فيها إلا حيطان في حيطان ، والتي تكرهها أنوار وان اضطررت إلى السكن فيها . وقد دلتني البواب على أن شقتهم بالطابق الثالث ، فصعدت من فوري إلى هناك على سلم.

ضغطت جرس ووقفت أنظر إلى الزجاج الخشن الذي يلمع وراءه نور بعيد ، وفي الحال سمعت صوتا نسائيا يصبح من بعيد قائلا «تعالى افتح يا عبده لحسن إيدى وسخة» ! فلما مرت لحظات دون أن يفتح أحد ، عاد الصوت يصرخ في سخط «عبدة» ! وهو صوت أنوار بغير شك ، وإن وقع في أذني غريبا شاذًا لأنني لم أسمع ولا رأيتها غاضبة قط . ثم سمعت صوت أقدام عارية تدب على البلاط مسرعة ، واهتزاز النور على الزجاج قبل أن ينفتح الباب.

كانت أنوار ذاتها هي التي فتحت ، وهذه حقيقة انتبهت إليها بعد شيء من التدقيق وفي كثير من العجب . إذ كانت أنوار التي فتحت لي - بعكس أنوار التي عرفتها من قبل - زرية الهيئة قدرة كالخاريمات ، تقف حافية القدمين وسط بركة من المياه على بلاط الصالة ، وهي تاتي بجسمها الصغير في ثوب واسع باهت قذر ، وشعرها منتفسح حول رأسها ، وقد تدللت من يدها خيشة سوداء يقطر الماء منها على الأرض وعلى ساقيها . ظللت حيناً صامتتين وأنا أنظر إليها وابتسم لكي تعرفني ، وهي ترد نظرتني من وجه لا يزال يعكره الغضب بعينين عسليتين متعسعتين بما فيهما من زعر صريح وكان وجهها أصفر ممتقا ، وخداتها غاثرين ، وقد ازداد بروز العظام أسفل عينيها ، وأخيراً اهتز المعنى الغاضب في وجهها ، ثم تباعدت شفتاها وتغضبن ما حول فhera

إن هذه ليست أنوار القديمة . لقد كانت طيلة حياتها خجولة حية، ولكنها كان خجلا - سعيدا سليميا ، خجل إنسان يتهب الحياة الخارجية ويحس أن في باطنه خيرا منها ، أما خجلها الآن فيشبه أن يكون خزينا لخجلنا- خزينا من هذا الباطن ذاته . وهذا الضيق الذى ينطبق وجدها ليس ضيقا مؤقتا مارا ولكنه نتيجة لترابك الاحساسات كل يوم ، بإن الغد لن يكون خيرا من اليوم . وأنا لا أذكر أى نفسي رأيت على أنوار هذه الابتسامة التى تكاد تكون ذليلة ، ولم أعرف فيها إلا تلك الشخصكة العميقة التى كانت رغم ما بها من تهافت ، سعيدة تدل على إحاطة وجهها بالمواقف فى استسلام .

-أما أكمل تنظيف الفسحة واجي لك .. أصل الخدامة طلعت اميارة.

وخرجت متناثلة تتحنى لتناول الخليفة . ثم تخوض بقدميها الصغيرين البيضاوين في المياه على بلاط الصالة . حتى يختفي في الطرقة المظلمة . لقد حدث لأنوار شئ . شئ خطير . وبينما أنا أجلس وحدي ناظرة في آثر أنوار . لحظت عد باب غرفة أخرى بعيدة . راسا صغيراً أسود الشعر يمتد في حذر لينظر نحو في استطلاع . ويمتد معه قرب الأرض طرف عصا خشبية طويلة . فما كادت عين الغلام تلتقي بعيني حتى ارتدى الرأس سريعاً وانخرف في الغرفة . وكان هذا ابن أنوار بغير شك وقد تغيرت ملامحه في هاتين المستتين تغيراً كبيراً وكانت قد رأيته يطل من الباب هكذا مرة أخرى ساعة دخولي ، وهو يخاف أن يظهر لنفسه كأنني غفريت .

جلست أنظر إلى المياه الراكدة على بلاط الصالة وقد ازدحمت في رأسى الأسئلة . ماذا حدث لأنوار وجعلها جافة مريرة هكذا ؟ ماذا صنع زوجها ولماذا لم يأخذ ابنه كما كان يريد؟ وأمها - ماذا كان سلوكها في كل هذه المدة؟

وفجأة سمعت صوت جبلة في آخر الصالة ، فنظرت وإذا بالغلام قد تجرأ أخيراً ويرز من حجرته البعيدة ، يتقافز في الصالة متعرضاً وبهذه تلك العصا الطويلة ، التي تبيّن وقلبي يتحقق من شدة المفاجأة أنها ليست عصا كما ظنت ، وإنما عكان .. عكان خشبي طويل يضعه الغلام تحت إبطه الأيمن ويتقافز عليه بسرعة بمساعدة ساقهيسر ، وقد انحنى ظهره من المجهود ، وتبدلت ساقه اليميني ملتوية إلى الخارج وهي تترتجح في الهواء ولا تبلغ الأرض.

لم أصدق عيني أول الأمر ، فلما تحققت مما رأيت ، طفت على الدهشة والارتياح .. لقد كنت أنتظر أن أرى صبياً سليماً يجري في المنزل نشيطاً وثاباً ، فإذا بي أرى حطاماً .. والغلام لم يتعد الثامنة بعد ، ولم يتعلم السير إلا من قريب .. لقد داني مظهر أنوار على أن شيئاً قد حدث ، ولكنني لم أتصور أن يتحقق هذا بابنها ، الذي تركته آخر مرة جزءاً نابضاً من حياتها.

الجمتني المفاجأة فلم أثر ماذا أصنع . هل أنا دأب أنوار وأسألها؟ إن السؤال عن هذه الأشياء التي يعرفها أصحابها وسئلوا عنها مئات المرات ، يقع دائماً سخيفاً مبتلاً .. ولكنني أريد بلهفة أن أعرف كيف حدث هذا ومتى.

لم تكن أنوار في الصالة في تلك اللحظة ، وأنا أنظر في آثر الغلام الذي اختفى في الطرقة المظلمة برجله الملتوية المترتجحة ، ولكنها بربت آخرها والخيشة ما تزال في يدها ، فصحت بها من فورى في شبه همس أناديها ، فذابت نحو رأسها المشوش متسائلة ، وما رأته أشير لها بالقدوم أقت الخيشة إلى الأرض وأقبلت متناثلة تقف على الباب في انتظار .

قلت لها بصوت منخفض متلهف.

إيه ده يا أنوار ؟ مال عبده؟.

فلم تبد تثرا من السؤال كأنها كانت تتوقعه ، ثم قالت بابتسامة مكر خبيث  
ـ ماله؟.

ـ رجله مالها؟.

ـ فعادت تقول بابتسامتها الملتوية كأنها تهزأ بيـ  
ـ بي حاجة هايفه كده .

ـ فصحت بها:

ـ أنوار ! .

ـ فافتسبت الابتسامة فى وجهها ، واهتز صدرها لأول مرة بضحكة غيره تشبه ضحكتها القديمة  
ـ وهى تنظر إلى السقف ، ثم اختفى الضحك لم يبق منه سوى خطين مريرين حول شفتها العليا .  
ـ قالت :

ـ أصلهم عملوا له عملية.

ـ عملية إيه؟؟.

ـ عملية فى رجله ..

ـ امتنى ؟ .

ـ من سنة كده .

ـ لكن عشان إيه ؟ عملية إيه؟.

ـ أصله كان وقع .. على سلم ..

ـ وأنت الجملة الأخيرة محملة بشئ من الحزن الذى يناسب الموقف ولم تنتظر أنوار بل تحركت  
ـ متباطئة إلى آخر الصالة ، حيث انحنت على الخيشة الملاقة وراحت تحركها في دوائر واسعة بطيبة  
ـ وقد ارتفع ذيل الثوب وكشف عن ظهر ساقيها البيضاوين التخيليتين .

ـ أحسست فجأة بحبى لأنوار يغيب فى نفسي ويثير ، مقررتنا برئاء شديد قارس .. إنه لاليم  
ـ موجع أن أرى شيئاً كهذا يقع لأنوار التى لم ترتكب فى حياتها إثما ولم تؤذ مخلوقاً .. أن تهوى  
ـ إلى مياه حياتها الأمينة فاجعل كهذه ، تخنق المرح فيها وتطرد النور . وكيف تكون الحياة بالنسبة  
ـ لمخلوق حساسة كأنوار ، وهى طول اليوم تبصر ولدها الذى تغدى معها على الريح والضوء ، يقفر  
ـ بين أربعة جدران بساق ملتوية متارجحة فى انتظار خمسين عاماً مشابهة؟.

ـ ولكننى لم أسترسلى فى هذه الخواطر وحدى فى الغرفة الزرقاء الكتيبة ، إذ سرعان ما اهتز  
ـ النور الخافت الذى ينعكس على أرض الصالة ورن جرس الباب ، فتركت أنوار الخيشة ومضت

لفتحه . وما كانت تفعل حتى سمعت صوت لهث ونافف . وأقدام متباينة تزحف على أرض الصالة . ثم دار همس خفيف بين أنوار الداخل وبروزت على باب الغرفة ست سنين . بالماتتو الاسود والطرحة السوداء . المحكمة حول جببنتها الأسمر وتحت ذقنتها . فما كانت تراى حتى رفعت حاجبيها كعادتها وأقبلت تعانقنى وتقبلنى على الخدين .

تحسست بالارتياح لقدم هذه السيدة ، لأنها ستنقذنى من الحيرة والارتباك الذين أوقعتني أنوار فيهم لأول مرة فى حياتها . ثم أن سنتين لم يكن بيدو عليها شئ من اليأس أو المراارة ، بل كانت تبدو سعيدة لا ينقصها شئ . فجلست أجيء عن استلتها الخاصة بما رأيت فى ، وأنا أرى أنوار تواصل عملها الإلى فى الصالة ، حتى تنتهي ثانية فى الطرق المظلمة ، حيث أرى عبد الوهاب ييرز من جديد متازجحا على عكاذه يقصد إلى غرفته ، وهو يختلس النظر إلى بعينين جاحظتين من وجهه الأسمر الذى نضج قبل الآوان . عند ذلك نهضت فجلست قرب ست سنين . وهمست أطلب منها فى توصل أن تحدثنى بما وقع فى أنوار ، فقالت .

- هي ماقاتلتكميش ؟

- أبدا . لاخدت منها حق ولا باطل .

فمالت المرأة برأسها تتفقد الصالة ، ثم قالت بصوت تحاول أن تكسبه من الألم بغير نجاح كبير :

- بعيد عنك يابنتي .. بقى له سنتين على دي الحال ..

- دي بتقول سنة واحدة بس؟

- سنتين وحياتك يا حبيبتي . ماقيش شهر بعد ماحضرتك سافرتى حصل اللي حصل .

- إيه هو اللي حصل ؟

فشترت ست سنين تروى بصوت منخفض كيف أنهم بعد سفرى بقليل ، سافروا هم أيضا إلى قرية فى الشرقة قرب بلبيس ، لقضاء أسبوعين عند خالة لأنوار يمتلك زوجها عزبة صغيرة هناك . وكان بجانب المنزل حديقة مساحتها خمسة أفدنة مزروعة بأشجار المانجو ، منزولة عن الحقول بسور ولادخلها الفلاحون ، عهدت أنوار أن تأخذ ابنها عصر كل يوم ليترنها فيها ويقطفها الزهور البرية التى تنبت فى الحشائش الطفيلية بين الرشجار .

نظرت ست سنين إلى الصالة ثانية ثم استرسلت بصوت منخفض :

- وجت يوم العصر خدت ابنها وزلت الجنينة زى العادة ، قامت فاتت ساعة واتنين وهم لسه مارجعوش ، لحد ما الشمس غطست والدنيا قربت تضل .. شويتين وابص ألاقيها ياكبدي يابنتي جاية تجرى وتتكلب ، وهى حافية والدم بيشر من رجليها ، وشالية الواد مسورة على درعتها . هي

حطته على سلم البيت من هنا ودى راحت مرعيبة عالارض وسورقت هي رخره .. طلع جوز اختى  
يجرى عالمركز جاب الحكيم وجه . وفى الليلة ذات نفسها خدوه مصر يودوه لرسومه . وأنا قاعدة  
مع أنوار فوق فيها واكلم فيها ، وهى ياحببى يخى صفرة زى اللمونة وساكنه عانكلاش .. ثلت  
تيمام وحياتك عندي وهى ساكنة لم تتنطق بحرف.

وسبكت المرأة وقد بدا عليها شئ من التأثر الحقيقى ، فقلت أسألها :  
- عبد الوهاب ؟

- عملوا له عملية فى مصر ، وقعد نايم شهر فى المستشفى ورجله مجسدة ، والآخر قام بها  
ملووية كده و قالوا لنا نجيب له عكارز ..

- لكن ليه ؟ إيه اللي حصل ؟

- حصل المكتوب يابتني .. أصل كان فيه فى وسط الجنينية دى حاجة كده زى ماتقولى بيت  
صغرى ، جوز اختى عامله منه مخزن ومنه دروة لماكنته الرى بتاعة الجنينية .. والبيت له مدننة قديمة  
مهنددة ، اكمن أصله جامع وحصل فيه خلل قاماوا سابوه وبنوا جامع تانى فى البلد . وبعدها جه  
جوز اختى زرع الجنينية حواليه وعمله زى مابقول لك ..

- طب وبعدين ؟

- بعددين جت أنوار الله يجازيها بقى ، خدت الولد ومشوا لحد البيت المشنوم ده ، وسهيت عنه  
لحد مدخل ابصر مدين وطلع ياضنانيا المدنة أول عشان يدين المغرب .. أتارى المدنة خربانة وسلمها  
مهنددة ..

جت رجل البعيد على سلمة مكسورة راح واقع عالارض من تانى دور والواقعة جت على رجله  
.. انكسرت ..

صحت بالمرأة وقد بدأت تثور فى نفسى ذكرى قديمة :

- يكونوش ياتيزه دخلوا يصلوا المغرب فى الجامع ؟

- إيش عرفك يابتني ؟

- إيه ! هم صلوا صحيح ؟

- أنوار ماقالتش انهم صلوا ولاعملوا ، لكن عبده لما فاق فى الاستثنالية قعدت أقرر فيه لحد  
ماقال لى انهم اتوا فى الجنينية ودخلوا الجامع أول يصلوا المغرب . وقال كمان أن أنوار هي  
اللى قالت له يطلع يدين لكن أنوار لما سمعت كده قالت ده متبياله اكمنه داخ ومامدريش بحاجة ،  
- لكن اتواوا ازاى ياتيزه ؟

- أصل الجامع زى ماقالت لك مرکبين فيه ماكينة الرى، ويومها كانت الجنينية مسقية جديد ،

وفي جنب البيت حاجة رى بركة كده واسعة وعوبطة عشان تستلقى الميه المعين وهي نازله.

والجامع ده ياترێه جنبه شجر عالىٰ<sup>١</sup>

من كل ناحية بابستى ، مش جنينة منجه<sup>٢</sup>

وهي أنوار عمرها كانت راحت البلد دى قبل كده<sup>٣</sup>

أبدا ياختنى ! ولا حطت رجلها فيها قبل النوبة . باريتها ماراحت ... وصمنت المرأة إذ سمعنا في تلك اللحظة فحيحا في الصالة ، وظهرت أنوار تحمل وابور جاز مشتعل وتدخل به إحدى الحجرات . ثم خرجت ثانية ، وطلت حينا بيندخول وخروج ونحر صامتتين ، وأنا أقلب ماسمعت في عقلى وأكون استنتاجاتى . واتصور أنوار وابنها يتوضئن من ماء الرى في حديقة المانجى ، فازيرى أن أضحك رغم مابى من رثاء أليم . وأخيرا انقطعت حركة أنوار في الصالة فاسترسلت سنتين هامسة :

ومن يومها وحياتها يابنتى ماعتبت الشعراوى ولا مرة . اكمنه كان حارس الولد وسابه يجري له اللي جرى .. حتى الصلا بقت تصلى فرض وتنقطع فرض ..

ورفعت حاجبها تبسم ابتسامة احتکام واستشهاد ، فكرهت ما أرى فيها من جمود وبلادة حس وان كان قد مر على الحادث سنتان . فلما رأتنى لا أتكلم أردفت :

ـ حتى ياحبيبي يابنتى من ساعتها نفسها انكسرت وما بتقىش تقدر تقول لجوزها بم جوزها ؟ هو فيهن جوزها ؟

ـ الله ! هي يختى ما قال تلکيش ولا إيه ؟

ـ على إيه ؟

ـ مش جوزها ردها بعد اللي حصل لابنة .

ـ ردها !

ـ إمال احنا فين دلوقت ؟ ماحنا يختى في بيت سى ابراهيم أفندى ! وراحـت تروى لي كيف أن الرجل عندما سمع بما حدث لابنته حضر إلى المستشفى وراح يبكي على الغلام ، ثم فاتح الأم في مسألة ردها قلم تمانع ، وخرج الولد من المستشفى الى بيت أبيه .

قالت سنتين هامسة :

ـ وأنا الأول كنت قاعدة لوحدى ، وبعدين جالى فى الشقة بتاعتي خلو رجل ميت جنبه ، سببتهما وجيت هنا على مالاقى لي شقة ثانية لكن أنهى فاتت السنة ولسه مالقتش .. هم يختى الانجليز خلوا فى البلد شق فاضى<sup>٤</sup> .

وراحت المرأة تتكلم فى موضوعات مختلفة أخرى ، وهى تبدو على آتم حال من الرضا .

والقناعة . فعدت أنا إلى مقعدي الأول وثبت نظرى على الطرقة البعيدة المخللة ، حيث ظهرت أنوار بعد قليل تحمل وابور الجاز ذا الفحيح ، فوضعته على الأرض وقعدت بجانبه القرفصاء تعالج « كباس » الوابور بشدة لتملاه بالنفس ، وهى توليني ظهرها وقد بز بطنها قدميهما الأبيضين حيث ارتكزت برفيفها عليهما . وكانت تبدو غير شاعرة بي كائنا فارقتهم حساسيتها المرهفة القديمة ، أو لعلها كانت شاعرة بي ولكنها تريد أن تفحمنى باذلة على صغرها ، وتصر على أن تنجز أمامى هذه المهام الحكيرة لترى ماذا صارت اليه حياتها الجديدة .. انظري لقد صرت ست بيت مثالية كاملة ! « هكذا كان يقول لي شعرها المشوش وظهورها التحيل الثاني في ثوبها القذر ، وهي منكبة على الوابور ومعتصمة وراء ذلك الحجاب الثقيل من عانادها المزير .

احسست أنه لم يبق لي مأصنعيه في ذلك المنزل ، فقمت استاذن في الانصراف ، وصحيحتي سنت سنية الى الصالة وهي تدعوني للغداء ، فلما اعتذرت صاحت تبادي أنوار لكي تأتى وسلم على . فسرعان ما سمعت صوت الماء يسيل من الحنفية ، ثم ظهرت أنوار وهي تشفى يديها في فوطة قديمة ، وتنقمن نحوى باسمه لتصاحفني .

قلت لها وأنا أمسك يدها :

- خليت بعافية يا أنوار .. أبقى خليني أشوفك .. مش فاكرة عنوانى ؟

- آه إمال

قالتها أنوار في برود باتسامتها الجديدة الميتة ، فأحسست بوخزة أليم في صدرى ، إذ أدركت أن قد قام بي بيني وبين أنوار إلى الأبد حجاب سميك يفصل بيننا .. وأن تلك الروح الوثابة التي عهدتها جنوة مشتعلة متراقص في الأماكن العالية وتذكيرها التسممات ، لن تعود منذ اليوم إلا ذبالة هزلية تحرق وحدها في سجن بعيد من ظلمات يأسها .

قلت لها من أعماقي .

- أبقى تعالي صحيح يا أنوار .. نفسى أتفسح معاكى زى زمان .

ونظرت بقوة في وجهها ذى العظام البارزة استذكر الماضي من أنهاها المدبب ، وشفتيها الحساستين ، وجبينها الأبيض العريض . فرفعت أنوار إلى عينيها العسليتين العزيزتين وقد أشرق فيهما نور مرتعش من المحبة والذكري ، وانفرجت شفتاها مدى لحظة عن تلك الابتسامة والحبية المرتعشة القديمة ، فانطعف قلبي .. ثم قالت وهي تقض بصرها سريعا كائنا خجلت من التذكر :

- إن شاء الله .

ثم أفيقى دون باب مغلق ، اهبط السلم المعتم العتيق في حذر ، وأحس خلال مشاعرى المسيطرة المشتبة ، بشعور لأندرى إن كان حيرة أم عضة .

## ببليوجرافيا محمد عفيفي



اسم الشهرة: محمد عفيفي

الاسم بالكامل: محمد حسين عفيفي

تاريخ الميلاد: ٢٥ فبراير ١٩٢٢

جهة الميلاد : قرية الزوامل - مركز انشاص - محافظة الشرقية.

المؤهل الدراسي: ليسانس الحقوق . ١٩٤٣ - دبلوم الصحافة . ١٩٤٥

الحالة الاجتماعية: تزوج يوم عيد ميلاده ١٩٥٠ من السيدة اعتدال المصافي وأنجب ثلاثة أبناء :

الدكتور طبيب عادل والمهندس نبيل وعلاء المحامي.

تاريخ الوفاة: ٥ ديسمبر ١٩٨١

«النقى الريفي»

ولد الكاتب الساخر محمد عفيفي في قرية الزوامل - شرقية، ونشأ في القاهرة.

فقد نزحت أسرته إلى القاهرة وأقامت في حي روض الفرج في شارع المقسي - شبرا مصر.

ولما تخرج في الجامعة .. أقام بمفرده في مسكن بشارع أحمد كامل قريباً من شارع الملك فِيصل الآن

بالهرم.

وعندما تزوج انتقل إلى مدينة حسن محمد القرية من المسكن الأول.

ثم انتقل إلى حي الزمالك حيث أقام فترة قصيرة ، عاد بعدها إلى شارع الأهرام حيث شيد فيلاً بما

زالت تقيم فيها الأسرة إلى اليوم.

#### «رحلات صحافية»

-بدأ حياته الصحافية بإصدار مجلة باسم «القصة» لم تستمر طويلاً ، فاتجه إلى العمل بالصحف.

-التحق محرراً بدار مسامرات الجيب وكتب في المجلة التي كانت تصدرها باسم «إضحك».

-وانطلق منها إلى العمل محرراً بمجلة «آخر ساعة» حين كان يصدرها محمد التابعى.

-ولما انتقلت ملكية المجلة إلى «أخبار اليوم» ، انطلق معها وأصبح محرراً في «أخبار اليوم» ابتداءً من أول يوليه ١٩٦٠ حتى ٢١ مارس ١٩٦٤.

-وفي أول أبريل ١٩٦٤ انتقل إلى «دار الهلال» وظل يعمل محرراً في صحفها إلى ٣١ مايو ١٩٧٤.

-وفي أول يونيو ١٩٧٤ عاد إلى قواوده في «أخبار اليوم» التي ظل يعمل بها حتى نهاية العمر في ديسمبر ١٩٨١.

\* أشهر الأدبيات التي حررها في الصحف هي:

-«هذا وذاك» في «أخبار اليوم».

-«الكتاب فقط» في «الأخبار».

-«يوميات» وأبتسام من فضلك» في «آخر ساعة».

-«بيني وبينك بتقديع واحد» في «الكوناكب».

-كان بيته بالهرم مقراً للسهرة الأسبوعية لجماعة «الحرافيش» نجيب محفوظ ، عادل كامل، توفيق صالح ، أحمد مظہر ، صبرى شبانة وإيهاب الأزهري ، بهجت ، صلاح جاهين وغيرهم.

#### كارикaturيات

ويعتبر من بين مبتكرى أفكار الشخصيات الكاريكاتورية ، حيث كان عضواً في لجنة الكاريكاتير بالأخبار اليوم.

وجسد أفكاره بالرسوم الكاريكاتورية الرسامون : صاروخان ومحمد عبد المنعم رضا وعبد السميع عبد الله وزهدي وبهجة عثمان ومصطفى حسين ومحمود ورؤوف عيده.

أصدر العديد من المؤلفات ، التي كان من بينها القصة والرواية والمقالات:

-أثار - مجموعة قصصية.

-«النقاوة والجمعة» رواية.

-«بنت اسمها مرمر» -قصة.

-«فنتازيا تاريخية» .

- «سكة سفر».
- «تاتي في لندن»
- «ابتسام من فضلك»
- «ابتسام للدنيا»
- «ضحكات صارخة»
- «للكبار فقط»
- «ترانيم في ظل تمارا» رواية.
- «أعمال درامية»

تحولت بعض هذه المؤلفات إلى مسلسلات إذاعية وأعمال مسرحية وسينمائية. فخرجت «التفاحة والجمجمة» في مسلسل إذاعي ومسرحية وفيلم سينمائي، وكذلك قصة «بنت اسمها مرمر» التي أخرجت في فيلم سينمائي. فقد أنتج أحمد مظهر «التفاحة والجمجمة» لحسابه الخاص، في عمل مسرحي من إخراج السيد راضي قام فيه بدور البطولة في شخصية المهندس أحمد، أمام سهير البابلي في شخصية «زازا» ومحمد توفيق في شخصية «المعلم طلبة». كما أخرجها محمد أبو سيف في فيلم سينمائي قام فيه حسن يوسف بتمثيل دور المهندس أحمد، أمام إيمان في دور «زازا» وأنور إسماعيل في دور «كرشة». وأخرجت قصة «بنت اسمها مرمر» في فيلم من إخراج بركات، وتمثيل محمود يسن وسهير المرشدى وصلاح منصور. كما ساهم في كتابة برنامج «ساعة لقلبك» الإذاعي - وقد نال شهادة تقدير من الدولة لجهوده في مجال الإبداع الفنى ١٩٧٨ بعد أن رشحته أكاديمية الفنون.

## عقربية العام

### على عوض الله كرار

من مزايا الثورات الكبرى ( كالفرنسية والروسية مثلًا ) أنها - وغير حرارتها المستمرة - تزيل مانع على أفقنا وتعقول العوام من غبار وصبا ، فلتتفق عبقرياتهم الفطرية المشتلة ذاتيًا بامتناعهم الجسد وغرازه التي لا تستطيع - وهي تحت الركام - إلا تسويه عينات من عبقريتها عبر شئ ينجه العوام ويستهلكونه مع بعضهم البعض كل يوم .. هذا الشئ هو اللذة.

ويسأخذ لفظة واحدة من لفتنا الفصحى ، لاري كيف استحدث لها العوام عادة جديدة لفظة أخرى لاعلاقة لها باللفظة الأولى .. وهي لفظة ( ضحك ) .. والأخرى هي لفظة ( كتاب أو خدع ) .. فالعوام يقولون : شحكت عليه ، أو عليك .. يعني كتبت عليه ، أو عليك .. أو يمعن : خدمته ، أو خدمتك .. وهذه اللفظة ( ضحك ) لا تكون بهذا المعنى المستحدث إلا إن وضعت في سياق خاص جداً.

والشخص كمثله ومارسة هو من الأشياء التي لا يستطيع الجسم اصطناعها ، فهو - في الغالب - نتاج طبيبي لسلسلة من المفاجآت المشحونة بظواهر مقتضبة .. وقد تكون هذه السلسلة مصطنعة أو حقيقة أو مخلوطة من شرء من الحقيقة ، وشيء آخر مصطنع .. وقد يكون هؤلاء الميتون من الشخص يعلمون منذ البداية إن كانت هذه السلسلة هكذا أو هكذا أو هكذا .. ومع هذا لا تكون الشخص شحكة إلا إذا انتلقت ثقائياً ، وبغورقة تامة ، واشتراك الجسم كله في انتلجه.

وأندخل إلى لموضوع :

في نهاية مرکزية وقدية جداً كمسر المقصورة بمعظم ناسها بجانب نهر النيل ، أقبل أنهار العالم الطويلة إنتقامات وأختيارات بين تلال متعرجة وغيابات ( خاصة في جزءه المصري ) .. كان العوام - وعلى الدوام تقريباً - مقومين ، ولا مكان لهم للهروب ، فالصحراء عن يديهم ويسارهم ، والبعر من شعالهم والشلالات من جنوبهم .. ومن يعش في قفس طببي كهذا تتفق حيلاته عن طريقه معيشية تكيف مع ظروفه الخامدة ، طرائق تعلق له مواصلة الحياة بشطرها الآخر ( = البليوجون ) ، وكى ينضبط بقوسهم ، ويندخل حيز وعيهم المستتر ، اصطنعوا الذئون والأذاب والألعاب البسيطة شكلاً والمعنى والمشتبه في دلالتها ، ومن هذه الذئون : السخرية ، وربما إنطلقت هذه اللفظة من ( السخرة : أى العواية ) ، وكان الأولى هي صانعة التوازن ، النفس المعيش مع القهر الذي انتقم منه فعل السخرية الذي صار - فيما بعد - فنا لها خصائصه .. وكان عوام الناس اكتفى بالغرفة واحدة من قوانين نبيتون ( لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه ) .. نعم : لكل سخرة سخرية منها تساويها وتضادها.

أما عن لفظة ( ضحك ) ، فكيف جات لطبقات مفخورة لاتعرف سوى الكد والتعب والعمل ليل نهار تحت السفرة ( المستترة أحياناً ، والظاهرة أحياناً ) .. أظن أنهم - وكيف فعل - اصطنعوا خارج نطاق احساسهم أسباباً وموافق تدفع أحاسيسهم للرجحة التواصمة كزمن كليل - في حالة تكراره - بتذوب بيدهم داخل دماء عروفهم ، وخالياً شعورهم ، وهذه الرجحة الجسمانية الطبيعية سميت بالشخص ، تماماً مثلما كان يكتب أيام التقىد الصيدلانية على عليه دواء من أدوية الشرب : ( رج الزجاجة قبل استعمالها ) ، ليدين هذا الرج للجسم يترسب الشعور بالرؤوس في مفاصل الجسم ، ومن حيثيات الأشقاء ، وعوم الوقت يتلاكم هذا الشعور ويتجسر متولاً إلى عائق يحول دون تواصل ميكانيزمات تناصيل الجسم الداخلية ، مما ينتج عنه اختلالات تضعف طلاقات المركيزة ، فليلق نفسه محاصراً بين قبور لفكانه هنما إلا بالموت .

الشخص - إذن - في الوهن المستتر عند العامة هو الأكذوبة أو الشدة التي اصطنعوا من يومن عالمهم ، وكان على الجسم أن يتصدى لها كي يضحك جداً ، ويجد حقائقه ، فالرجحة - من آن الآخر - هو ما ياحتوجه الجسم المفتر ، يمثل ما يحتاجه الجسم الكبير ( = الوطن ) .. وربما لهذا الذي نكرت ، حققت الملام اللهم التالية في السنوات الأخيرة أرباحاً لا يصدقها عقل.



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

lisanerab.com رابط بديل

## بيان مجلس أمناء

**مَوْلَىُّكُمْ مَحَمَّدٌ وَّأَبُوكُمْ زَيْنُ الْعِزْمَةِ الْمُرْسَلُونَ**



- ١- يقبل القلم باللغة العربية المسمى فقط .
- ٢- للملف أن يقدم إلى فرع واحد من نوع الجهة المطلوبة .
- ٣- على المقدم أن يرسل نسخة من القلم المقدم له لنسخة .
- ٤- لا يقبل الطالج الذي يشير فيه بخطه في الوثائق لأحد قرئ المأذنة ويعده في النسخ الذي يعتقد به للبساطة ، ويكون للملف ملخصات والبيانات المكتوبة الأصلية التي تقدم ترشيح من ترغب ، مع شرارة إلزامية المراسيم خطياً على ذلك .
- ٥- يرسل المقدم خطاباً يشير إلى المؤسسة يذكر فيه بخطه في الوثائق لأحد قرئ المأذنة ويعده في النسخ الذي يعتقد به للبساطة ، ويكون للملف ملخصات والبيانات المكتوبة الأصلية التي تقدم ترشيح من ترغب ، مع شرارة إلزامية المراسيم خطياً على ذلك .

## دورة ابن زيدون

قرطيبة - إسبانيا / أكتوبر ٢٠٠٤

فرع الحادرة وشراطيل :

- ١- جازىء الإبداع في تقد الشعر : وقيمتها (أربعون ألف دولار) .
- ٢- جائزة الإبداع في تقد الشعر : وقيمتها (أربعون ألف دولار) .
- ٣- جائزة أفضل ملحن في تقد الشعر أو دارسيه الشترن من درامي دراساتهم شاملة مهارات في تحليف السورس الشيرية ، أو رؤية جديدة لطاقاتهم عملية مدددة للصلة على أساس علمي .
- ٤- جائزة العبرية وفي أعمال المقدم يتم بعض في خطاب الرئيس على العمل المقدم به لم يسبق له الفوز بأي جائزة عربية وفي مجالات العبريات ، فالرسالة المقافية في العقوبة المقديمة .
- ٥- جائزة أفضل ملحن في تقد الشعر أو دارسيه الشترن من درامي دراساتهم شاملة مهارات في تحليف السورس الشيرية ، أو رؤية جديدة لطاقاتهم عملية مدددة للصلة على أساس علمي .
- ٦- جائزة أفضل ملحن في تقد الشعر أو دارسيه الشترن من درامي دراساتهم شاملة مهارات في تحليف السورس الشيرية ، أو رؤية جديدة لطاقاتهم عملية مدددة للصلة على أساس علمي .
- ٧- لا يجوز لمن سبق له الفوز بالي جائزة عربية أن يتقدم إلى الفرع الغافر به قبل مضي سنتين على فوزه ، على أن يتدرب بمعدل آخر على المدارس التي قدرها ، وحال المقدم يتم بعض في خطاب الرئيس على العمل المقدم به لم يسبق له الفوز بأي جائزة عربية وفي مجالات العبريات ، فالرسالة المقافية في العقوبة المقديمة .
- ٨- لا يجوز لمن سبق له الفوز بالي جائزة عربية أن يتقدم إلى المدرسة المقديمة في أي قرئ مورود ودونه من تاريخ متداركه في
- ٩- لا يجوز ممارسة إعادة تنشير العمل المقديمة ، ومحضرات من المسابقة ، ومحض المدرسوة إعادة تنشير العمل المقديمة ، ومحضرات من العمل المقدين .
- ١٠- آخر موعد للتقدم إلى فروع المقرر هو نهاية يوم ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٣ .
- ١١- اعتماد النتائج في الصيف التالي من عام ٢٠٠٤ ، وتوزيع الجوائز في حفل علماً يقام في شهر أكتوبر من العام نفسه .

بيانات تنفيذي ٢٠٠٣ / ١٠ / ٣١

٢- جازىء أفضل ديوان شعر : وقيمتها (عشرون ألف دولار)

٣- جائزة أفضل ديوان شعر مدر حلال محسن سرات تنتهي في ٢٠٠٣ / ١٠ / ٣١ .

٤- جائزة أفضل ديوان شعر مدر حلال محسن سرات تنتهي في ٢٠٠٣ / ١٠ / ٣١ .

٥- جائزة أفضل قصيدة : وقيمتها (عشرون ألف دولار)

٦- جائزة أفضل قصيدة شعرية في إحدى المجالات الأدبية أو الصحف أو دوريات المسئولة في كتاب مدخل للدراسات .

٧- جائزة أفضل قصيدة شعرية في إحدى المجالات الأدبية أو الصحف أو دوريات المسئولة في كتاب مدخل للدراسات .

٨- جائزة أفضل قصيدة شعرية في إحدى المجالات الأدبية أو الصحف أو دوريات المسئولة في كتاب مدخل للدراسات .

٩- جائزة الكريوبية للإبداع الشعري : (خمسون ألف دولار)

١٠- جائزة الكريوبية للإبداع الشعري : (خمسون ألف دولار)

١١- جائزة الكريوبية للإبداع الشعري : (خمسون ألف دولار)

- ١- يقبل القلم باللغة العربية المسمى فقط .
- ٢- للملف أن يقدم إلى فرع واحد من نوع الجهة المطلوبة .
- ٣- على المقدم أن يرسل نسخة من القلم المقدم له لنسخة .
- ٤- لا يقبل الطالج الذي يشير فيه بخطه في الوثائق لأحد قرئ المأذنة ويعده في النسخ الذي يعتقد به للبساطة ، ويكون للملف ملخصات والبيانات المكتوبة الأصلية التي تقدم ترشيح من ترغب ، مع شرارة إلزامية المراسيم خطياً على ذلك .
- ٥- يرسل المقدم خطاباً يشير إلى المؤسسة يذكر فيه بخطه في الوثائق لأحد قرئ المأذنة ويعده في النسخ الذي يعتقد به للبساطة ، ويكون للملف ملخصات والبيانات المكتوبة الأصلية التي تقدم ترشيح من ترغب ، مع شرارة إلزامية المراسيم خطياً على ذلك .